الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

الرقم التسلسلي:....................
رقم التسجيل:....................

عنوان الأطروحة:

تحولات البُنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية

دراسة سوسيو– أنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم: في علم الاجتماع
تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

إعداد الطالب:
خليفة عبد القادر

إشراف:
أ.د/ برقوق عبد الرحمن

أعضاء لجنة المناقشة:

تاريخ المناقشة: 23 جوان 2011

الإسم واللقب +الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أ.د: سلاطنية بلقاسم، أستاذ	رئيساً	جامعة محمد خيضر- بسكرة
أ.د: برقوق عبد الرحمن، أستاذ	مشرفاً ومقرراً	جامعة محمد خيضر- بسكرة
أ.د: زمام نور الدين، أستاذ	عضواً مناقشاً	جامعة محمد خيضر- بسكرة
أ.د: العايش عبد العزيز، أستاذ	عضواً مناقشاً	المركز الجامعي - خنشلة
أ.د: بخوش أحمد ،أستاذ	عضواً مناقشاً	المركز الجامعي - خنشلة
د: رميتة أحمد، أستاذ	عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية: 2011/2010 م

شكر وعرفان:

امتناني وعرفاني للأستاذ المغفور له المرحــوم أ/د: محــــي الدين مختار على نصائحه وتوجيهاته وتقديره.

كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد الرحمان برقوق على تفضله بقبول مواصلة الإشراف على هذا العمل المتواضع.

أشكر الأستاذ سعيد بلقيدوم (جامعة إكس بروفنس- فرنسا) على مساعداته القيمة لهذا العمل.

كما أشكر لجنة المناقشة التي قبل أعضــاؤها مناقشـــة عملـــي المتواضع هذا.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم في مساعدتي على إتمام هذا العمل.

عبد القادر

إهداء

إلى:

- الوالدة الكريمة .....
- روح الوالد طيب الله ثراه ....
- أبنائي: ياسمين وعلاء.....
- زوجتي الوفية والصادقة......

عبد القادر

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
▪ **فهرس الموضوعات...**	**(أ/و)**
▪ **قائمة الخرائط والأشكال التوضيحية...........................**	**(ح)**
▪ **قائمة الجداول...**	**(ط)**
▪ **قائمة الملاحق...**	**(ي)**
▪ **مقدمة عامة...**	**(ك/ ق)**

الباب الأول:

الجانب المنـهجي والإطارالنظري

الفصل الأول:

الجانب المنـهجي

1.الإشكالية...	22
2.فرضيات الدراسة...	27
3.أهمية الدراسة و أهدافها.................................	29
4.منـهج البحث وتقنيات الدراسة الميدانية.....................	30
5.حدود ميدان الدراسة.......................................	40
6.تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة..........................	45

الفصل الثاني:

المقاربة النظرية للتحولات الاجتماعية و المجالية

مقدمة الفصل...	49
1. المسعى الأنثروبولوجي.....................................	49
1.1. مبادئ المسعى الأنثروبولوجي................................	51
1.2. الأدوات الأنثروبولوجية....................................	52
2. الأنثروبولوجيا الحضرية...................................	55

1.2.المدينة والحضرية..	55
2.2. مدرسة شيكاغو و الأنثروبولوجيا المدينية................	61
3.2. المدينة العربية الاسلامية بين الماضي والحاضر..........	64
4.2. القصور والمدن في الصحراء الجزائرية..................	70
3.السكن الزواج والأسرة...................................	76
1.3. المسكن، بين الإكراهات البيئية والخيارات الثقافية.........	76
2.3. الأسرة والزواج وعلاقتهما بالسكن والتشكل الإجتماعي...	78
4. التغير الاجتماعي.......................................	81
1.4. مفهوم التغير الاجتماعي..................................	83
2.4. نظريات التغير الاجتماعي................................	85
3.4. عوامل التغير الاجتماعي..................................	93
4.4. التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائري.....................	96
خلاصة الفصل...	99

الفصل الثالث:

شبكة القصور والمدن في وادي ريغ، النشأة والوظائف

مقدمة الفصل...	102
1. شبكة القصور في وادي ريغ: النشأة والوظائف.............	103
1.1. المدينة التاريخية تقرت..................................	103
2.1. القصور في وادي ريغ، مجال متناغم متدرج.............	107
3.1. المنزل التقليدي، فضاء مغلق ذو دلالة هندسية اجتماعية...	110
2.المجموعات الاجتماعية وبنياتها التقليدية.....................	120
1.2. المجموعات الاجتماعية في المدينة التاريخية والقصور....	121
1.1.2. " الحشاشنة " انتماء لأصل أم لحرفة ؟................	122
2.1.2. " المجاهرية" النخب الاجتماعية المحلية ".............	127
3.1.2. أصول بدوية متمدنة، البدو و أنصاف البدو............	130

2.2. العلاقات الاقتصادية، النشاط الفلاحي وقوافل التجارة...... 141
1.2.2. وادي ريغ موطن النخيل.............................. 141
2.2.2. دور وادي ريغ في قوافل التجارة........................ 144
3.2. الشبكة الاجتماعية التقليدية ومسألة السلطة السياسية....... 146
4.2. الزوايا والمعتقدات الدينية.............................. 150
خلاصة الفصل.. 152

الباب الثاني:

الجانب الميداني

الفصل الرابع:

تاريخ و جغرافيا ومونوغرافيا تقرت ووادي ريغ

مقدمة الفصل.. 156
1. الفضاء الجغرافي والفزيائي لوادي ريغ.................... 157
1.1. الصحراء الكبرى.. 157
2.1. وادي ريغ... 160
3.1. جيومرفولوجيا.. 161
4.1. الهيدروغرافيا والهيدرولوجيا............................ 167
5.1. المناخ.. 169
2. تقرت بين الأسطورة والتاريخ............................. 173
1.2. قديما، أصل ريغة....................................... 175
2.2. العرب الفاتحون.. 180
3.2. تقرت عاصمة وادي ريغ في عهد " بني جلاب"........... 185
4.2. الإحتلال والإستعمار الفرنسي........................... 189
5.2. الثورة واسترجاع السيادة الوطنية........................ 195

الفصل الخامس:
التحولات المجالية لمدينة تقرت
من " المدينة التاريخية" إلى المدينة الصحراوية "الحديثة "

مقدمة الفصل.. 199

1. المدينة الكولونيالية، الإنفتاح والتثبيت من أجل السيطرة....... 201

1.1. منطق التنظيم الإستعماري للمجال العمراني والمجتمع.... 201

2.1. التنظيم المجالي الكولونيالي في تقرت والصحراء(الإنقطاع والتواصل).. 205

3.1. نشأة وتطورالأحياء العشوائية في المدينة، وجه الكولونياية الآخر.. 210

2. البنية المجالية الجديدة للمدينة: ميكانيزمات إعادة التشكل..... 211

1.2. الديناميكية الديموغرافية في تقرت ووادي ريغ........... 214

2.2. التعميرالحديث وتحول معاييرالتنظيم العمراني.......... 219

3.2. التدهور الحتمي للقصور القديمة ونشأة الأحياء الحضرية.. 223

4.2. مخططات التعمير والتهيئة الجديدة....................... 227

3. وظائف العمران الجديدة وتحول هيكلة النشاطات............... 234

1.3 بروز الطبقات الوسطى والعمل المأجور.................. 234

2.3 المدينة التجارية، إقتصاد النخب الجديدة.................... 239

3.3. الريف والمدينة وآليات تحول النشاط الفلاحي الجديد...... 242

4.3. أنشطة جديدة، نخب اجتماعية جديدة..................... 243

خلاصة الفصل.. 246

الفصل السادس:
التحول الإجتماعي في المدينة وآلياته

مقدمة الفصل.. 248

1. المجموعات في المدينة بين التمايز والذوبان: إعادة تشكيل البنيات الاجتماعية............................ 249

1.1. نسق الحشاشنة من العائلة الكبيرة إلى الأسر النووية......... 251

2.1. الحشانة لم يعودو فلاحين.................................... 253

3.1. تحول المجموعات النخبوية التقليدية(المجاهرية)............ 258

4.1. أصول بدوية متمدنة (بين النظام السلالي وظروف التمدن)....... 262

1.4.1. القبيلة في المدينة.. 265

2.4.1.البدوالمتمدنين والمهن الجديدة.............................. 270

3.4.1. الوافدون من الشمال: إندماج أم إنتماء؟...................... 275

2.الإستراتيجيات الاجتماعية(الملكية، التعليم، السلطة).............. 277

1.2. عناصر التحول الإجتماعي الملكية، التعليم، السلطة.......... 277

2.2. الإستراتيجيات الاجتماعية من خلال الممارسات............. 280

3.2. الروابط السلالية التقليدية بين الرمزية والواقع................ 288

3.المجال الحضري، تمثله والمخيال الذي يحمله عند سكان المدينة.. 290

1.3. تمثل المجال الحضري في خطاب سكان المدينة............ 292

1.1.3. تمثل المجال عند الحشاشنة.............................. 292

2.1.3. تمثل المجال عند البدو المتمدنين.......................... 295

خلاصة الفصل... 297

الفصل السابع:
السكن والبنية الأسرية والزواج: الرهان العقاري والهوياتي

مقدمة الفصل............ 300

1.الأسرة في تقرت وتغير نمط السكن والتساكن.......... 301

1.1. الأسرة في المجال السكني............ 301

2.1. أنواع التعايش في المجال السكني.......... 311

3.1. مسار إقامة الأسرة: الحركية المجالية رهان عقاري وهوية... 321

4.1. هندسة السكن الجديدة............ 331

2.الزواج عند المجموعات الإجتماعية، القرابة والسكن............ 338

1.2. العلاقات السلالية، بنية الزواج وممارساته في المدينة........ 339

2.2. تحول علاقات الزواج بين انفتاح الامكانيات وترسيخ الشبكات التقليدية............ 352

خلاصة الفصل............ 359

الخلاصة والاستنتاجات العامة

أولا: خلاصة الجانب النظري............ 362

ثانيا: خلاصة الجانب الميداني............ 367

المصادر والمراجع............ 377

ملاحق الدراسة............ 379

قائمة الخرائط والأشكال التوضيحية

الرقم	عنوان الخريطة أو الشكل	الصفحة
1.	خريطة موقع وادي ريغ وتقرت	41
2.	مخطط لمنطقة تقرت نواحي تقرت	44
3.	مخطط تقرت التاريخية مستاوة	105
4.	مخطط لتجمعات القصور القريبة من تقرت وحركة القبائل، الوضع حوالي نهاية القرن التاسع عشر	109
5.	نماذج مخططات للمنزل التقليدي بوادي ريغ	112
6.	مخطط السقيفة يوضح التدرج في الدخول إلى المنزل التقليدي حسب مبدأ التدرج في الخصوصية	114
7.	مواد وتقنيات البناء للمنزل التقليدي	116
8.	قصور ومدن وادي ريغ	166
9.	منحنى بياني لتزايد السكان في مدينة تقرت	216
10.	مخطط بياني لتطور حظيرة السكن في دائرة تقرت الكبرى	221
11.	الخريطة العمرانية لمدينة تقرت	231
12.	حركة إقامة البدو وأنصاف البدو في مدينة تقرت	274
13.	شبكة التضامنات الأفقية (القرابية) والعمودية(الإقتصادية) عند المجموعات الاجتماعية في تقرت	289
14.	الأصل الجغرافي للوافدين على مدينة تقرت من داخل الأقليم	329
15.	الأصل الجغرافي للوافدين على مدينة تقرت من خارج الأقليم	330
16.	نموذج مخطط هندسي لمنزل فردي بني في تقرت	335
17.	هندسة منزل حسب ما رسمه صاحبه وقام بإنجازه	335

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1.	توزيع المحادثات على أنواع وانتماء الأسر وأنواع السكن	34
2.	أهم مجالات التغير الاجتماعي بين المجتمع التقليدي والحضري	98
3.	حيوانات تعيش في بيئة وادي ريغ	171
4.	التســاقطات، الرطوبة والحرارة في مدينة تقرت	172
5.	نمو السكـــــــــان في بلديات تقرت الكبرى1977-2008	215
6.	الهجرة بين البلديات في تقرت87 – 1998	217
7.	الهجرة من وإلى الولايات الأخرى بين 87 – 1998	218
8.	تطور حظيرة السكن في دائرة تقرت الكبرى	221
9.	توزيع السكنات المشغولة حسب نوع السكن في دائرة تقرت	223
10.	توزيع السكان والمساكن في بلديات مدينة تقرت	303
11.	أنواع الأسر وأشكال التعايش في المجال السكني في مدينة تقرت	312
12.	سن أرباب الأسر	316
13.	طرق إنجازالسكن التي يلجأ إليها في المدينة.	319
14.	حالة إنجاز السكنات	320
15.	بعض طرق الحصول على السكن في أحياء المدينة الجديدة	324
16.	مكان قدوم الأسر حسب مكان السكن الأخير	326
17.	الوضع القانوني للسكن	337
18.	أنواع الزيجات عند المجموعات الاجتماعية	344
19.	الزيجات المختلطة بين المجموعات الاجتماعية	356
20.	حركية الأزواج والزوجات بين 1985 - 2000	357

قائمة الملاحق

الرقم	عنوان الملحق	الصفحة
.1	نموذج استجواب ميداني حول الأسرة والسكن	389
.2	عينات من المحادثات الميدانية	396
.3	صور وأشكال توضيحية من ميدان الدراسة	406

مقدمة عامة

لقد طرحنا في المذكرة التي أعددناها لنيل درجة الماجستير[1] ما يمكن أن يمثل جزءا ولو تمهيديا من بحثنا هذا، ناقشنا من خلالها إشكالية: **الهياكل الاجتماعية ونـوع علاقاتها بمجالها الإقاماتي والسكني من خلال استراتيجياتها الإجتماعية وممارسـاتها وتمثلاتها في النزلة[2] تقرت.**

اقتناعا منا من جهة وتلبيةً لتوجيهات لجنة المناقشة آنـذاك، رأينـا مواصـلة الموضوع وإثرائه وتوسيعه من ناحية المجال العمراني الذي يجب أن يشـمل المدينـة كلها أي مدينة تقرت الكبرى، ومن ناحية المجتمع الذي يجب أن يشـمل المجموعـات الاجتماعية الموجودة في المدينة وتحولاتها، وذلك للتمكن مـن نظـرة أشـمل وأعـم وأوضح. بذلك يتجدد موضوعنا الأساسي وينضج أكثر ويكتسب طموحا أوسع في إطار هذه الأطروحة، التي ترمي إلى التمكن من دراسة التحـولات الاجتماعيـة وعلاقتهـا بالمجال العمراني في مجال دراستنا وفي الصحراء الجزائرية عموما إذا تمكننـا مـن التعميم.

---

1 **خليفة عبد القادر:** *" الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية في النزلة – تقـرت – مقاربة أنثروبولوجية".* مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. جامعة منتوري قسنطينة 2005.

2 **النزلة:** من أهم أحياء مدينة تقرت، تمثل بلدية مستقلة منذ 1984، وهي جزء من المجال العمراني لمدينة تقرت الكبرى، بها حولي 52000 ساكن معظمهم من الحشاشنة وأولادنايل البدو المتمدنين.

لقد حاولنا في عملنا هذا اقتراح تفسيرٍ للعلاقات الاجتماعية الجديدة الناتجة من تحولات البنية الاجتماعية سواء للمجموعات الاجتماعية الواحاتية أو للقبلية المتمدنة في مدينة تقرت عاصمة إقليم وادي ريغ في الصحراء المنخفضة الجزائرية، معتبرين أن التوافقات الاجتماعية الناتجة عن هذه التحولات اليوم هي في الحقيقة ما يمثل الواقع الاجتماعي اليوم، أو هي أيضا محصلة لممارسات وأفعال وتمثلات الأفراد، إذ وعندما يتصرف الفرد في هذه المدينة من خلال مهمته أو دوره كأخ، كزوج، كمواطن، كساكن عندما ينفذ التزاماته التضامنية، عندما يتبع العادة، أو ينفذ العرف، إنه لا يفعل سوى القيام بواجبه المحدد له سلفا خارج نطاقه الشخصي وخارج وعيه الفردي، هذا السلوك الذي حدده العرف والعادات والتنشئة الاجتماعية التنظيمية والقبلية وأيضا وفي نفس الدرجة معتقدات وممارسات الحياة الدينية.

إن نسق الرموز ودلالاتها الذي يعبر به الفرد في هذه المدينة عن تمثلاته من خلال خطابه، الخطاب الذي نستعمله كأداة لكشف الواقع من خلال بحثنا هذا مكتشفين طرقا مختلفة من الممارسة، من التفكير، من الإحساس والتمثل. بعبارة أخرى، فإن القواعد القانونية، الأخلاقية، المعتقدات الدينية، الأنساق الاجتماعية ليست إلا وقائع أنثروبولوجية مركبة تأسست على نسبيات فردية وثقافية.

إن المدروس ضمن هذا البحث هي تحول العادات الجماعية للتضامن لمجموعة اجتماعية و الحركية الاجتماعية المرتبطة بالمجال أو البيئـــة الاجتماعيـــة، المعتقــدات الاتجاهات، الممارسات، الاستراتيجيات الاجتماعية أو بعبارة أخرى الواقع الاجتمـــاعي والمستكشف من خلال الممارسات الاجتماعية والعائلية والمرتبطة بالمجـــال، المجـــال الإقاماتي والسكني والحضري.

إن الممارسات والاستراتيجيات الاجتماعية تأتي ضمن ظرف عام هو التحـــول الاجتماعي المتعلق بدوره بالتطور العمراني الذي تشهده منطقة وادي ريغ كغيرها مـــن مناطق الصحراء الجزائرية، إذ أن تدهور النسيج العمراني للقصور وما يسمى بالسكن التقليدي وانتهاء " وظيفيتها " حاليا و صعوبة تأقلمها مع شـــروط الحيـــاة الاقتصـــادية والاجتماعية "الحديثة"، أجبرت المخططين من جهة، والسكان من جهة أخـــرى علـــى التدخل على مستواها و بناء نماذج مساكن جديدة تتأقلم مع متطلبـــات الحيـــاة اليوميـــة الجديدة، وتستجيب للضغوط الديموغرافية المتزايدة، والاقتصادية والثقافيـــة المســـتجدة أملى على الفاعلين الرسميين من خلال مخططات وقـــوانين وأدوات التعميـــر إدخـــال مقاييس جديدة على المجال العمراني والسكني أشكال ووظائف جديدة للفضاءات المهيأة خلقت أنواع جديدة من التعايشات الاجتماعية والممارسات اليوميـــة. هـــي مـــا يمثـــل "حضرية" مدن الصحراء الجزائرية اليوم.

إن ظواهر تمدن البدو، والتغير الاجتماعي الســريع للمجموعــات الاجتماعيــة التقليدية سواء منها الحضرية القديمة أو القروية أو البدوية بأنواعها المحتلــة لمجــال المدينة، والهجرة إلى هذه المناطق من الشمال، أثرت وتــأثرت مــن خــلال التطــور العمراني و التحول الاجتماعي لهذه المنطقة.

في الواقع العمران ليس جديدا في الصحراء، إذ يملك جذورا عميقة في التــاريخ إنه في الغالب ثمرة تجارة القوافل والتي نشّطت ضفتي الصــحراء الكبــرى الشــمالية والجنوبية طيلة عشرة قرون (من القرن العاشر وحتى التاسع عشر الميلادي) وهو مــا يفسر نشأة و تطور المدن في الصحراء كمراكز إشراف أو ربــط لقوافــل التجــارة وبالتالي عمران الصحراء يملك طابعا أصيلا و ذاكرة غنية من خلال القصور والمــدن التي شكلت أنوية المدن الحديثة التي تطورت انطلاقا منها في ظروف تاريخية مختلفة.

لطالما أُنشئ وتنظم هذا المجال العمراني التقليدي المتمثل في القصور والمدن التاريخية، على أسس من التناغم البيئي والاجتماعي، كون " القصر التقليدي" و"المدينة التاريخية" هي في الواقع – وعند نشأتها- نتــائج مراعــاة دقيــق لظــروف البيئــة

الصحراوية وأيضا تمثيل لصورة تنظيم اجتماعي وسياسي واقتصادي لسكانها، وهذا ما خلصت إليه جل الدراسات التي تعرضت إلى هذا المجال العمراني سواء من الناحية الهندسية أو الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية[3].

محتويات الأطروحة

تتضمن هذه الأطروحة بابين وسبعة فصول رأينا أنها تجيب على التساؤلات والقضايا التي طرحناها سواء من الجانب النظري أو الميداني.

- **الباب الأول:**

يتضمن الجانب المنهجي والإطار النظري تضمن ثلاثة فصول هي:

- **الفصل الأول**

تضمن الجانب المنهجي من طرح للإشكالية وظروفها كما حددنا فيه منهج وأدوات المقاربة الميدانية السوسيو-أنثروبولوجية، مع تحديد مجال الدراسة العمراني والاجتماعي وقضايا تحديده، مركزين على توضيح الإشكالية المركزية التي تتعلق أساسا بالتحولات الاجتماعية سواء على مستوى المجموعات الاجتماعية التي تقطن

---

[3] **حملاوي علي**: *نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تايخية وأثرية*.المؤسسة الوطنية للفنون المظبعية، الجزائر 2006.

المدينة أو الأسر والعائلات مراعين التحولات التي تمس أساسا البنية الاجتماعية، كما أدرجنا التساؤلات الفرعية التي بنيت عليها فرضيات الدراسة.

- الفصل الثاني

أدرجنا ضمنه التمهيد النظري كمرتكز للدراسة الميدانية المتعلقة بمنطقة الدراسة الميدانية. ركزنا من خلاله أولا على التمعن في أساسيات البحث الأنثروبولوجي وأدواته الميدانية كإطار عام للدراسة، كما أدرج استهلال واف عن موضوع الأنثروبولوجيا الحضرية وأهم مدارسها وروادها، معرجين على تعريف المدينة العربية الإسلامية وتطورها وأيضا القصور والمدن في الصحراء الجزائرية، ثم أشرنا إلى السكن والأسرة كأنوية للمدينة والمجموعات الاجتماعية. وأيضا أدرجنا بعض مفاهيم ونظريات التغير الاجتماعي كإطار هام للدراسة أيضا.

- الفصل الثالث:

تضمن هذا الفصل الهام في نظرنا دراسة مفصلة عن القصور والمدن التاريخية في منطقة وادي ريغ، منطقة الدراسة من حيث نشأتها وتطورها ووظائفها التاريخية والمجموعات الاجتماعية التي تسكنها ونظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لأنه لا يمكننا فهم التحولات دون معرفة البعد التاريخي الاجتماعي لهذه المنطقة.

الباب الثاني:

وقد خصص للجانب الميداني للدراسة تضمن أربعة فصول وهي:

- **الفصل الرابع**

وتضمن دراسة جغرافية، وتاريخية، لمنطقة وادي ريغ وبالخصوص منطقة تقرت. من ضمنه الإطار الفيزيائي الذي يوضح خصوصية المنطقة الصحراوية وردت ضمنه معلومات موثقة عن الموقع والتضاريس والمناخ والمعطيات البيئية، والجانب التاريخي الذي يعطي فكرة عن مساهمة المنطقة وارتباطاتها التاريخية ابتداء من التاريخ القديم وحتى نيل الاستقلال.

- **الفصل الخامس**

تضمن التحولات المجالية لمدينة تقرت، مركزا على التطور التعميري والعمراني في هذه المدينة منذ الاحتلال الفرنسي أين بدأت أنواع القطيعة مع النظام التقليدي العمراني المنظم والمتناغم مع الخصوصية البيئية والثقافية لسكان المنطقة ثم التحولات التوسعات العمرانية أثناء الاستقلال وتطور المدينة ووظائف العمران الجديدة وتحول هيكل النشاطات.

- **الفصل السادس:**

وتضمن دراسة ميدانية للمجموعات الاجتماعية في المدينة وآليات تحولاتها من خلال استراتيجياتها الاجتماعية الجديدة وعلاقاتها بغيرها من جهة وبالمجال الحضري من جهة أخرى. ومن خلال التغيير في أنشطتها الاقتصادية، وتغير بنية العلاقات الاجتماعية في المدينة وقياس مدى بقاء الروابط السلالية داخل وبين المجموعات الاجتماعية المشكلة للنسيج الاجتماعي لسكان المدينة، كما تطرقنا من خلال خطاب السكان لتمثلاتهم عن مدينتهم ومجالهم الحضري الذي يعيشون ضمنه.

- **الفصل السابع:**

تضمن هذا الفصل، موضوع الزواج والبنية الأسرية والسكن، باعتبار الأسرة والسكن هما النواة التي تحدد من خلالهما الإستراتيجيات الاجتماعية الجديدة وتتضح من خلالهما التحولات الاجتماعية والمجالية.

الخلاصة والنتائج:

وقد ركزنا من خلالها على استخلاص النتائج التي خلصت إليها الدراسة الميدانية، ومناقشة الفرضيات ومحاولة الإجابة على الإشكالية والأسئلة المركزية التي طرحناها في بداية العمل الميداني.

آملين من هذه الدراسة أن تكون ذات فائدة علمية، في التأسيس لمجال بحث هام وواعد، أو على الأقل طرح إشكاليات هي من صميم الاهتمامات العلمية في مجال التحولات الاجتماعية والتطور العمراني، وواقع المعيش اليومي لسكان الصحراء الجزائرية.

والله الموفق.

الباب الأول:

الجانب المنهجي والإطار النظري

الفصل الأول:
الجانب المنهجي

1. **الإشكالية**
2. **فرضيات الدراسة**
3. **أهمية الدراسة و أهدافها**
4. **منهج البحث وتقنيات الدراسة الميدانية**
5. **ميدان الدراسة**
6. **تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة**

1. الإشكاليــــة:

إن جوهر أو – طموح– هذا العمل ينصبّ من منطلــق مقاربــة سوســيو– أنثروبولوجية علـــى التغيــر الاجتمـــاعي، أي التغيــر فـــي البنيـــة الاجتماعيـــة communautaire للمجموعات الاجتماعية في الصحراء الجزائرية. إنـــه يتعلــق كذلك بتحليل اجتماعي أنثروبولوجي للمجال الاجتماعي في مدينة تقرت[1]. (القبيلة، المجموعة الاجتماعية، التضامنات، العادة والعرف، الثقافـــة، الـــذاكرة، الجغرافيـــا المجال العمراني)، كلها ظروف بيئية و اجتماعية تعرضت وتتعرض إلى تحـــولات عميقة عبر التاريخ والتطور الاجتماعي في الصحراء الجزائرية، أدت إلـــى تزايـــد وتنامي كثافة العلاقات الاجتماعية الناتجة بدورها عن عملية تقسيم العمل[2] أو بروز نسق تراخي القواعد والقيم الاجتماعية التقليدية للمجموعات الاجتماعية هذه.

---

[1] **تقرت:** مقر دائرة، تضم أربع بلديات (تقرت، النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية) تقتسم نفس النسيج العمراني في مدينة واحدة، عاصمة إقليم وادي ريغ من أهم مدن الصحراء الجزائرية، تقع حوالي 650كلم جنوب شرق العاصمة الجزائر، حوالي 150000 ساكن.

[2] حسب تعبير دوركايم في : **Durkheim (E)** *« De la division du travail scocial »* , Puf Paris 1976.

إن الصحراء اليوم حضرية بالدرجة الأولى، هذا ما تكشفه كل الدراسات والإحصائيات الحديثة[1]، 80% من سكانها باتو حضريين، يبدوا هذا ملفتا للنظر ! إذ وفي ماض ليس بالبعيد كانت الصحراء تُكتشف من خلال امتداداتها الواسعة وجنان واحاتها الصغيرة، وقصورها ومواطن البدو المنتشرة فيها. أما اليوم فيتم ذلك عبر المدن، التي في طور التوسع، إذ أن من بين الـ35 مدينة جزائرية الأولى في الترتيب من حيث الحجم 7 منها صحراوية (بسكرة، ورقلة، بشار، غرداية، تقرت، الوادي، الأغواط) تضم هذه المدن لكل واحدة أكثر من 100000 ساكن[2].

إن المرور من "القصر" أو "المدينة التاريخية" إلى المدينة " الحديثة " مرورا سريعا أو متسارعا، تصاحبه بالضرورة الكثير من التحولات الإجتماعوثقافية وبذلك يطرح عديد التساؤلات حول هذه التحولات وتأثيرها على أنماط الحياة وفي الممارسات اليومية الحضرية لسكان هذه المنطقة التي كانت وفي عهد قريب مطبوعة بالمحلية وبالخصوصية الصحراوية.

إن التحول – المفاجئ– للصحراء بعد استرجاع السادة الوطنية، نحو نظام ذو نظرة وطنية إستراتيجية بإدماج المنطقة ضمن المجتمع الوطني العام وتساوي

---

[1] **Marc Cote :** « *La ville et le désert ; le Bas-Sahara algérien* » IREMAM KARTHALA ; Paris 2005 ; P 05.

[2] **Marc Cote :** ibidem ; P15.

معدلات ومؤشرات النمو مع المعدلات الوطنية سواء في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي، مثلما أفاد المنطقة في تجاوز مرحلة طويلة من الحرمان والعزلة خاصة ضمن فترة الاحتلال الفرنسي، كان أيضا سببا في كثير من التحولات في البنية الاجتماعية والأسرية، وأنماط الحياة.

إن التوسع العمراني المجالي لهذه "المحليات" بعد أن خرجت المدن عن أسوارها التقليدية والقصور عن أزقتها الضيقة، أدخل أساليب جديدة للحياة وشروط جديدة ومتطلبات جديدة على المجال السكني، تحث هذه التحولات على التفكير و التساؤل عن حاضرها – وإن أمكن عن مستقبلها – إذ أنها وحسب ملاحظاتنا في الميدان تمثل الواقع اليومي و الحضري في مدن الصحراء الجزائرية عموما وفي مجال دراستنا بالخصوص مدينة تقرت الكبرى.

تمثل مدينة تقرت الكبرى – "عاصمة" إقليم وادي ريغ– نموذجا هاما لهذه الحضرية الجديدة والتحولات الاجتماعية في واحات الصحراء الجزائرية. إذ و منذ عقود قليلة كانت هذه المدينة لا تزال مرتبطة بالنظام الفلاحي/ الواحاتي / البدوي من جهة، وحركة قوافل التجارة من جهة أخرى. نتيجة لتحولات فرضتها الظروف

الداخلية والخارجية أضحت اليوم مشروعا عمرانيا اجتماعيا واسعا ومفتوحا، في طور التشكل والإنجاز، نحو أفق جديد تحولت فيه البنى الاجتماعية والأسرية و أنماط السكن والحياة.

إن تعبئة الوسائل المعرفية **النوعية** لفهم البنى الاجتماعية الجديدة والإستراتيجيات والتمثلات والممارسات، لرسم حاضر المدينة الصحراوية اليوم. من خلال المقاربة الاجتماعية الأنثروبولوجية لتحول البنى الاجتماعية والمجالية في مدينة تقرت، لمناقشة ومحاولة الإجابة على التساؤل المحوري في هذه الدراسة، إن التساؤل المركزي في هذه الدراسة هو:

ما هو واقع التغير الاجتماعي و علاقته بالتطور العمراني في مدينة تقرت من خلال الممارسات اليومية والإستراتيجيات الاجتماعية والأسرية والتمثلات ؟

ولمحاولة الإجابة على هذا التساؤل المركزي يفترض بنا المرور عبر الإجابة على أسئلة فرعية مثل:

أولا: ما هو منطق تنظيم بنى المجموعات الاجتماعيـــة التقليديـــة وعلاقتهـــا بالمجال العمراني التقليدي في منطقة وادي ريغ و الذي شكل المرجعية الاجتماعيـــة الثقافية والعمرانية لسكانه ؟

ثانيا: ما هي أهم التحولات المجالية التي شهدتها المدينة تقرت عمرانيا من خلال سياسات التعمير وأدواتها منذ الاحتلال الفرنسي وحتى اليوم؟

ثالثا: ما هي أهم التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجموعات الاجتماعيـــة في المدينة من النظام الفلاحي الواحاتي والبدوي إلى الحضرية، وأهم استراتيجياتها وممارساتها الاجتماعية والأسرية المتعلقة بالمجال العمراني؟

رابعا: ماهو حاضر المدينة اليوم من خلال آليات التحولات الاجتماعية للمجموعات الاجتماعية واستراتيجياتها الإجتماعية وعلاقاتها الجديدة فيما بينها وأنواع تعايشها وتمثلاتها لمجالها وأنشطتها الجديدة؟

خامسا: أي حضرية هي في طور التشكل، من خلال التمثلات les représentations بمقابلة تدخلات مختلف الفاعلين، الأدوات التعميرية الرسمية و استراتيجيات المجموعات الاجتماعية والأسر ؟

2. فرضيات الدراسة

من منطلق الاعتماد على الفهم من الواقع الإنساني نفسه، نكتفي بإطلاق إجابات مؤقتة على التساؤلات المطروحة.

أولا: إن منطق تنظيم بنى المجموعات الاجتماعية التقليدية وعلاقتها بالمجال العمراني التقليدي في منطقة وادي ريغ و الذي شكل المرجعية الاجتماعية الثقافية والعمرانية لسكان الواحات يعتمد بالأساس على التناغم البيئي من جهة والتدرج من العام إلى الخاص، يستجيب لمتطلبات التنظيم والبنية الاجتماعية التقليدية، كونه مجال أنتجه المجتمع نفسه.

ثانيا: إن أهم التحولات المجالية التي شهدتها المدينة تقرت عمرانيا من خلال سياسات التعمير وأدواتها، تتماشى والمراحل التاريخية التي مرت بها البلاد عموما من العمران التقليدي إلى المدينة الكولونيالية إلى المدينة التي هي في طور التشكل، المتميزة بالضغط الديموغرافي من جهة وأزمات التسيير المركزي.

ثالثا: إن أهم التحولات الاجتماعية التي شهدتها وتشهدها المجموعات الاجتماعية في المدينة تتميز من جهة بالمحافظة على القيم والموز التقليدية الموروثة ومن جهة أخرى التأقلم مع التحولات الاجتماعية والعمرانية المتسارعة، توظف

كمحصلة لهذه التحولات استراتيجياتها وممارسات اجتماعية وأسرية لتملك المجـــال العمراني واستغلاله؟

رابعا: إن حاضر المدينة اليوم من خلال آليات التحولات الاجتماعية للمجموعات الاجتماعية واستراتيجياتها وعلاقاتها الجديدة فيما بينها وأنواع تعايشها وتمثلاتها لمجالها وأنشطتها الجديدة، يتميز بمعالم مدينة في إطار التشكل، تعكس مجتمعا في إطار التحول.

خامسا: تبرز معالم المدينة المتحولة في مجتمع يكتسب شيئا فشيئا حضرية خاصة تتميز بالتوفيق بين المنطق الثقافي التقليدي المميز لخصوصية المجموعات الاجتماعية والمنطق العصراني الذي تدفع باتجاهه مظاهر العولمة.

3.أهمية الدراسة و أهدافها

إن أهمية هذه الدراسة في نظرنا -على الأقل- كونها تجازف لأن تكون من قلائل الدراسات في مستوى الأطروحة التي تتعرض لمجال الصحراء في وضعها الحالي اجتماعيا ومجاليًا والتي وإن وفِقت قد تساهم منهجيا ومعرفيا في فتح المجال في هذا الباب، ومن الأهداف التي نطمح إلى تحقيقها هي:

أ. الهدف الأساسي لهذا البحث وكغيره من الدراسات الكيفية هو الفهم فهم معاني الاستراتيجيات الاجتماعية والممارسات والتمثلات المتعلقة بالمجال العمراني، عن الدلالات التي يعطيها الفاعلون لوضعياتهم، عن تأويلهم لأفعالهم.

ب. إثراء المنطلقات النظرية والمنجية التي تعرفها الأنثروبولوجيا اليوم في الجزائر في تأطيرها للظاهرة الاجتماعومجالية، والتأسيس لمنطلق ولو متواضع لتنطلق منه دراسات نتمنى أن تكون كثيرة حول الموضوع، (مخابر بحث، مشاريع بحث...الخ).

ج. إلقاء أضواء التحليل العلمي على منطقة من مناطق صحرائنا الواسعة التي تبشر بمستقبل تنموي كبير، لفهم واقعها الاجتماعي والعمراني.

د. الإسهام في الربط بين من يهتمون بالتعمير والعمران والاجتماعيين لما للتخصصين من ترابط جوهري نرى أنه غير مفعّل ومدروس

لفائدة تسيير وبناء المجال العمراني على أساس واقعي علمي ومنهجي.

4.منهج البحث وتقنيات الدراسة الميدانية

تبقى مسألة الحسم في الخيارات المنهجية لدى الباحث من أعقد المراحل في عملية البحث العلمي، لأن الباحث يكون مرغما على الحسم في خيار منهجي يكون الأقرب إلى الإجابة عن إشكالية البحث، وقد تم اختيارنا قناعة هو منطق الإقتراب من الفاعلين، أي منتجي المعاني. يتحدث (جورج بالانديه) Balandier Gorges، فيما أسماه " أزمة المناهج" مركزا انتقاده " للمناهج الكمية " التي تستعمل الكثير من التقنيات من أجل نتائج ليس لها مفعول كبير في فهم المجتمع لذا دعى بالانديه إلى علم اجتماع يتم مع الفاعلين[1]، وهو ما سعينا للقيام به في هذه الدراسة.

ورغم أن الاتفاق في المنهجيات لم يحدث وأن تم الحسم فيه في مجال علم المعرفة الخاص بمنهجية العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أن المتفق عليه هو أن المقاربة المنهجية لا يمكن أن تنشأ من فراغ نظري وهو ما يركز عليه مثلا (سيكوريل) A.Cicourel بقوله " **إن كل خيار أو حسم في مجال الأبحاث**

---

[1] **Ferraroti Franco**: « *histoire et Histoire de vie »*, Méridiens Klinck Sieck, Paris 1990.pp 8/9.

الاجتماعية يجب أن يكون له مقابلا نظريا ومفاهيميا" [1] وقد تم الحسم في هذه الدراسة لصالح المقاربة السويو- أنثروبولوجية، بما فيها الأنثروبولوجيا الحضرية كإطار منهجي ونظري من أجل الوصول إلى إجابة وافية عن إشكالية الدراسة.

إن أدوات التقصي المناسبة في نظرنا لهذا الموضوع هي **التحقيقات النوعية.** والتي لا يطرح مظهرها النوعي أية مشكلة لتمثيلية الشريحة المحقق معها ، ضمن منظور أنثر وبولوجي يهدف إلى دراسة واقع اجتماعي بمعرفة تمظهراته الخارجية للعلاقات الاجتماعية ومنطق تدخلات الفاعلين، في إطار هذا الأفق تم اللجوء أساسا كآداة أساسية إلى **أسلوب المحادثة غير الموجه (** semi-directive**)** والتي تمثل منبعا معرفيا هاما، فإن هذا الأسلوب تجريبي بالتعريف [2] مؤسس على التحقيق الميداني استلهم من التقاليد الأثنوغرافية من أجل تقنيات الملاحظة والذي يبني مواضيعه من الإشكاليات الاجتماعية، إن هدفه الانتقال من الخاص إلى العام لإيجاد أشكال اجتماعية وعلاقات اجتماعية، وميكانيزمات داخلية للمجتمع.

إن الأسلوب السردي هو في الحقيقة، إعادة إنشاء من طرف المبحوث لواقع معين حسب مخياله، ورغم ما يميز إعادة الإنشاء هذه من عوائق (ذاكرة، وضع

---

[1] **Cicourel A : «***Method and measurmrnt in sociology*».New York Free press;1964. p1.

[2] **Daniel BERTAUX «** *Les Récits de vie* » Nathan , Paris 1997 . p33.

معين، القدرة على السرد...) ليست هي الواقع المعاش بالضرورة لكن التحليل كفيل باستخراج العمق منها، إن السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا هي تخصصات لا تهتم في حقيقة الأمر إلا بالخطاب[1] ، يجب مقابلة هذه السرديات الواحدة مع الأخرى، إذا ما يهمنا ليس ما يجري أو ما جرى في هذه الأسرة نفسها بقدر ما يهمنا فهم شريحة من الواقع الاجتماعي والتاريخي . "إن المحادثة هي شهادة موجهة بنوايا المعرفة"[2].

كما استخدمنا المنهج التاريخي من خلال الإطلاع على مختلف الوثائق التاريخية الخاصة بتاريخ الصحراء عموما ومنطقة الدراسة الميدانية بالخصوص ويعرف المنهج التاريخي من قِبل Maurise Angers على أساس أنه عملية " إعادة بناء الماضي، بتفحص أحداثه انطلاقا أساسا من الوثائق والأرشيف[3].

---

[1] **Daniel BERTAUX** ; ibidem. p 52.

[2]**GHIGLIONE (B) et. MATALON (B)** « *Les enquètes Sociologiques, théories et pratiques » ;* Ed Armand Colin, Paris 1978. p54.

[3] **Maurice Angers** : «*Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines»,* Casbah Edition ; Alger, 1997,p9.

- المحادثات

بعد إجرائنا للإحصائيات الأولية ومناقشة حدود الميـدان والتعـرف علـى المجموعات الاجتماعية التي تتوزع على مختلف أحياء منطقة الدراسة، أجرينا **100 محادثة غير موجهة** مع مختلف أسر من المجموعات الاجتماعية التي تسكن ضمن إطار دراستنا الميدانية مدينة تقرت، اخترنا الأسـر مـن الأوسـاط الاجتماعيـة والاقتصادية والمهنية المختلفة.

الطريقة التي استعملناها في إعداد المحاورة، أولا قصدنا أن تتم المحادثات مع الأسرة في مجملها في منزلها ما أمكن ذلك وبالرغم من كون معظم الأسر محافظـة مما يجعل الاتصال مع المرأة مسألة صعبة لكننا تغلبنا على هذه الصعوبة باستعمال علاقات خاصة وأيضا أصدقاء وأقرباء هذه الأسر للتوسط لديها.

كانت محادثاتنا عادة تبدأ بملاحظات عامة نسجلها علـى المسـكن ووضـعه ومستواه وهندسته ومراحل بنائه ثم نقوم بشـرح موضـوعنا للمسـتحدثين معنـا وتوضيح الإطار العام المطلوب منهم أن يتكلموا فيه، ونسجل ما يقوله المتحدثون. خلال المحادثات تكتفي فقط ببعض الملاحظات أو الأسئلة التي من شـانها معلمـة الحوار أو لفت النظر إلى نقطة معينة نريد التركيز حولها. وقد حاولنا دائما تفـادي

طريقة (سؤال/جواب).بهذا الطريقة قد أتممنا مرحلتين من المحادثات مست في مجملها 100 أسرة راعينا قدر الإمكان أن تمثل مجموع الحالات الإجتماعية الموجودة سواءاً من ناحية توزيعها على المجموعات الاجتماعية الموجودة وأيضا المستوى المعيشي والاقتصادي والمهني وأيضا تقاطع هذه الحالات مع أنواع الأنسجة العمرانية حتى يكون التقصي موزعا بالتناسب حسب أعداد الأسر من كل نوع قد حددناه في جدول كالتالي:

جدول(01) **توزيع المحادثات على أنواع وانتماء الأسر وأنواع السكن**

الأصل الجغرافي / نوع السكن	حشاشنة مجاهرية(أ)	أولاد نايل(ب)	سعيد سوافا طيبات (ج)	آخرى(د)	مجموع
سكن تقليدي	08	2	2	2	14
فردي عادي R+1	12	15	14	18	59
فردي R+2	5	1	1	5	12
سكن جماعي	5	2	3	5	15
مجموع	30	20	20	30	100

هذا مع مراعاة النتائج التي أفضى إليها التحقيق بالاستجواب الذي قمنا به في نفس الوقت وذلك بتوزيع هذه والأسر أيضا بالتناسب على المستويات الاقتصادية الوظائف من جهة ومستوى رب الأسرة الثقافي، مع تفادي قدر الإمكان الحالات الخاصة جدا التي لا تفيدنا في موضوعنا. إذ كان هذا العمل يجري بالتوازي مع عمل أخر يتعلق بالاستجواب المدعم لهذه المحادثات، والاتصال بمختلف الفاعلين من مصالح تقنية وعمرانية بالبلديات، والحالة المدنية ومكاتب الدرسات ومديرية التعمير ومصالح الإحصاء والسكان وأعيان المدينة. وكان العمل يتم دوما بالمقابلة بين المنهج والتحقيق[1] ، بين النظرية والميدان.

- الاستجواب الميداني و التوثيق

الاستجواب الميداني الذي قمنا به وضعناه كمصدر معلومات من الدرجة الثانية، هذا الاستجواب الذي تم في الفترة من ماي إلى جوان 2007 تم على مستوى أحياء تغطي مجال دراستنا، مس الاستجواب شريحة من 550 أسرة كان الهدف منه هو تدعيم المحادثات النوعية بنظرة إحصائية يتم اللجوء إليه عند تعميم نتائج المحادثات[2].

[1] **Jean COPAINS** «*Introduction in A l'ethnologie et à l'anthropologie* » NATHAN Paris.1996. P19-20.

[2] **François DESINGLY,** «*L'enquête et ses Méthodes, le questionnaire, »* Nathan, Paris, 1992 p 35.

وأيضا التأكد من الإحصائيات الرسمية المعتمدة مثل الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 واستكمال المعلومات التي تنقصه ونحتاجها في مقاربتنا.

إضافة إلى هذه المصادر فقد حاولنا أن نطلع على سجلات عقود الزواج الموجودة في البلديات لتزودينا بنظرة دقيقة لتطور أنواع الزيجات ونظام المصاهرات وعلاقاتها بالقرابة بالنسبة للمجموعات الاجتماعية والأحياء المختلفة مركزين على الوقوف على تطور زواج القرابة، والمصاهرات بين المجموعات المختلفة واتجاهاتها ، وتغيير محل الإقامة بعد الزواج وتأثيرات التحولات الجديدة في هذه النظم، لكن الاصطدام بالعوائق القانونية جعلنا نكتفي ببلدية واحدة هي النزلة وهي من أهم البلديات تضم معظم أنواع المجموعات الاجتماعية المشكلة منها ساكنة المدينة قد مس تحقيقنا في السجلات سنوات مختلفة وزعناها بين سنة 1985 وقت تأسيس البلدية، ثم بعد ذلك بخمس سنوات، 1990 ، ثم سنة 2000.أما باقي البلديات فقد اعتمدنا في هذا على المحادثات والاستجواب.

- **التحليل الموضوعاتي**

لا يتعلق الأمر في التحليل باستخراج كل الدلالات من المحادثات فهي كثيرة، عميقة ومتعددة بل اكتفينا بالأكثر نجاعة لموضوعنا. اعتبارا من أن أي حوار يتم بين شخصين يمر عادة عبر ثلاث قنوات حركية (حركات وإشارات وتعابير) الكلمات المقالة، والكلمات التي لم تقل.وقد راعينا حسب الإمكان أن تدرس المحادثات ونحاول تحليلها دون إبطاء حتى لا نبعد مرحلة التسجيل عن التحليل.

كان المغزى الرئيسي هو إيجاد الهيكلة التعاقبية(Diachronic) لمسار وتاريخ الأسرة عبر ثلاثة أو أربعة أجيال بتضمينه ثلاثة أصناف من الواقع، واقع تاريخي، ونقوم بمفصلته مع التاريخ العام للمدينة والمنطقة أو الحي. والواقع النفسي أو السميائي وهو الذاتي نقوم باستخراج الإشارات منه على وضع معين، من خلاله يتم التعرف على التمثلات والمخيال، وواقع وصفي. هناك محصلة بين هذه الأصناف، وعند السرد يجب مراعاة النواة المركزية المستقرة التي يتمحور حولها بناء السرد أو المحادثة. كموضع معين أو حادث في تاريخ معين لإيجاد نوع من البنية أو السيرورة السببية.

حسب المبدأ الأساسي دلالات أي نص تقع في نقطة الالتقاء بين أفقين، أفق المبحوث وأفق التحليل فكل سرد إنما يوجه إلى ممارسات المبحوث والظروف الاجتماعية لممارساته وأيضا فهو سجل مجموعة دلائل حول المظاهر الاجتماعية ويمكن أن ننتظر من المبحوث أن يصف هذه المظاهر ومنطقها بواسطة جمل، أو كلمات أو إشارات أو تعابير، وأحد ركائز التحليل الفهمي هو تحديد الدلالات التي ترسلنا أو توجهنا إلى ميكانيزم.

هناك عدة دلالات متوفرة في محادثاتنا حاولنا تصنيفها إلى عدة مستويات الوضع الأساسي والذي اخترناه من خلال نوع السكن ونوع الأسرة من حيث:

- الأصل الجغرافي
- الروابط الاجتماعية: (العلاقة بين الأفراد، ونوع التعايش في السكن...)
- الروابط الذاتية: (مخيال الأسرة، مشاعرها...)

التحليل الأساسي الذي اعتمدناه مع عدم إهمال فوائد التحاليل الأخرى هو التحليل الموضوعاتي (thématique) فحسب صياغة الفرضيات اخترنا مسائلة حقول معينة من جوانب حياة الأسرة والهيكلة الاجتماعية والسكن وضعناها في شكل مواضيع يتم إفراغ نصوص المحادثات فيها حسب المواضيع ويتم تحليلها موضوعا

بموضوع بالاستعانة بمصادر معلومات أخرى يتبعها وتوضحها وتستدل بهـــا. مـــع مراعاة عبارات الفهم المحلي باستعمال عبارات اللغة المحلية واستكشاف ما تعنيه أو ما توحي به للسكان أنفسهم. حتى يتم إعطاء صورة كلية شاملة لظاهرة معينة فـــي مجتمع متعدد، للولوج إلى حقيقة الحياة الداخلية للأسرة، هذه الموضـــوعات والتـــي تستلهم من طرق وأنماط السكن والتساكن والهيكلة الاجتماعية والأسرية هي:

- أنواع السكنات.
- الأوساط والمجموعات الاجتماعية.
- الهيكلة الأسرية.
- مسارات الإقامة والاستراتيجيات الاجتماعية ذات العلاقة بالسكن.
- تمثل الأحياء والمدينة.
- الممارسات اليومية في الأحياء والمدينة.

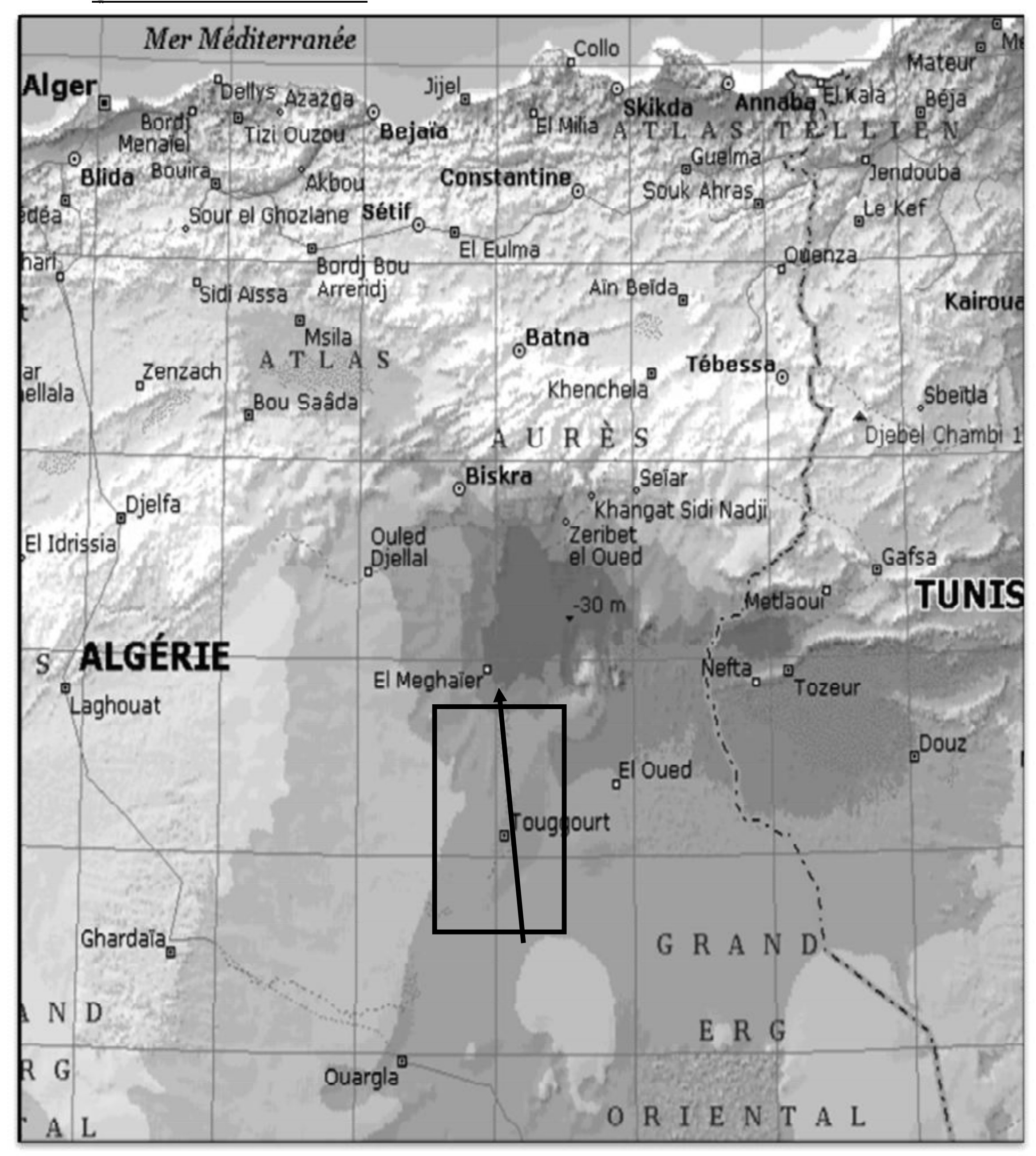
إن إكمال الملاحظات و إعطاء الكلمة للأفراد هي المنهجية النافعة و المفضلة لفهم نمط تدخل الفاعلين وكيف يضعون تطبيقات للنظم الرسمية.من هـــذا العـــرض السابق يتضح لنا أننا لم نقتصر في دراستنا على أســـلوب أو مـــنهج واحـــد ، وإن استخدامنا لمناهج متعددة يتطلبها نوع الموضوع وتشابك العلاقات الاجتماعية فـــي ميدان الدراسة ، فإذا كانت الملاحظة المباشرة تمكننا من جمـــع المعطيـــات حـــول المجموعات الاجتماعية وتوزيعها في الأحياء فإن المنهج التاريخي يحدد لنا مسارات

الإقامة والإستراتيجيات وتطور المجال العمراني ، ثم يأتي المنهج الإحصائي ليحدد لنا نسب الممارسات ، التي تسمح بالتعميم.

5.حدود ميدان الدراسة:

إن ما نسميه في هذه الدراسة " تقرت الكبرى"، قد تكون هذه التسمية اعتباطية إذا لم يتم تحديد هذا الإقليم جغرافيا وبدقة. إن تأثير المدينة يمتد من الشمال إلى الجنوب من مدينة المغير (حوالي100كلم شمال تقرت) إلى الحجيرة بمسافة لا تقل عن 200كلم، ومن الشرق إلى الغرب من منطقة الطيبات إلى دزيوة غربا، بما لا يقل عن مسافة 100كلم، كل هذا المجال والمقدر بـ2000كلم^2 يقع مباشرة تحت تأثير المدينة تقرت بصفة أو بأخرى جغرافيا، بيئيا، بشريا، اقتصاديا واجتماعيا[1].

[1] **Daniel Pelligra** « <u>*Systems de relations nomades ; région de Touggourt- Algérie*</u> » Doctorat de 3e cycle en sociologie, Ecole des Hautes études en Sciences Sociales France ; P11.



خريطة رقم:01 موقع مدينة تقرت

حدود تأثير مدينة تقرت

اتجاه المنحدر الذي شقت عليه قناة وادي ريغ

إن اعتباطية هذا المجال تكمن في، ارتباط منطقة (الطيبــات) مــثلا بــإقليم وادي سوف بقدر ما ترتبط بإقليم تقرت، وأيضا منطقة (دزيــوة) المرتبطــة بــإقليم الحجيرة وأيضا تقرت، المغير وجامعة بدورهما حتى وإن ارتبطتا إداريــا بــالوادي (التقسيم الإداري 1984)، إلا أنهما تمثلان امتدادا طبيعيا وبشريا لسلســلة واحــات وادي ريغ. إن عامل الارتباط في نظرنا هو مدى التأثير والتــأثر الــذي تمارســه المدينة أو تستقبله، إما بيئيا أو إقتصاديا أو اجتماعيا، وهذا ما يسمى فــي الأصــل بالمجال الاجتماعي المتكامل.

كما أن هذا المجال هو في نفس الوقت جزء طبيعــي مــن مجــال أوســع الصحراء المنخفضة. فالتنوع الجغرافي في هذا الامتداد هو الــذي مــنح للســكان المستقرين فلاحي النخيل(الحشاشنة) خصوصية طريقة حياتهم، وأيضا البدو الرحل. ففي الفضاء الغربي- غرب تقرت- يسيطر " الرق" باحتلاله كل إقليم غرب تقــرت لكنه يتميز بقلة رتابته إذ تتخلله مرتفعات ترابية تتفاوت من حيث الارتفاع وأيضــا الشطوط، كما يتمتع ببعض الغطاء النباتي الخفيف.

أما المنطقة شرق تقرت، وبمجرد الخروج من المدينة في اتجاه وادي سوف تتكون من "*بحر الرمال*"[1] كمجموعة من الكثبان الرملية السفلى غير المنتظمة والتي

[1] **Rey CAPOT** « *le Sahara Francais* » ; PUF ; Paris; 1953 ; P 145

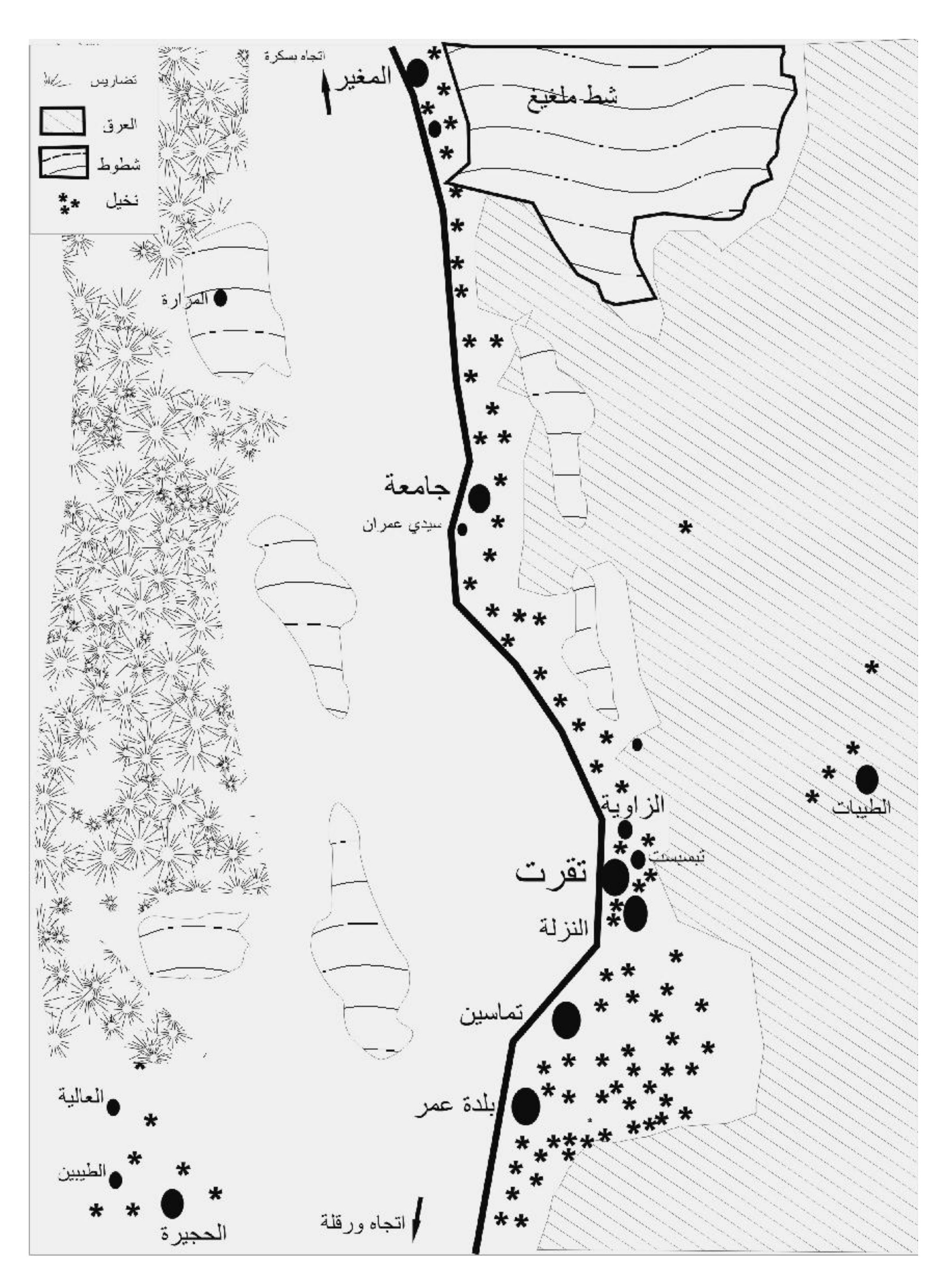
تغير اتجاهها حسب كل عاصفة رملية، يتعلق الأمـــر بـــالحواف الشـــمالية للعـــرق الشرقي الكبير.

إقليم سوف المجاور، يبدو أن التسمية تأتي من طبقة مائية جوفيـــة، وهـــي تسمية بربرية، سوف أو "سيف" تعني مجرى الماء، أو النهر، منبعها مـــن العـــرق المتجه من الجنوب نحو الشمال، هذه الطبقة كانت تبلغ من متوسط العمق 17 متـــرا تحت السطح وذلك في أواخر السبعينيات[1]. ولهذا أمكن زراعة النخيل بعـــد عمليـــة حفر وإزالة التراب الشاقة بين الكثبان الرملية لوضع فسائل النخيل قـــرب مصـــدر الماء، هذه الطريقة التي مكنت من ظهور واحات " الغوط" في منطقة وادي ســـوف وفي الطيبات أيضا، إلا أن هذه الطريقة الفريدة في استغلال الصحراء هي في زمن أفولها بفعل ظاهرة صعود المياه الجوفية والتي قضت على النخيل بفعـــل الاختنـــاق وخلفت مكان الغيطان التي طالما مثلت جمال المنطقة برك مـــن الميـــاه الصـــاعدة والراكدة أصبحت مصدر تهديد خطير للمنطقة بيئيا.

إذا أمكن لنا التخمين فإن المنطقة الأولى أي الغربية من تقرت تمثل صحراء البدو أما الشرقية فتمثل صحراء أنصاف البدو، وتقرت المدينـــة تتموقـــع بـــالظبط بينهما، ومن جهة أخرى تشرف على وادي ريغ الممتد شمالها وجنوبها وهو موطن "الحضر" sédentaires أي فلاحي النخيل.

---

[1] **Daniel Pelligra** «Ibidem »; P12.



المصدر: إنجاز الباحث (اعتمادا على دراسة **Daniel Pelligra** مرجع سابق ص 20)

(الشكل 2) مخطط لنواحي تقرت

6.تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة

لقد استعملنا في هذه الدراسة العديد من المصطلحات والمفاهيم، وحتـــى وإن كان تعريفها العام متوفر في مراجع ومعاجم علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا، فـــلا بد من تعريف وجهة نظرنا في استعمالها وما قصدناه إجرائيا لكـــل مصـــطلح أو تعبير:

-**البنية الاجتماعية:** استخدم علماء علم الاجتماع والأنثروبولوجيا للدلالة على شبكة العلاقات الاجتماعية المتواصلة والموجودة واقعيا بين الأفراد الـــذين يشغلون مناصب معينة[1]. أو للإشارة إلى نوع من الترتيب بين مجموعـــة نظم يعتمد بعضها على بعض، كما تعتبر وحدات البناء الاجتمـــاعي هـــي ذاتها بناءات فرعية[2] ، وأيضا هو ترتيب للأوضاع والمراكز وشبكة مـــن العلاقات بين الأشخاص أو الفاعلين، وقد قصدنا معناه بهـــذا المفهـــوم أي شبكة العلاقات بين الأشخاص والمؤسسات، العلاقات الفعلية التي تشـــكل بنية.

---

[1] **بيار بونت، ميشال إزار** (تحت إشراف): "*معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا*" تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد" بيروت لبنان ط1 2006، ص 304.

[2] **محمد عاطف غيث:**" *قاموس علم الاجتماع*" دار المعرفة الجامعية الاسكندرية (د . ت)، ص443.

-**المجال العمراني:** المجالespace وقصدنا به الحيز من المكان الذي تقام عليه منشئات بشرية للتمكن من ممارسة حياتها، ويمكن أن ينطبق على المدينة كمجال عمراني، ومجال اجتماعي، كما ينطبق على الحي والسكن وغيرها. أما العمران أو الإعمار والمقصود بها الإنسان ضمنيا مع كلمات (إسكان، استقرار، إقامة) أي شغل، ومفهوم العمارة يعود إلى الطريقة التي يتم فيها إعمار أرض، وعلى الطريقة التي تقوم من خلالها المجتمعات بشغل المدى أو المجال المسكون والدلالة عليه، كما ينطوي العمران على حالة قابلة للتغير، ويقتضي مجموعة تطورات ديموغرافية كالزيادة والهجرة والنزوح، تجعل الأماكن المسكونة وفق أنماط قابلة للتغير.

-**الإستراتيجيات الاجتماعية:** وهي الخطط والأهداف التي تتخذها المجموعات الاجتماعية في منطقة الدراسة سواء عن وعي من أفرادها أو عدم وعي للتأقلم مع أوضاع جديدة فرضتها ظروف التحولات الاقتصادية والمجالية، تظهر هذه الإستراتيجيات من خلال دراسة الممارسات اليومية التي وبعد تحليلها ومقارنتها بين المجموعات الاجتماعية يمكن الكشف عن هذه الإستراتيجيات والمتعلقة بالمجال العمراني كتملكه والعيش فيه وتبرير الوجود فيه، أو المتعلقة بالبنية الاجتماعية والتي نلاحظها من خلال تحليل

ممارسات الزواج وتطورها داخل المجموعة الاجتماعية وبين المجموعات الاجتماعية.

-**الممارسات اليومية:** من خلال الملاحظة والملاحظة بالمشاركة، يمكن التعرف على الأفعال والسلوكات التي يقوم بها الأفراد والجماعات في مسار الحياة اليومية، خاصة تلك الأفعال المتعلقة بالمجال العمراني أي طريقة العيش فيه وتملكه والسعي إلى تغييره وفق متطلبات اجتماعية ثقافية، هذه الممارسات وبعد تحليل مدلولاتها من خلال المقارنة يمكننا استشفاف ما يمكن أن تنطوي عنه من استراتيجيات ونوايا اجتماعية.

-**الحضرية:** ونقصد بها نماذج الثقافة والتفاعل الاجتماعي التي تنجم عن تركز عدد كبير – نسبيا – من السكان في مناطق محدودة نسبيا، وتعكس الحضرية تنظيم المجتمع في حدود تقسيم العمل المعقد، ومستويات التكنلوجيا المتطورة، والتنقل الاجتماعي السريع، والاعتماد المتبادل بين أعضائه في أداء الوظائف الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية غير الشخصية، وهي أيضا وبخلاصة طريقة حياة المدينة.

الفصل الثاني:
المقاربة النظرية للتحولات الاجتماعية المجالية

مقدمة الفصل

1. **المسعى الأنثروبولوجي**
2. **الأنثروبولوجيا الحضرية**
3. **السكن الزواج والأسرة**
4. **التغير الاجتماعي**

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

إن أي دراسة علمية، لا بد من أن ترتكز على محتو نظـــري، المحتـــوى الذي أسهم فيه الباحثون والدارسون، وتراكم عبر تطور أي تخصص، ولهذ رأينا أنه علينا الإنطلاق من جزء نظري جمعنا فيه من المادة العلمية، والتي رأينا أنها تناسب محتوى موضوع دراستنا ويمكن أن تكون قاعدة لها، ابتداء من المســـعى الأنثروبولوجي الذي تطمح الدراسة أن تصب فيه محتوى البحث الميـــداني، ثـــم التحول الاجتماعي الذي يندرج الموضوع أساسا ضمنه، وأخيرا موضوع العمران والمدينة، بإدراجنا خاصة لمدرسة شيكاغو المعروفـــة بدراســـاتها فـــي مجـــال الأنثروبولوجيا الحضرية، كما نخصص جزءا لدراسة للمدينة في الثقافة العربيـــة الإسلامية والمدينة في الصحراء الجزائرية.

1. المسعى الأنثروبولوجي

إن مؤسسة الأنثروبولوجيا ترتكز في جوهرها على البحـــث عـــن المعنى(le sens) والهدف الأساسي لأي بحث أنثروبولوجي أساسا هو بلوغ هـــذا الهدف، والوصول إلى الدلالات الأساسية للظواهر، يمر ذلك حتما عبر تأســـيس علاقة لمعرفة الآخر، أين تحاول الفهم من داخل عالم المبحـــوثين أي الإنســـان نفسه وهم في موضوع دراستنا سكان المدينة، إذ أن الـــربط بـــين المجموعـــات

الاجتماعية ومجالها، بين الساكنين ومسكنهم هي أبعد من أن تكون علاقة آلية هي تعتمد بالأساس على روابط نوعية عاطفية وهوياتية. وإذا كان ما يهمنا في الأصل هو تحول البنيات الاجتماعية والأسرية وعلاقتها بالمجال العمراني الحضري في الصحراء الجزائرية أي في المدينة وفي الحي وفي المنزل، أصالة هذه العلاقة وهذه التحولات، وحتى يتم الولوج إليها، يستلزم الأمر رصد الممارسات من خلال الملاحظة بالمشاركة، التي هي الأساس في أي مشروع أنثروبولوجي حسب تراث الأنثروبولوجيا الثري والطويل، وأيضا عبر تحليل خطاب الساكنين أنفسهم لكشف تمثلاتهم، وذلك بالانخراط في الحياة اليومية لهؤلاء وهو جوهر العمل الميداني، في هذا الأفق نركز على التمثلات كدلائل على الطريقة التي يفهم بها الفاعلون واقعهم[1]. إذ فمن الموقف الأنثروبولوجي يمكن فهم المجال الاجتماعي ومناويل احتلاله وتملكه والعيش فيه.

يبدأ المسعى الأنثروبولوجي عادة من الملاحظة، الملاحظة "الإشكالاتية" المثيرة للتساؤلات التي تقود البحث للكشف عن دلالات المتغيرات[2] ضمن هذا

[1] **Abdelkader LAKJAA** *; « L'habiter identitaire : Eléments pour une problématique d'une urbanité en émergence ».* **In Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales ; N°2 – Automne – 1997. p 82-85.

[2] **F rancois LAPLANTINE** «*la description éthlnogaphique*; » Nathan ; Paris 1996. p15.

المفهوم يتوجب استعمال إطارا مونوغرافيا[1]، لأن الباحث الذي يحصر تقصياته في مجال محصور أو في الحدود الضيقة لميدانه ويعتقد أنه يهمه دون غيره يحتمل جدا أن يصل به المطاف إلى عجز فاضح في التفسير، هناك علاقة جدلية بين فرضيات البحث وملاحظات الميدان، ولا يمكن لها أن تثمر **إلا إذا كانت الإشكالية ممركزة على موضوع دقيق وواضح وناجع، والتقصيات ممارسة في ميدان محدد والملاحظة " مونوغرافية "** إذن من الضروري وجود إطارا مونوغرافيا للإجابة على الاهتمامات الخلاصية للبحث، تأخذ منها الإشكالية روحها. وأيضا توسيع البحث إلى ما بعد الحدود الموسومة له سلفا.

1.1. مبادئ المسعى الأنثروبولوجي.

هناك مبادئ عامة راعيناها كونها تشكل أساس أي مسعى أنثروبولوجي:

أولا: اكتشاف الآخر، أي الخروج من الذات والالتقاء مع الفاعلين.

ثانيا: تركيز التقصي الأثنوغرافي في ميدان سوسيو ـ ثقافي مصغر ومحدد لأنه كلما وسعنا مجال وحدود ميدان البحث كان الالتقاء الحقيقي مع

[1] **Robert CHESSWELL** et **Maurice GODELIER** *« outil d'enquête et d'analyses anthropologique »* Maspero ; Paris, 1976. P22.

الفاعلين أصعب وأكثر سطحية وكلما كان أضيق يسمح ذلك بتعميق المعارف والتطورات الاجتماعية.

ثالثا: فك رموز التنوعات والمتغيرات الاجتماعية والثقافية وقد بحثنا عن هذه المتغيرات ضمن المجموعات الاجتماعية والأسر التي وقعت عليها الدراسة وقد راعينا في ذلك أربع متغيرات (مهنية اجتماعية، المستوى الدراسي، الأصل الجغرافي، الخصائص التقنية والتاريخية للسكن)

رابعا: المدى الذي حاولنا التموقع فيه بالنسبة لموضوعنا فقد راعينا التموقع موضوعيا ليس بالقريب جدا- قد يعطينا ذلك العديد من المكتسبات المعرفية والتعمق في الميدان- . وليس بالبعيد جدا أيضا . إن هذا القرب لم يمنع من الحذر النقدي[1] وحساسية الملاحظة إذن فبالاحتفاظ بمسافة معقولة وحذرة تسمح بالوقوف على نسبية الممارسات والتمثلات.

2.1. الأدوات الأنثروبولوجية

يشير الأنثروبولوجيون بعبارة "ميدان" إلى حيث يتوجهون لمراقبة حياة مجتمع وجمع معلومات عنه يقدمها المعنيون بصفة مباشرة[2]. قدمت عدة نماذج

---

[1] **Kilani MONDHER** *« introduction a l'anthropologie »* Ed : Payot Lausanne sciences humaines. p47.

[2] **بيار بونت، ميشال إيزار**(تحت إشراف)، "*معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا*" ترجمة وإشراف مصباح عبد الصمد.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) بيروت ط1 2006. (مادة الميدان) ص 25.

كلاسيكية ذلك (*يوميات*: ل.ب. مالينوفسكي 1967)، (إفريقيا الشبح: ل.م. ليريس 1934)، (المداران الحزينان: ليفي- ستروس 1955). لكن هؤلاء لم يدرسوا إلا المجتمعات البعيدة المسماة " بدائية". إن توسع موضوع الأنثروبولوجيا إلى المجتمعات الصناعية اليوم، قد حول النظرة إلى الميدان اليوم، إذ أصبح بالأحرى هو مختبر الأنثروبولوجي، إذ ما مهمة هذا الأخير سوى العمل الميداني.

إن أدوات المعرفة الأنثروبولوجية تقدم لنا وسائل وأدوات هامة لفهم موضوعنا وتحليله، فإذا كان الهدف هو محاولة فهم نوعي، أنثروبولوجي والتمعن في عملية الحضرية، أي أسلوب الحياة في المدينة، في العلاقة بين المجموعة الاجتماعية والمجال العمراني وتحولاته،في هذه المنطقة من الصحراء. التواصل مع الساكنين والتمعن في خطابهم في ممارستهم في إستراتيجياتهم الولوج إلى واقعهم اليومي ومساراتهم حياتهم و دراسة التمثلات، تمثلان الفهم الأنثروبولوجي العميق للموضوع.

فوق ذلك فإن للأنثروبولوجيا عموما نوع من الانفتاح المقصود والمشروع علميا ومنهجيا على مفاهيم ونظريات العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما، ذلك الانفتاح غير التبسيطي والتسطيحي، إذ وعلى العكس من ذلك فإن تجربة تكاتف وتعدد التخصصات interdisciplinarité لهو من المناهج التي تصنع

للأنثروبولوجيا تفردها ونجاعتها في البحث في مواضيع تخص الإنسان والحياة الاجتماعية مهما كان مكانها وزمانها وحسب تعبير" ليس بغريب عني كل ما يخص الإنسان" ومن هذا الأساس والذي اعتقدنا في بداية العمل في موضوعنا سنة 2006 أنه يسهل علينا العمل فأنطلقنا مباشرة في جمع المادة الضرورية للعمل من توثيق وتحضير العمل الميداني...الخ، حتى اقتنعنا وفي منتصف الطريق أن مسؤولية كبيرة قد ترتبت علينا وأن ماكنا نعتقد في سهولته، لهو السهل الممتنع، فهذه الرحابة المنهجية - إن صح القول- لهي التي تتطلب الجهد الكبير في ظبط النظريات و المنهج والمفاهيم الأساسية التي تستند إليها دراستنا حتى يمكن الوصول إلى نتائج علمية يمكن التحقق منها، وهو هدف أي معرفة تدعي أنها علمية. وكان المشكل ليس في إيجادها ومعرفتها، لكن في اختيار الأنجع منها لموضوعنا. وفي ضل عدم وجود في الساحة العلمية الوطنية ما يمكن أن ننسج على منواله، بات من المحتم خوض المغامرة - المحسوبة- علنا نتمكن من رسم ولو معالم شبه طريق قد يكون مثمرا إن لفت الانتباه ولقي حظه من النقد والتقييم والتعديل.

2. الأنثروبولوجيا الحضرية

1.2. المدينة والحضرية

بما أننا بصدد البحث في المجال الأنثروبولوجي الحضري أولا ، فيجب تحديد مفهوما لكلمة "مدينة" "Ville," "City"، لكن هل يوجد مفهوم محدد ونهائي لما يعرف بالمدينة؟ وبدرجة أعمق هل يمكننا أن نطلق هذا المفهوم " مدينة" إن وجد على الظاهرة العمرانية في الجزائر وفي الصحراء بالخصوص. تكلم ابن خلدون عن العمران البدوي والعمران الحضري في مقدمته[1]، وحلل خصائص كل منهما وذلك في عصره وأوانه. هل يمكننا سحب تحليله على الواقع الحالي؟

إن مفهوم المدينة يعود إلى اليونان" *Polis*" بوليس يحيل إلى مفهوم مكان مغلق ومحمي، وبذلك تحيل المدينة في الأول إلى مجال مغلق، كما تولد عنه في المفهوم اليوناني:" *Police*" شرطة، ومفهوم:" *Politique*" سياسة. لكن هذا الغلق يوازيه مفهوما آخر هو:" *Civis*" الذي يعني المواطن المسؤول المنتمي والمندمج في مجموع اجتماعي، هو الحضرية أو التحضر أو الحضارة تصبح إذن العبارة التي تعني الشعورالقوي بالإنتماء لمجتمع تنظيمي واحد. فالمدينة لاتعني بهذا المفهوم مكانا يمكن تجزئته إلى أحياء ومناطق: "إنها حالة روحية

---

[1] **عبد الرحمان (بن خلدون):** "*مقدمة ابن خلدون*" الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب تونس 1984.

فكرية وعقلية" (بارك، مدرسة شيكاغو) [1] المدينة ليست مكانا للحياة تتلخص خصوصيتها في إحتلال مجال من طرف مجموعة متجانسة، لكنها: مجال اجتماعي للعبور والحركية يمكن للساكنين القياس والاندماج بكل حرية من خلال علاقاتهم مع مجالهم هذا. ومنه تنتج بيئة عمرانية لها تاريخ، يمكن للساكن أن يحدد تموقعه، أن يحدد القواعد الاجتماعية (العلاقات الاجتماعية)، أن يحدد القواعد الاقتصادية، أن يحدد من خلالها هوية.(مدرسة شيكاغو).

ورد في قاموس علم الاجتماع: " تمركز سكاني يتميز بالكثافة ويوجد في منطقة جغرافية صغيرة نسبيا، ويتجه نشاط السكان إلى أعمال غير زراعية، تتميز بالتخصص والارتباط الوظيفي، وتتم داخل نسق سياسي رسمي" والتعريف الوظيفي للمدينة يركز على سيطرة الأنشطة غير الزراعية (صناعة، تجارة، إدارة،تعليم) عند السكان. أما التعريف القانوني فيشير إلى أن المدينة مكان له دستور، ويكتسب صفته عن طريق سلطة سياسية عليا. أما تعريفات المدينة التي وردت في التعدادات فعادة ما كانت تقوم على تحديد حد أدنى من الأفراد يصل

[1] **Parc R** « _la ville_ »,Chicago The University of Chicago Press(version francaise augmenté , L'Ecole de Chicago. Naissance de l'écologie urbaine, Paris Ed du Champ Urbain 1979. p83.

إلى 2500 نسمة في الولايات المتحدة، و2000 نسمة في فرنسا، و11000 نسمة في مصر، 20000نسمة في اليابان[1].

إن اهتمامنا بالمدينة ليس من حيث كونها موقعا جغرافيا فقط ، بل المراد بالتدقيق هو معرفة ديناميكية التحضر، ومن حيث المبدأ يمكن القول كما جاء بــه قيس النوري[2] " *إن التحضر هو المسار الذي يتعرض له سكان القبائل والفلاحون في أثناء تكيفهم للحياة الحضرية في المدن*" وهو بذلك ليس مجرد الهجــرة إلــى المدن - (كما في حالتنا مما يتعلق بتوطن البدو واستقرار أنصاف البدو وتنقــل فلاحي الواحات إلى المدن المتنامية، وذلك ما يقابله في شمال الــوطن بمــا هــو معروف من مصطلح الهجرة الريفية)- بل ينطوي الموضوع على تتبع المســار الثقافي والتغيرات الفكرية والسلوكية أي الممارسات وتحولات القــيم والتمــثلات التي تصاحب تأقلم هؤلاء مع محيطهم الجديد الذي هو المدينــة والمتحــول هــو الآخر إما بسببهم أو نتيجة ممارساتهم.

---

[1] **محمد عاطف غيث:** "*قاموس علم الاجتماع*"، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة الإسكندرية 1995.ص 57.

[2] **قيس النوري:**" *الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة*"ط1 مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن 2001، ص18.

وحتى لا نقع في الاستعمال المتناوب لكلمة مدينة وحضرية لتفادي الشعور بأنهما مترادفان، فإن تحديد مفهوم الحضرية urbanite بأنها تشير إلى نوع الحياة في المدينة، أما المدينة و التي تتفق معظم تعريفاتها على التوجهات التالية: طبيعة قاعدتها الاقتصادية، والوظيفة، واستقلالها البنائي، وخصائصها الفكرية والروحية، ونوعية العلاقات الشخصية المتبادلة فيها، بالإضافة إلى بنيتها الاجتماعية وسماتها السكانية. ومن هنا نحن لا نتعامل مع المدينة في حالتنا من المنظور المـــادي أي عدد السكان والمؤسسات المرئية والرسمية بل المفيد لنا هــو تتبــع المســارات الحضرية والنوعية الخاصة للعلاقات الاجتماعية. نلاحظ أن المدينة ليست مكانا للعلاقات اللاشخصية فقط بل للأسر والجماعات القرابية والأحياء الإثنيــة التــي تكون علاقات جزئية غير ثابتة[1] . ويمكن القول أن بعض نماذج الســلوك التــي تحصل في المدينة لا تعد جزء من النمط الحضري بــالتعريف خصوصــا مــا يرتبط ببقايا الثقافة القبلية والريفية كما نلاحظه في كثير من المدن العربية التـــي تضم أعدادا كبيرة من سكانها تمارس العديد من الأفعال المعبرة عن قيم البــداوة والريف. وعموما فإن التعريف الذي نضطر لقبوله فيما يتضمنه من حد أدنى من التعقيد السكاني والمؤسساتي والبنائي والذي يعتبر ما دونه من تجمعات ســكانية ليست من المدن[2] .

[1] **قيس النوري**: المرجع السابق، ص 20

[2] **قيس النوري**: المرجع السابق، ص 20.

قدم الدكتور قيس النووي تصنيفا نظريا للمدن يمكن مناقشته على ضوء تصنيفات أخرى لخصه في أربعة أصناف هي: تنظيم المدينة، وظيفة المدينة، الهوية الثقافية، التأثير الوطني. قد طرح ماكس فيبر بخصوص الصنف الأول التمييز بين المدن على أساس التفاعل بين القطاعات المؤسسية والتنظيمية فيها، إذ أوضح التناقضات بين المدن الشرقية والمدن الغربية، إذ أن من سمات المدن الغربية هو استقلال المدينة عن السيطرة الخارجية واستقلال السكان عن بعضهم. مميزا بين مدن ما قبل التصنيع ومدن ما بعد التصنيع، إذ وحسب نظره كلما ازدادت سيطرة النخب المحلية والأسر على الأدوار والموارد الاقتصادية كانت المدينة أقرب إلى مدن ما قبل التصنيع.

أما التصنيف الثاني على أساس وظائف المدن منها المدن السياسية مقابل الاقتصادية، أو الإدارية مقابل البيروقراطية، التجارية الصناعية، مدن التعدين مقابل الصناعية، أو العسكرية مقابل الدينية.

التصنيف الثالث الذي يطرح ثنائية المدن الأصيلة المعتمدة على تراثها الذاتي والمدن "الهجينة" الناتجة عن ثقافات خارجية متفاعلة، والتصنيف الرابع الذي يشمل المدن التوليدية المنتجة التي تدعم الاقتصاد الوطني والمدن الطفيلية التي تعيش على إنتاج غيرها من المدن.

خلاصة القول حتى وإن قبلنا هذا التصنيف للفائدة المنهجية على الأقل فمن المستحيل واقعا أن نجد مدنا تتوفر على خصائص تتوافق مع تصنيف واحد مما سبق إذ نجد كل الخصائص مختلطة ومركبة، ولا يمكن لواحد فقط من هذه التصنيفات أن يكفي وحده لمعالجة وتفسير الواقع الحضري، خاصة فيما يتعلق بالمدن في العالم العربي.

من أهم الإشكاليات النظرية التي تواجه عملنا في الميدان الأنثروبولوجي على الخصوص هو محاولة إيجاد توازن نظري بين التقليد الأنثروبولوجي الذي دأب تاريخيا على التعامل مع المجموعات القبلية والريفية والمجتمعات المحدودة وبين المعاصرة التي تتفق مع دراسة المجتمعات المعقدة في المدن، ومن منطلق أن الواقع الحضري أصبح واقعا لا مفر منه بات من المحتم على الأنثروبولوجيا مواجهته علما كما سبق أن النظرية الأنثروبولوجية بالغة الانفتاح. وإن كان التخلي عن مبدأ المسح الكلي للمجتمع المدروس الذي دأبت عليه الأنثروبولوجيا الكلاسيكية وهذا ما يفرضه تعقد المدينة بدلا منه العمل على تطوير جانب الملاحظة التي توجه للظواهر الأساسية التي من شأنها تفسير حياة السكان في المدينة. التعديل الثاني هو تصور أن المدينة لا تكتفي ببناء اجتماعي واحد كالقبيلة أو القرية بل تتشابك فيها عدة بنى اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية.

إن طابع الوحدة والتجانس والانسجام لدى المجتمعات القبلية والريفية الذي قامت علية النظريات الأنثروبولوجية كالتضامن الاجتماعي وتقسيم العمل والتكامل الثقافي، لم يعد موجودا أساسا أمام التعددية، هذه التعددية التي تطبع المدينة التي لا تخلوا من صور التضامن كما أدرك ذلك دوركايم عندما سمى التضامن الريفي القبلي بالتضامن الميكانيكي بينما التضامن الصناعي الحضري بالتضامن العضوي، وبالتالي وحسب رأينا فإن النتيجة بما أن هذه الإشكاليات هي في الواقع منهجية، وأن طموح الأنثروبولوجيا هو عدم ادخار أية وسيلة – علمية – لغاية أكبر وهي محاولة فهم الحياة الإنسانية وبالتالي الإنسان. خاصة في موضوع مدننا في الواقع العربي والجزائري أين تتمازج بقايا النظم القبلية القرابية والدينية مع النظم الحضرية في صيغ تركيبية متعددة.

2.2. مدرسة شيكاغو و الأنثروبولوجيا المدينية.

يندرج بحثنا أساسا ضمن حقل من أهم حقول الأنثروبولوجيا التي برزت منذ عشرينيات القرن العشرين، في الولايات المتحدة الأمريكية، والمعروفة بمدرسة شيكاغو وهو الأنثروبولوجيا الحضرية « anthropologie urbaine » فقد طرح السؤال المركزي، هل للمدينية أي الحضرية موضوع في الأنثروبولوجيا؟ وإذا كان نعم فهل تشكل المدينة دراسة متجانسة؟ وبذلك تحدد إندراجها في

الأنثروبولوجيا. إنطلق علماء مدرسة شيكاغو بإعتبارهم مؤسسي الأنثروبولوجيـــا المدينية من دراسة المجموعات المختلفة التي تكون فسيفساء المدينة[1] ، كالأقليات الدينية والإثنية، أو مجموعات الزمر، والمهمشين، ولعل أول الذين تناولوا قضية المدينة بشكل عام ومباشربوصفها كيانـــا اجتماعيـــا ينـــدرج ضـــمن موضـــوع الأنثروبولوجيا (لويس ويرث) [2] ، ومن خلال مقولته المشهورة " التحضر ما هـــو إلا أسلوب في الحياة "[3]، وقد شكلت سير الحياة الأداة الأكثر استعمالا في البحوث الميدانية كونها تسمح بمتابعة المسيرات الفرديـــة مـــن خـــلال منـــاطق وفئـــات اجتماعية. (جورج موندول في فرنسا) درس فئات الشباب والبروليتاريـــا. كمـــا نجحت عدة أعمال انصبت على مدن غير غربية، كما نجحت أعمال سعت إلـــى دراسة حالات الاستغلال الاستعماري(دراسات تنقلات اليد العاملة، أعمال باحثو معهد رود ليغينغستون: م.ويلسون، م: غولمان)، وأعمال إرتكزت علـــى دراســـة عواصم إفريقية (جورج بالانديه وغيره)[4]. كانت الفكرة الســـائدة وفـــق ويـــرث توقف القرابة في المدينة عن لعب دور في العلاقـــات الاجتماعيـــة، كمـــا ازداد

---

[1] **بيار بونت، ميشال إيزار**: مرجع سابق، ص ص 836-837.

[2] **لوجلي صالح الزوي**، "*علم الاجتماع الحضري*" منشورات جامعة قاريونس بنغازي2002. ص35.

[3] **Luis WIRTH** ; *« Urbanism as a Way of Life »*, American Journal of Sociology,44 ; pp 1-24.

[4] **بيار بونت، ميشال إيزار**، مرجع سابق، ص 837.

توضيح الفوارق بين الريفي والمدني، تقليدي وحديث، عـــام وخـــاص. لتظهـــر المدينة كشبكات معقدة، بعضها دائم وبعضها الآخر متغير يرتبط بأدوار الفاعلين.

توجد مقاربة أخرى تفضل تتبع الإستراتيجيات، مهتمة بتفاعل الأفراد مـــن خلال دورهم الاجتماعي، بغض النظر عن كثافة المدينة وعدم تجانســـها، ومنـــه نشأت البيئوية المدينية (écologie Urbaine) ، إذ تمثل المدينية سهولة التواصل المباشر بين الأفراد، إذ تفضل هذه النظرية الحديث عن الفرد المنعزل وظـــواهر التكيف مع الأوضاع الاجتماعية ولهذا شكلت دراسة الحالات الطريقـــة االأنجـــع وليس الجماعات موضوع التحليل، ويبقى الفرد في مقدمة المشهد، وهذ ما أيدتـــه أعمال (إ. غوفمان) " السوسيولوجيا المصغرة ". انتقد (أ.هانرز) هـــذا المنظـــور الفردي، كون المشروع الأنثروبولوجي يسعى للإدراك الشامل، فوضع في أوسع خلاصة عن أعمال الأنثروبولوجيا المدينية جدولا إجماليا[1] لتنظيم العلاقات فـــي المدينة مع تحليل الظواهر بطريقة نوعية وكمية، سمح بذلك موضوع المدينية بأن يندرج ويتأسس في ميدان الأنثروبولوجيا ويتجه إلى أن يصبح ميدانا مستقلا. بعد انتشار التجمعات الحضرية في كل القارات وتنوع أنـــواع الهجـــرات وكثافتهـــا وتعايش شعوب مختلفة في نفس الأماكن إلى تفجـــر موضـــوع الأنثروبولوجيـــا

[1] **HANNERZ U** *« Exploring the City,New York, Colombia University Press(tard.fr " Explorer la ville* ", Ed Minuit Paris 1983.

المدينية وتوجه الأنثروبولوجيون إلى تحديد ميادين دراساتهم، ليعطى هذا الميدان الأنثروبولوجي مكانته الحيوية في دراسة ظاهرة أصبحت ملحـــة خاصـــة فـــي الجزائر أين أصبحت قضايا المدينة والتحضر والحضرية ومـــا يصـــاحبها مـــن ظواهر كالعنف والممارسات المختلفة من القضايا الملحة التي تحتاج إلى تـــوفير كل المناهج والأدوات المناسبهة لفهم المدينـــة فـــي الجزائـــر اليـــوم والمدينـــة الصحراوية بالخصوص.

3.2. المدينة العربية الاسلامية بين الماضي والحاضر.

لا يوجد هناك تعريف تم الإتفاق عليه حسب إطلاعنا عن ما يسمى بالمدينة العربية الإسلامية، بعض المستشرقين يحددون بعض العناصر المعمارية المعينـــة لوصف العمران الإسلامي، كما يؤكدون علـــى أن المـــدن الإســـلامية أخـــذت عناصرها وطرق تخطيطها من المدن الرومانية والفارسية وغيرها. حتى حلـــول القرن العشرين أين ظهر المعماريون والمخططون العرب والمســـلمين، رفضـــوا تلك الأوصاف وحاولو العودة إلى أصول العمارة والتخطيط في التاريخ الإسلامي لمعرفة الحقيقة أكثر. ويري أحدهم أن تخطيط المدن الإسلامية إنمـــا قـــام علـــى مبادئ هي نفسها مصادر التشريع[1].

[1] **Hakim Besim S***; Arabic-islamic cities : Building and planing principles*. London: Kegan Paul international. 1986.p 122/125.

حيث تؤكد الوقائع التاريخية أن تخطيط العمارة الإسلامية قد بدأ منذ الهجرة إلى المدينة المنورة حين أصبح للمسلمين مدينتهم الأولى، وكانت تتموقع على أهم طريق تجارية نحو الشام، كما كانت ذات تربة خصبة ومياه وفيرة مقارنة بمناطق أخرى في الحجاز بذلك كان لها بنية إقتصادية جيدة توفرت بها الزراعة والتجارة بالإضافة إلى الحرف، بالإضافة إلى التنوع السكاني من عرب ويهود وغيرهم، لكنها كانت تفتقر إلى نظام سياسي مركزي مما أدى إلى إستمرار النزاعات داخلها. حين سيطر عليها المسلمون كان أول تغيير هو إنتصاب سلطة مركزية قوية المتمثلة في الرسول محمد(ص)، وبالتالي انتهت الخصومات وضعف نفوذ اليهود.

نواة التغيير العمراني في هذه المدينة كان بناء المسجد النبوي وقد أختير له مكان أرض تتوسط المدينة أبتيعت لهذا الغرض، ثم شقت طرق رئيسية تصل المسجد بالضواحي، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى طريق يمتد من المسجد ويتجه غربا حتى يصل جبل سلع وطريق من المسجد يخترق منازل بني عدي بن النجار ويصل إلى قباء جنوبا، ومن قباء وجد طريق يتجه شمالا إلى البقيع. كانت الشوارع الرئيسية واسعة عرضها سبعة أذرع والتي تتفرع منها خمسة أذرع والشارع الأصغر ثلاثة أذرع، وقد غطت في حينها بالحصى.

حين وصل المهاجرون إلى المدينة المنورة وهب لهم الأنصار بعض الأراضي الشاغرة ليسكنوا فيها، وقد قسمت هذه الأراضي وفق النظام القبلي حيث أعطيت كل قبيلة قطعة أرض تخططها كما شائت، كونت هذه النواة تخطيط المساكن طوال الفترة الإسلامية. أما المباني العامة فكانت تخطط مركزيا، فقد روى جابر بن أسامة قال: لقيت رسول الله بالسوق في أصحابه فسألتهم أين يريد فقالوا: اتخذ لقومك مسجدا، فرجعت فإذا فقالوا: خطط لنا مسجدا وغرز في القبلة خشبة.

كان تنظيم السوق بلا مباني حيث تترك الأرض فضاء ويأتي التجار بسلعهم فيستخدمون موقعا يبقى لهم حتى آخر النهار، وبيت تلك الأرض مشاعا للسوق حتى قيام الدولة الأموية. بالإضافة لذلك فقد اهتم الرسول بتوفير المرافق العامة حيث أقام الرسول خدمة بالمسجد لأجل التداوي، كما أقيمت دور للضيافة لإستقبال الوفود كان أهمها دار دار عبد الرحمان بن عوف، واتخذت مواضع لقضاء الحاجات سميت " المناصع" واختيرت مواضع للذبح بعيدا عن السكان، كما عين مكان لصلاة العيد.

بموازات مع البناء قام الرسول بإعادة تنظيم المدينة إداريا واجتماعيا حيث آخى بين المهاجرين والأنصار مما ساعد على دمج المهاجرين في المجتمع الجديد وتقوية الأواصر بينهم وبين الأنصار والتأكيد على أهمية التكافل الإجتماعي. استمر هذا التأثير قرونا طويلة حيث أن الكثير من المبادئ التي أُعتمد عليها في تخطيط وإدارة المدن الإسلامية منذ ذلك الحين وحتى القرن التاسع عشر يرجع في أساسه إلى هذا النموذج[1].

بعد توسع الدولة الإسلامية في صدر الإسلام أسست عديد المدن أو القواعد العسكرية التي تحولت إلى مدن، أهمها البصرة في 633 والكوفة في 638 والفسطاط في 642 والقيروان في 665 الميلادية. يتشابه تخطيط هذه المدن إلى حد كبير كما يتشابه مع تخطيط المدينة المنورة التي يظهر جليا تأثيرها على المدن الإسلامية الأولى[2]. بالإضافة إلى المدن التي كانت قائمة قبل الإسلام وأخذت الطابع الإسلامي، حيث تموقع الجامع وسط المدينة ومركز الحكم وإدارة المدينة وبيت المال كما كان الحال في مدينة دمشق بالرغم من كونها أقدم مدينة لم تنقطع فيها الحياة إلى اليوم.

1 **خالد عزب**: "*التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية*" دار الكتب العلمية. 2003.

2 **خالد عزب**: نفس المرجع، ص 52.

النمط الذي أتبع فكان أول ما يبنى في المدينة الاسلامية المسجد الجامع ويكون في وسطها ويبنى حوله مبنيان رئيسيان وهما دار الإمارة وبيت المال. وبجوار المسجد كانت تخصص أرض للسوق تترك فضاء لم يكن يسمح فيها بالبناء في حينه بعد ذلك كانت تخط أرض بينها شوارع رئيسية للقبائل المختلفة ويترك تخطيطها للقبائل، في وسط سكنات القبائل كانت تخطط مساجد صغيرة للصلواة الخمس تسمى مساجد الصلواة الخمس، تصلي فيها الناس ويجتمعون يوم الجمعة في المسجد الجامع. حيث كان تخطيط المساجد إلزاميا إذ كان لها الدور البارز في إدارة شؤون الناس وتعليم الصبية، والمرافق العامة مجاورة لها مثل السوق والحمام والفرن وغيرها... وكانت الأوامر والتوجيهات تصل إلى الناس عبر هذه المساجد.

أضاف الأمويون عديد المرافق العامة للمدينة وطوروا العمران بشكل ملحوظ حيث أضيفت عناصر جديدة كنشآت الحكم ودور العلم والمشافي والشرطة والدواوين ودوائر الحكم المختصة وغيرها، كانت توضع هذه المرافق إما في المركز مع المرافق الرئيسية أو على طول الشوارع الرئيسية التي تربط الضواحي بمركز المدن واتضحت بشكل جلي في مدينة دمشق. كما بنو القصور الراقية حيث عرفت القصور الأموية بروعة بناءها نافست دار الخلافة ودور الإمارة. بالإضافة إلى سماح الأمويين للتجار بالبناء في الأسواق فأصبحت

الدكاكين ثابتة وكانت بداية لإنشاء الأسواق الثابتة. في العصر الأموي يمكن الحديث عن طراز للبناء العربي الإسلامي حيث ترسخت المبادئ الأولى إضافة إلى العناصر الجمالية والكمالية.

نتيجة لتطور العمارة الإسلامية وتوسع المدن والإستقرار الذي بدأ يتصف به المجتمع العربي الإسلامي تطور فقه البناء الذي يهدف إلى تحديد وتنظيم العلاقات بين الناس وحل المشاكل العمرانية، حيث جمعت العديد من القواعد الفقهية التي تراكمت بمرور الزمن نتيجة احتكاك العمران والمجتمع ومن اللمؤلفات التي اهتمت بأحكام البناء كتاب " الإعلان بأحكام البنيان" لإبن الرامي المتوفى سنة 734 هـ وهو أول من سجل قواعد فقه العمارة، ومن الفقهاء إبن عبد الحكم الفقيه المصري المتوفى سنة 214 هـ/ 829 م في كتابه " البنيان"، ومن تقسيمات الفقهاء: البناء الواجب مثل بناء المساجد والحصون والأربطة. والبناء المندوب، كبناء المنارات والأسواق. والبناء المباح، كبناء المساكن. والبناء المحظور كدور السكر والبغاء والبناء على المقابر وفي أرض الغير.

دخل أيضا الفقه في تحديد سلوك الساكنين للعقارات، من ضرورة احترام الآداب العامة، وكان من حقوق الجيران إجبار المخالفين على ذلك عن طريق القضاء، إذ تزخر سجلات المحاكم الشرعية بعديد الوقائع التي تؤكد تضامن أهل

الخطة أو الحارة ضد المخالفين من سكانها. اعتمد الفقهاء في تنـــاولهم لأحكـــام البنيان على بعض آيات القرآن الكريم والحديث والأعمال العمرانية التي باشـــرها الرسول والخلفاء الراشدين وعلى العرف أيضا. فقد أثر فقـــه البنيـــان والمبـــادئ المتبعة في إيجاده على تخطيط المدينة والحياة فيها فأثر على تخطـــيط الشـــوارع وحدد درجات الخصوصية في الأماكن العامة وحـــدد وضـــع المبـــاني المعينـــة فالمباني التي تضر الناس كامصانع والأفران والتي تؤدي إلى إصدار الضجة أو النجاسة كانت تبنى في أماكن بعيدة عن الأحياء والخطط السكنية[1].

4.2. القصور والمدن في الصحراء الجزائرية.

ارتبطت الصحراء عموما و منطقة وادي ريغ بالتاريخ بشكل أساس لقد نشأت وتطورت مع التراكمات التاريخية والحركات البشرية وأيضا وبدرجة هامة بالبيئة المحلية ذات الطابع الصحراوي الذي فرض ويفرض على المـــدن شـــكلها ومورفولوجيتها وطرق عيشها، لفهم وتحليل النسق العمراني والاجتماعي التقليدي الذي قامت عليه المدن والقصور في الماضي.

على امتداد قرون عديدة، عرفت الصحراء الجزائرية استمرارا في للتنظـــيم الاجتماعي والمجالي: أوصاف ابن حوقل و شارل فيرو، مرورا بالبكري وإبـــن

---

[1] **حسن الباشا:** "*موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية*" ، دار أوراق شرقية بيروت، ص 102.

خلدون وليون الإفريقي وتوماس شاو... نلاحظ نفس الخصائص التـــي أتخـــذها هؤلاء الذين وصفوا أو درسوا القصور والمـــدن ومجتمعاتهـــا فـــي الصـــحراء الجزائرية عموما ووادي ريغ بالخصوص. شبكات الواحات والقصـــور تتكـــون عموما في شكل سبحات chapelets أصغرها حجمـــا القصـــر والـــذي هـــو بالتعريف قرية تقليدية صحراوية[1] والتي تصطف على طول الأحواض المنخفضة والأودية في الصحراء، طور سكانها أنظمة للري أصيلة سمحت لهم باســـتغلال الأرض لزراعة النخيل.

من بين هذه التجمعات السكنية أي القصور تبرز واحدة منهـــا أو أكثـــر وتفرض نفسها على بقية التجمعات المتقاربة من خلال أهميتها ودورها في تنظيم شبكة القصور المحيطة بها، بذلك يتكون نوع من التدرج الوظيفي بين " القصـــر المدينة" و"القصر القرية".

هذه الشبكات من العمران سيطرت على المحاور الكبرى للإتصـــال عبـــر الصحراء، إذ انتصبت كمحطات لتجارة القوافل[2]، هذه الوظيفة الهامة وفرت لهذه

[1] **Nadir MAROUF**; « *lecture de l'espace Oasien »*. Sindbad .Paris 1980 P 12.

[2] **Said BELGUIDOUM** « *Urbanisation et urbanité au Sahara* » in Méditerranée, Revue géographique des pays Méditerranée n° 3-4 -2002 ; p 36.

المدن التاريحية مصادر قوة اقتصادية من عوائد التجارة مضافة إلى محاصيل التمور وأيضا قوة سياسية من خلال إدارة شبكة القصور المحيطة بها وتسيير العلاقات مع البدو وأنصاف البدو المحيطين بها، بالإضافة إلى كونها مراكز دينية رمزية من خلال احتضانها لمؤسسات دينية قوية ونافذة في المجتمع كالزويا والمساجد والمدارس القرآنية. وهذا ما يفسر نشأتها وديمومتها، ودورها المحلي والجهوي.

تميزالعمران منذ القديم بتركز كبير في كتل رئيسية و التي تتفرع إلى مراكز صغيرة، تتحكم في وجودها ووظائفها عوامل الطبيعة الخاصة بهذه المنطقة المطبوعة بتركز نقاط الماء، العنصر الأساسي في أي استقرار في هذه المناطق. لمعرفة خصائصها ووظائفها تتوجب معرفة طبيعة النشاطات التي طالما وقفت وراء هذه التركزات الحضرية في الماضي والمنطق المجالي الذي نظم هذه القصور والمدن، وعلاقاتها مع عالم البدو الذي لعب ويلعب دورا هاما في نشاطات هذه المجالات وفي عمرانيتها.

إن المعطيات البيئية والإيكولوجية والعوامل الجغرافية، ودرجة الإستقرار السياسي، والتقسيمات الجهوية للأقاليم وأيضا شكل المسار الاقتصادي، وعادات

الهجرة وحركات الرحل، كلها عوامل داخلية وخارجية ساهمت في تشـــكيل هــذا المجال.

لكن وجود المدن والقصور لا يعود فقط إلى كونهــا مـــــــناطق ربــط لطرق التجارة، هي تظم أيضا سكانا مزارعين مستقرين تربطهم علاقات وطيــدة مع القبائل البدوية و الرحل المحيطين بهم يعيشــون باستغلال زراعة النخيـــــل مميزاتهم المجالية والاقتصادية والاجتماعية تجعل مهم تجمعات أصيلة ذات تقاليد حضرية عريقة مثل "الحشاشنة" على سبيل المثال في منطقة وادي ريـــغ، تظهــر الميزة الأولى لهؤلاء السكان في تنظيمهم للمجال وطــرق اســتغلالهم للمحــيط المتميز بصعبة استغلاله.

فالشكل العام إذن الذي يأخذه كل تجمع مستقر في الصحراء عمومـــا هــو القصر الصحراوي " *Ksar* " ، هذا التجمع من البنايــات الســكنية المحميــة ذو الحجم المتغير تتطور حوله واحة نخيل يعيش من أجلها وتعيش من أجله. تتمايز هذه التجمعات نوعيا بحيث تسمح الظروف لإحداها بالتطور و البروز، ويبدأ بذلك التصنيف بيــن " القصر القرية " و " القصر المدينة " بهذا التدرج تبدأ شبكة فـــي التشكل شبكة جهوية من القرى والضياع حــول مدينة سمحت لها ظروفها بالنمو

لتأخذ وظائف تجارية مركزية لتصبح قطب هذه الشبكة الذي يصـبح الـوادي أو الحوض الرطب وسيلة ربطها[1].

تلعب العوارض الطبيعية خاصة المتعلقة بوجود الماء، و أيضـا الأحـداث السياسية والصراعات بين المدن و تدخلات الحكم المركزي المحـيط بهـا، دورا مهما في نشوء قرى واختفاء أخرى من الوجود. إن الحجم الحقيقي لهذه القصور و تطوره في فترات التاريخ المختلفة يصعب معرفته، لكن الذي قد يسـاعد فـي تحديد مكانتها هو الدور الذي لعبته، لأن الحجم هو بالضرورة نتيجـة ديناميكيـة نشاطها وإشعاعها، إن دورها يتمظهر ماديا في في مورفولوجيتها وتركيز بناياتها ونشاطها، وأيضا علاقاتها مع محيطها الخارجي، حجم نخيلها وجنانها وعلاقاتهـا مع القبائل الرحل هي المحددات الأساسية لمكانة المدينة الصـحراوية- حسـب التقديرات العددية لأعداد السكان بهذه المدن التاريخية تقدرها ببعض الآلاف مـن السكان.

في هذا النسق المجالي العام الذي يميز بين القرية و المدينـة، فالقريـة أو القصر تبدوا كتجمع دائم الاستقرار ذو حجم متواضع نسبيا والذي يوجد بواسـطة أو من أجل محيطه الفلاحي، هذه التجمعات تأخذ الطـابع القـروي Villageois

[1] **Said BELGUIDOUM**; ibidem ; p 40.

عندما يطفو قصر من هذه القصور نتيجة ظرف مـــن الظـــروف الاقتصـــادية أو التاريخية ويتعاظم دوره يتطور كمدينة التي تمثل " الساحة التجارية" ويصبح فـــي هذه الحالة هو القطب الذي يهيمن على بقية القصور المجاورة له ويكون شبكة[1].

في شكلها الخارجي تحاط معظم هذه القصور بسور خارجي مـــن الطـــوب الرملي غالبا و يراعى في هندستها و موضعها بالنسبة للمحيط الزراعي "الواحة " ومصدر الماء كل عناصر التوازن البيئي، مصدر المـــــاء هو أهـــم عناصـــر الحياة، فإن مصدره الجوفي من العيون أو البحيرات الصغيرة الناتجة عن صعود المياه الجوفية[2] والتي طالما اعتمد عليها السكان القدامى في الري، يتم البناء عن دراسة وخبرة واعية لمسألة الارتفاع، فالمستوى المرتفع للقرية يسمح لهـــا بـــان تكون في منعة من المياه الصاعدة كون هذه القرى تبنى عادة فـــي المنخفضـــات الغنية بالمياه الجوفية القريبة من السطح، يتدرج الانخفاض ابتداء مـــن مســـتوى القرية المرتفع حتى يبلغ المستوى الأدنى له على مستوى الشط وهو المكان الذي ينتهي عنده الماء الزائد عن الحاجة، إن مسألة تصريف الميـــاه هـــي ضـــرورية بالنسبة لهذه الواحات في هذا الوسط من الصحراء المنخفضة.

---

[1] **Jaques BERQUE** *« Les villes, entretien interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes,* Paris, Ecole Pratique des Hautes Etudes, 1958.

[2]**M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** *« Oasis du Sahara algérien (études de photos – interprétations N° (64)* ». Institut géographique national Paris, 1978. p19.

3. السكن الزواج والأسرة

1.3. المسكن، بين الإكراهات البيئية والخيارات الثقافية.

السكن أو Habitation، الذي هو الموضع الصغير نسبيا مبنيٌّ أو مرتب لأجل إقامة البشر[1](أو لحماية الحيوانات أو المحاصيل). إنه بطبيعته يشهد على إكراهات وإمكانيات المحيط المجاور، ولذالك نجد أشكاله ونماذجه والمواد التي شيد بها تتنوع وتتعدد، إنه ليس فقط تعبير عن حاجات جغرافية مادية بل هو أيضا إنجاز ثقافي اجتماعي ورمزي. يخضع للضغوطات المادية والوظيفية، كما يخضع لتقنيات الكسب والتصنيع. وبالتالي يظهر في الواقع كحصيلة عوامل عديدة متشابكة (أرض، مناخ، تاريخ، إقتصاد، اجتماع، نظام الرموز...)، هذه العوامل ينظمها المجتمع ويرتبها حسب خصوصياته الثقافية. يغلِّب (أ. رابوبوت) في دراسته حول أنثروبولوجيا المسكن العوامل الثقافية في تحديد شكل المسكن وتحديد وضائفه ومناويل احتلاله[2] . كما يؤيده في ذلك (حسن فتحي) في تجربته الشهيرة في بناء قرية قرنه في صعيد مصر[3]. وقد خلصت معظم البحوث إلى التأكيد على أن الإكراهات والإمكانات الطبيعية المادية إنما توفر عدة خيارات

---

[1] **بيار بونت، ميشال إيزار:** مرجع سابق، ص 848.

[2] **Rapopot Aamos** «*pour une Anthropologie de la maison* » Dunod Paris. 1972.

[3] **Fathi HASSAN**, « *Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte, Gourna* »4e, sindbad, Paris 1985

تحددها الأنساق الثقافية (أ. رابوبوت). ولدراسة المسكن والبيت دراسة أنثروبولوجية، للإستفادة منها في إلقاء الضوء على موضوعنا للتحولات المجالية الإجتماعية، والتي يعتبر المسكن أحد ركائزها، كونه المجال أو المدى أو الفضاء المحدد أو الذي تحدده الأسرة لعيشها كبناء إجتماعي أساسي. يجب أخذ عدة أمور أساسية في الحسبان وهي:

- إكراهات المحيط المجاور واستجابات الهندسة المحلية لها في صفة حلول هندسية، كالمناخ، الأرضوغيرها.
- الوسائل التقنية المستخدمة لمتانة البناء.
- مكانة المسكن في نظام الإنتاج والنظام الإقتصادي عموما.
- رمزية التنظيم الإجتماعي عبر أشكال وهيئة المسكن.
- طرق السكن والعيش واستعمال عناصر وفضائات السكن، والتي تعبر عن قيم وعادات المجتمع.
- الروابط الرمزية التي تنتجها المجتمعات بين العمارة والمجال والمعتقدات والتمثلات الإجتماعية.
- القواعد الجمالية التي تتحكم في الشكل الهندسي.

كل هذه العوامل مرتبطة هي التي تعطينا وبعد تحليلها في مجتمع معين تحليلا وافيا عن السكن ودلالاته المادية والثقافية والرمزية، كما أننا لا ندعي أننا نصل إلى مستوى هذا العمق في دراستنا لكن من الضروري إيلاء الإعتبار لكل هذه العوامل في موضوع دراستنا كمرتكز نظري ضروري لفهم التحولات الإجتماعية المجالية في مدن الصحراء اليوم.

2.3. الأسرة والزواج وعلاقتهما بالسكن والتشكل الإجتماعي.

العائلة، Famille، تبدو جزءا من النظام الطبيعي، ما أعطاها هذا الإنطباع كونها ذات طابع كوني، خاصة الأسرة الزواجية، والتي تعرف بأنها إتحاد معترف به اجتماعيا بين رجل وامرأة يعيشان مع أولادهما[1]، نجد هذا الشكل عند الشعوب البدائية كما نجده عند الشعوب الأكثر تطورا. وتعد الأسرة الزواجية نواة العائلة التي تعددت أشكالها وحجمها من ممتدة إلى مركبة.

لكن من الملاحظ أن المؤسسة العائلية بالرغم من كونها ضرورية وحيوية وشاملة، لا نجد لها تعريفا محددا[2]. حيث نجد من أبرز التعاريف التي

[1] **بيار بونت، ميشال إيزار**: المرجع السابق، ص 639.

[2] **بيار بونت، ميشال إيزار**: المرجع السابق، ص 639.

تعطي مقابلة بين الأسرة والمنزل، فالأسرة " *هي مجموعة أشخاص ذوي دم واحد يعيشون جنبا إلى جنب* " هذا بالنسبة للقاموس الفرنسي، والذي يأخذ الإقامة المشتركة والدم الواحد كمعياران أساسيان في تعريف العائلة. أما بالنسبة للموسوعة البريطانية *Encyclopedia Britannica*، تميز العائلة بالمقرّ المشترك والتعاون الإقتصادي والتناسل بين راشدين من الجنسين، لدى إثنين منهم على الأقل علاقات جنسية مقبولة اجتماعيا. أي أن الطابع الإجتماعي هو الذي يعطي الشرعية للأسرة وليس الطبيعي.

من هذا نستنتج أن العلاقة وطيدة بين العائلة ومكان الإقامة، إذ لا يمكننا تصور علاقة أسرية ثابتة وتعاون إقتصادي دون وجود مكان إقامة ثابت نسبياً على الأقل لتحقق الأسرة والعائلة من خلال التواجد معا في أكثر الأوقات من تحقيق وظائف الأسرة الأساسية: الحياة الجنسية، التوالد، الاكتفاء الإقتصادي، الهوية الشخصية والجماعية، تربية وتعليم الأولاد. أما هذه الإقامة المشتركة التي يعبر عنها بالمسكن فتشكله العائلة وتحتله وتعيش فيه حسب ظروفها وحاجياتها وهو خاضع للتحولات كما يخضع المجتمع نفسه إلى التحولات.

إن دراسة الزواج، الذي هو أساس تكون العائلة، قد ألهمت العديد من الأنثروبولوجيين، هذه المؤسسة التي أجمع على تعريفها "*كاتحاد رجل وامرأة بحيث أن الأطفال الذين يولدون من المرأة يعترف بهم الأهل شرعيا* "[1]، وقد عولج الزواج دوما بالنظر إلى العائلة، وهذا من أن الوضع الذي يخلقه الزواج إنما ينجر عنه حقوق الأشخاص المعنيين وواجبات تدير العلاقات بين مختلف الشركاء (الأهل/الأولاد، زوج/أهل الزوجة، الزوجة /أهل الزوج،...)، ولهذ تتعدى علاقات الزواج الزوجين إلى مجموعتي قرابتهما وأولادهما، وهذه المؤسسة أيضا تتميز بالمساكنة، كما يفترض فيها إنتقال الأموال بين المجموعات (المهر) وانتقال أحد الزوجين للإقامة مع زوجه. ولهذا فمن الصعب التمييز بين الزواج والمساكنة. كما يمكن التمييز بين أنواع الزواج لدى المجتمعات، من زواج داخلي وزواج خارجي، إن مؤسسة الزواج تحيلنا بالضرورة إلى الممارسات الإجتماعية ونظام المصاهرات، الذي سوف نستخدمه في دراستنا لإبراز هذه الإستراتيجيات الإجتماعية والممارسات المتعلقة بالمجال العمراني وتحولاته كمؤشر لإيجاد معنى للتشكلات الإجتماعية الجديدة في مدن الصحراء الجزائرية ومدينة تقرت بالخصوص.

[1] **بيار بونت، ميشال إيزار:** المرجع السابق، ص 533.

4. التغير الاجتماعي.

إن التغيرالإجتماعي من أبرز الظواهر إن لم نقل أهمها و التي لازمت كل الإنسانية، منذ فجر التاريخ إلى اليوم؛ إنه أحد أهم قواعد المجتمع الإنساني؛ إذ لا ثابت إلا الثبات نفسه (هيراقليطس)، تتغير القِيم من مجتمع إلى آخر؛ بل في المجتمع الواحد نفسه.وقد ارتكزنا في دراستنا هذه على التغير الاجتماعي كمدخل نظري، إيمانا منا بأن التحولات الاجتماعية والمجالية للمجتمع الجزائري و في الصحراء الجزائرية، وبالخصوص في ميدان دراستنا الميدانية، لا يمكن فهم واقعها إلا من خلال الإلمام بمفهوم التغير الاجتماعي والنظريات التي عالجته.

بناء على ذلك، يشير مفهوم التغير الاجتماعي changement sociale إلى التحولات، التي يتعرض لها المجتمع في بنيته الاجتماعية في فترة تاريخية معينة؛ وذلك لأسباب نابعة من المجتمع نفسه أو ظروفا خارجية، تجبر المجتمع على التغير، نحو اتجاه معين. وقد يصل إلى حد إعادة تشكيل البنية نفسها أو أقل من حدة فيطرأ التغيير على الأنساق الفرعية كانظام الساسي أو البناء الأسري أو النسق الديني.

نميل في الأنثروبولوجيا إلى التمييز بين التغير الاجتماعي، الـذي يطـرأ على العلاقات والبنيات الاجتماعية، بينما التغير الثقافي يصل إلى مستوى نسـق القِيم والمعتقدات والمُثُل والتمثلات والرموز عند الفرد الإجتماعي ، مع صـعوبة التمييز بينهما.

هناك نقاش واسع في هذا المجال – حتى يصعب على الباحث الإلمام بكل نصوصه – بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين في مفهوم التغير. فرأى فون فيزه Von Weise مثلا أن يستخدم التغير بديلاً محايداً مـن فكـرة التقـدم، أو يستخدم استخداماً إحصائياً، يجعله تصوراً كمّياً خالصاً؛ وقصَره على التحـولات، التي تلمّ بعلاقة الإنسان بالإنسان. وقـال جينزبـرج Ginsberg بـأن التغيـر الاجتماعي إنما هو تغير في البناء الاجتماعي، مثل: حجم المجتمع، وتركيب القوة فيه، والتوازن بين الأجزاء أو نمط التنظيم. أمّا روس Ross، فبدا له أن التغيـر الاجتماعي، ما هو إلا التعديلات التي تحدث في المعاني والقِيم، التي تنتشـر فـي المجتمع، أو بين بعض جماعاته الفرعية، ولعلنا نميل إلى موافقة هذا الأخير كون التغيير الذي يحدث في المعاني والتمثلات والقيم التي يتبناها الإنسان، هو المعنى الأكثر عمقا وتأثيرا في المجتمع.

1.4. مفهوم التغير الاجتماعي

يدل لفظ تغير في اللغة العربية على معنى التبدل والتحول " تغير": تبـــدل وتحول، تغاير، تغايرت الأشياء أي اختلفت ... الغير ج: أغيار الاسم من غيّـــر[1] كما يعطي مصطلح (change) في اللغة الإنجليزية أيضا معنى الاختلاف في أي شيئ يمكن ملاحظته في فترة زمنية معينة[2]، يمكن تعريف التغير بأنه كلّ تحـــوُّل في البنى أو القيم أو الوضائف الاجتماعية، خلال فترة زمنيـــة محـــددة. وهـــذا التعريف يوافق ما ذهب إليه دافيز Davis، أن التغير الاجتماعي هو التحول فـــي التنظيم الاجتماعي القائم، سواء في تركيبـــه وبنيانـــه أو فـــي وظائفـــه يتميـــز بالإستمرارية والدوام.كما يعرّفه ولبرت موور (Moore) بأنه " تبدل للبنـــاءات وما تفصح عنه مجسما في القوالب (قواعد الســـلوك) والقـــيم والنـــاتج الثقـــافي والرموز[3]. يرى الباحث أن التغير يعني تحويل بنية المجتمع بما تضمه من بناء ووظيفة، وتكون النتيجة تحوّل السلوك الاجتماعي للأفراد في نفس المجتمع مـــن ممارسات سابقة إلى ممارسات جديدة وعادات تظهر في نماذج الفعل الاجتماعي نتيجة الاحتكاك بين الأفراد وما ينتج عنه من نماذج جديدة للسلوك الاجتمـــاعي.

---

1 المنجد في اللغة والأعلام ط 20 معاجم دار الشروق الكاثوليكية بيروت 1969.

2 **Lundberg G A and others** : "*sociology , Harper and brothers*" 3 N Y. 1963.p675.

3 **سعيد الكبيسي وآخرون:** "*الأسرة العربية بين الثبات والتغير*" مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، 2000، ص15.

يتجسد ذلك في ظهور قيم جديدة وعادات وتقاليد تتبعها واندثار القـيم القديمـة أو ضعفها، وبالتالي تتغير الرموز الثقافية في المجتمع، ونرى من هـذا أن الباحـث يخلص إلى أن التغير الاجتناعي هو نتيجة التغير الثقافي.

يرى الباحث مصطفى الخشاب أن التغير الاجتماعي هو كل تحـول فـي النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة، ولمـا كانت النظم في المجتمع متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفياً، فإن أي تغير يحدث فـي ظاهرة لابد وأن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التـي تصـيب معظـم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة[1]. أما الباحث أحمد الزعبـي فيـرى أن التغيـر الاجتماعي ظاهرة عيانية تلاحظ في كل مستويات الوجود سواء المادة الحيـة أو غير الحية وكذا في الحياة الاجتماعية، كما يعتبر أن علم اجتماع التغير اليوم هو أحد الفروع الرئيسية في علم الاجتماع[2].

1 **مصطفى الخشاب:**"*دراسة المجتمع*"، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1967، ص119.

2 **أبو بكر منصور:** "*من العائلية إلى التعاقدية*" مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر2004. ص12.

نلاحظ من خلال التعاريف المستعرضة لظـــاهرة التغيـــر الإجتمـــاعي أن التعريف الأول جاء تعريفا شاملا أما الثاني فقد ركز على الجانب الثقافي وهو في رأينا من وجهة النظر الأنثروبولوجية يعد دقيقا إذا وسعنا مفهـــوم الثقافـــة علـــى منوال رؤية المدرسة الأمريكية للثقافة على أنها الأشمل، أما التعريفات الباقية فقد حاولت الشمولية من خلال تجميع الجوانب المادية وغير المادية وحتى الجماد في عملية التغير، لكنها كلها تعطي عنصر الزمن حقه في مفهوم التغير، وهـــو مـــا يبرر في دراستنا اللجوء إلى المنهج التاريخي، وذلك لتأكيد المقارنة بين الوضع " التقليدي" لمجتمع دراستنا والوضع الراهن الذي تم خلاله التغير من مجتمع بدوي صحراوي قبلي/ أو مجتمع قروي فلاحي واحاتي إلى مجتمع في طور الحضرية في مجال عمراني هو الآخر في طور الإنجاز.

4. 2 .نظريات التغير الاجتماعي.

- النظرية الدائرية أو الدورانية

يتزعم هذه النظرة كل من ابن خلدون وأرنولد توينبي، حيث أستلهمت من التيارين البيئي بالنسبة لإبن خلدون والبيولـــوجي بالنســـبة للآخـــر، إذ المعتقد أن جميع الكائنات الحية تسير في حركة دائرية متصلة ومنتظمـــة كدورة الحياة نفسها وتؤثر هذه الحركة في كل مظاهر المجتمع وأهـــم مـــا يميز هذه الحركة هو تحديدها ببداية ونهاية كون الدائرة المغلقـــة للمولـــد

والوفاة، ولذلك كما يوجد دورة حياة الفرد توجد أيضا دورة حياة الجماعة والدولة والجضارة.

وقد ورد في مقدمة ابن خلدون أن التغير الذي يطرأ على الدولة من خلال المراحل التي تمر بها، وكيف تتغير أحوالها من جيل إلى جيل ويقول" *وإنما قلنا أن عمر الدّولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال، لأن الجيل الأول لم يزالو على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها وشظف العيش والبسالة، والاغتراب والإشتراك في المجد، فلا تزال بذلك ضورة العصبية محفوظة فيهم، فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون. والجيل الثاني تحوّل حالهم بالملك والرفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الرفه والخضب، ومن الإشتراك في المجد إلى إنفراد أحدهم به، وكسل الباقين عن السعي فيه... ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ضنّ من وجودها فيهم. أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العزّ والعصبية... وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة... فتذهب الدولة بما حملت*"[1] في هذا يبيّن لنا ابن خلدون التغير أو التحول الذي تمر به الدولة منذ نشأتها إلى نهايتها عبر ثلاثة أجيال وذلك من خلال تجربته في

---

[1] **عبد الرحمان ابن خلدون،** "*المقدمة*" (تاريخ العلامة ابن خلدون)، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب تونس 1984.ص ص 222/221.

المجتمع المغاربي في عصره، وفي رأينا أن هذا النص لا يبتعد كثيرا عن الواقع الذي تطرقنا إلى دراسته ونقصد عمليات تمدن البدو في مدن الجنوب الجزائري، كثيرة هي المظاهر التس يمكن الإستئناس بنص ابن خلدون عند النظر فيها في هذا الموضوع.

- النظرية التطورية:

تقوم هذه النظرية على أساس بيولوجي كما يرى (هربرت سبنسر) وتايلور أن التغير الاجتماعي يخضع إلى ثلاثة مبادئ، تتمثل في التباين الذي يعني ميل الحياة إلى التخصص، عن طريق الإنتقال التدريجي من التجانس إلى عكسه، والتكامل الذي يعني التماسك والاعتماد المتبادل على الوظائف، ثم الإنحلال والفناء الذي يعني التشابه بين المجتمع والكائن الحي في النشأة والإرتقاء والفناء. (إميل دوركايم) فيهتم بالتخصص والتطور من درجة أقل إلى درجة أعلى في التخصص، ويميز بين المجتمعات على مدى الأخذ بعين الاعتبار تقسيم العمل الاجتماعي والتخصص الوظيفي. (هوايت) يعزى أسباب التغير إلى نوع الطاقة والطرق المستخدمة في تحديد مضمون ومسيرة التغير الاجتماعي والحضاري، ويرى أن دخول المجتمع عصر طاقة معينة كان يحدّد مكانة المجتمع في سلم التقدم أو التخلف بالنسبة إلى المجتمعات الأخرى. كما

قارن أوغست كومت تغير أو تطور المجتمع البشري بناء على تطور العقل الإنساني.

- النظرية المادية التاريخية

يرى رواد هذه النظرية أن العوامل الإقتصادية أي البنية التحتية هي وحدها المسؤولة عن التغيرات التي تحدث في المجتمعات، من أهم روادها (كارل ماركس) الذي قسم التاريخ إلى خمسة مراحل تمثل كل منها نمطا أساسيا لعلاقات الإنتاج:

1. الكوميونة البدائية: وتمثل الجماعات البدائية في مراحل تطورها الأولى لقلة وسائل الإنتاج لديها، وجماعية هذه الوسائل، مع انعدام تقسيم العمل والطبقات الإجتماعية فيها.
2. العبودية والرق: ظهرت فيه البوادر الأولى لتقسيم العمل وزيادة القوى الإنتاجية، وظهرت الملكية الفردية وزادت عدم المساواة الاقتصادية وتم الفصل بين الزراعة والحرف الأخرى، الذي حطم الكوميونة الأولى عن طريق زيادة الإنتاج والدعوة إلى العبودية، وظهر طغيان الدولة والطبقات الإجتماعية من سادة وعبيد واحتد الصراع الطبقي.

3. عصر الإقطاع: حيث عمل تحسين وسائل الانتاج وتقدمها كاستخدام الطاحونة المائية أو الهوائية والمحراث الحديدي وغير ذلك على تحطيم المجتمع القائم على العبودية وأصبح من الضروري للإنتاج قيام الإقطاع[1].

4. عصر الرأسمالية: الذي حلت في بدايته البرجوازية محل الإقطاع بسبب التطور الهائل للتجارة، واستأثار الطبقات الجديدة بالثروات واحتكارها لوسائل الإنتاج، حتى ظهور الصناعة والتخصصات الدقيقة واحتدام الصراع الطبقي تمثل في صراع العمال مع أصحاب رؤوس الأموال[2].

5. الإشتراكية والشيوعية: عندما تستطيع طبقة العمال وهي الأغلبية الساحقة "إسترجاع" ملكية وسائل الإنتاج لتصبح ملكية جماعية لها تتأسس الإشتراكية كمرحلة أولى حتى تتحقق الشيوعية حيث توزع فيها خيرات الإنتاج حسب حاجات كل أفراد المجتمع.

1 **سناء الخولي:** "*التغير الاجتماعي والتحديث*"، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1985. ص ص: 28-29.

2 **سناء الخولي:** المرجع السابق: ص 31.

يبين لنا الماركسيون من خلال هذه القراءة للتغير الإجتماعي عبر العصور أن للتغير عامل واحد يتمثل في وسائل الإنتاج أي العامل الإقتصادي ويركز ماركس على الصراع الطبقي كأداة لهذا التغير والذي يؤثر على البناء الاجتماعي، بواسطة الثورات أو الحروب. حيث لا يمكن الإقلال من هذا العامل المهم لكن لا يمكننا أيضا إغفال عوامل أخرى هي أيضا عوامل للتغير الإجتماعي، تبنتها نظريات أخرى.

– نظرية التوازن والتعادل

من أهم روادها وليام أجبرن (W. Ogburn) والذي يرى أهمية التوازن بين الجوانب المادّية والمعنوية في المركب الحضاري أو الثقافي ويرى أن إنطلاق التغير من خلال الإكتشافات والإختراعات إذ في الوقت الذي تنمو فيه الاستخدامات التكنلوجية تصاحبها بالضرورة مظاهر مختلفة في الأنساق الإجتماعية والأنماط والقيم اللامادية يفصل بينهما ما يسمى بالهوة الثقافية[1]، وهذا ما حصل في مجتمعاتنا العربية، يمكن أن نورد مثالا وقع في مجتمع الدراسة، فمنذ دخول الشاحنة في الفترة الكولونيالية لشق الطرق الصحراوية عوضت الجمل وبالتالي أحالت مجتمع البدو في الصحراء الذي طالما اعتمد على هذا الحيوان في تنقلاته وتجارته، كانت النتيجة التحول العميق في مجتمع البدو الذي

[1] **آمنة غباش:** "*التغير الإجتماعي والتنشئة الاجتماعية*" ط 1، دار البحار بيروت ومكتبة القراءة للجميع، دبي 1990.ص ص 47-48.

إستوطن الواحات وتغير جذريا من مجتمع بدوى قبلي إلى جماعات تعيش على هوامش المدن الصحراوية.

- نظرية الكاريزما

يُرجع الباحث الألماني (ماكس فيبر) التغيُر إلى التحوّلات التي تعرض لها المجتمع في فترات معينة نتيجة ظهور فئة من العباقرة، من أنبياء وحكماء وأبطال حرب ومصلحين وعلماء... ويعني مصطلح كاريزما (هبة الله)، وو مصطلح ذو دلالة دينية يعني من ترسله العناية الإلهية لإنقاذ مجتمعه، وعادة ما يتحلى بقوة خارقة وصفات نادرة، غالبا ما يظهر في حالات الضعف الاجتماعي والديني والإقتصادي أو السياسي. يعتمد النظام الكارزمي على طاعة الشخصية المصلح، كما تتميز السلطة الكارزمية عادة بعدم الإستقرار وقلة إعطاء الأهمية للتقاليد إذ ترفض كل إرتباط بنظام خارجي عن شخصية الكارزم، إذ تمثل سلطة فردية مطلقة.

تقوم الكارزمية على القيادة أو الزعامة بما يعتقده أصحابها أنها أعمال خارقة، لا يملكون معها سوى الإنصياع وتطبيق الأوامر والنواهي التي يصدرها الزعيم أو الكاريزما، ولهذ نجد استجابة قوية لنداء القائد أو البطل، إذ يضع القائد

الكارزمي المصلحة العامة فوق كل اعتبار بتقمصه روح الجماعة أو الأمة التي ينتمي إليها، وتصبح لديه القدرة على تفجير الطاقة الكامنة في الشعوب ويقوم بتحقيق إنجازات خالدة تغير من وضع المجتمعات، نرى من ذلك مثلا ما قام به الرسل والأنبياء من تغييرات عميقة على الشعوب علة مر التاريخ.

- نظرية الحتمية الاجتماعية

يرى أصحاب هذه النظرية أن حدوث التغير الاجتماعي يكون بتوفر بعض القوى سواء اجتماعية أو طبيعية، أو مزيج منهما من دون تدخل الإنسان، حيث أكد أصحاب هذا الاتجاه على الجانب الاجتماعي إذ يرى ماكس فيبر أن الدين يمثل العامل المؤثر في الفاعلية الإقتصادية للمجتمع(الأخلاق البروتستانتية مثلا وعلاقتها بالنظام الرأسمالي)، كما أكد دوركايم على أن الظواهر الاجتماعية العامة يجب تفسيرها عن طريق السمات الاجتماعية الخاصة بهذا العمل، ويعني بذلك ضرورة تفسير الظواهر بالمجتماع نفسه وفي إطاره البنائي والثقافي، وأبرزذلك في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي[1] كما دافع عن فكرته مارسيل موس (Marcel Mauss) في كتابه التغيرات السنوية أو الفصلية لمجتمعات الإسكيمو 1906. وهالفاسكي في كتابه بعنوان الطبقات الاجتماعية العمالية ومستويات المعيشة عام 1913. سعت هذه المدرسة إلى إبراز فاعلية الواقع الاجتماعي

[1] **Durkheim (E)** ; Ibidem , Puf Paris 1976.

وتأثيره في إحداث التغير من جهة، وضعف النظريات التي تقوم على أساس تفوق العاما الواحد من جهة أخرى. وهو موقف نميل إلى تبنيه من وجهة نظر أنثروبولوجية إذ الواقع الإجتماعي هو وحده الكفيل بإخبارنا عن عوامل وكيفيات التحول الإجتماعي في كل بقعة من الأرض وفي كل مجتمع على حدى حسب ظروفه التاريخية والبيئية التي يعيش فيها، كل إنسانى هو متفرد، وكل مجتمع هو كذلك.

3.4. عوامل التغير الاجتماعي.

وفي هذا الإطار، استعرض بعض علماء الاجتماع دور بعض العوامل في إحداث التغير. وكان من أهمها دور الأفراد، وتأثير كلٍّ من العوامل المادية والأفكار. وقد قدم جينزبرج تحليلاً علمياً منظماً لأهم العوامل المفسرة للتغير الاجتماعي، وهي:

أ. الرغبات والقرارات الواعية للأشخاص.

ب. أفعال الفرد المتأثرة بالظروف المتغيرة.

ج. التغيرات البنائية، والتوترات الاجتماعية.

د. المؤثرات الخارجية، كالاتصالات والغزو الثقافي.

هـــ. الأفراد المتميزون أو جماعات المتميزين.

و. التقاء أو انتظام عناصر من مصادر مختلفة، عند نقطة معينة.

ز. الأحداث العنيفة.

كما أكد أوبنهايمر Oppenheimer أثر الصراع الـــدولي، فـــي العصـــر الحديث، في التغير الاجتماعي؛ لتأثيره العميق في بناء المجتمعات: الاقتصـــادي والسياسي، والسياسات الاجتماعية، ومعايير الســـلوك. وكـــذلك الصـــراع بـــين الجماعات المختلفة، في داخل المجتمع، ما زال مصدراً رئيسياً للتجـــدد والتغيـــر الاجتماعيَّين؛ وهو يشمل الصراعات الطبقية، التي تمثّل عاملاً مهماً من عوامـــل التغير، وبخاصة في العصر الحديث؛ فضلاً عن اشتماله علـــى الصـــراع بـــين الأجيال المختلفة، أيْ الأجيال القديمة، كجيل الأجـــداد والآبـــاء؛ وجيـــل الأبنـــاء والأحفاد، والنقد المتبادل بينهما.

وعلى الرغم من أهمية العوامل السابقة في إحداث التغير الاجتمـــاعي، إلا أن علماء الاجتماع، قد اختلفوا في تفسيره. فلقد عزا كارل مـــاركس عوامـــل التغير إلى الأساس المادي للمجتمع كما رأينا في استعراض نظريتـــه؛ لكونـــه المحرك الأساسي لكلّ عملية تغير، تنبثق منها تغيرات متعاقبة في بقية نواحي

المجتمع. ونسب بعض الباحثين التغير في المجتمع إلى تغير نسق القِيم، مثال ذلك ماكس فيبر، الذي جعل العامل الديني سبباً للتغير الاجتماعي. وأكد البعض الآخر تضافر جماعة متباينة من العوامل على إحداثه؛ ويمثل هذا الاتجاه ويليام أوجبرن، الذي أقر العوامل: المادية واللامادية.

ذهب أندرسون إلى أن قبول التغيرات الاجتماعية رهن بثلاثة شروط أساسية، هي:

أ. الحاجة إلى التغير: الحاجة هي أمّ الاختراع، بمعنى أن يكون المجتمع في وضع، يقبل التغير، حين يكون هناك وعي بأنه لازم لتحقيق الأهداف، على نحو أكثر فاعلية.

ب. التوسع في الإشباع: ربما تقَبل التغيرات، إن كانت أقدر من العوامل القديمة على إشباع الحاجات للحضارة.

ج. النفع الثابت: قبول التغير، بسهولة، هو دليل النفع والفائدة المتزايدة.

4.4. التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

لايسعنا المقام في دراستنا هــذه اســتعراض كــل تفاصــيل التغيــرات الاجتماعية التي مربها المجتمع الجزائري، لكن يمكننا أن نمفصل أهم التغيــرات الكبرى ونربطها بعاملها الرئيسي، إن مرحلة التأسيس والتي ارتبطت بالصــراع السياسي المذهبي في العصر الوسيط كان المغرب الاسلامي مســرحا لهــا(ابــن خلدون، المقدمة، والتاريخ)، والتي شكلت الذهنية المغاربية، حتى انتصاب الدولة العثمانية كدولة عسكرية ضرائبية أسست لنظام البايليك، أما ماشهده المجتمع أثناء الفترة الكولونيالية الطويلة (1830–1962) لهو الذي تسبب في أكبر تمزق للبنية الاجتماعية والهوية الجماعية والفردية، أو فترة الانقطاع. أما بعــد ارســترجاع السادة الوطنية فقد ارتبط التغير الاجتماعي بالتنمية بغض النظــر عــن فلســفتها وأهدافها ومراميها وتحولاتها الداخلية.

وبالتالي فإن التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائــري الحــديث، وبالنســبة للغالبية من المجتمع ومنذ الاستقلال ارتبط بظاهرتين أساسيتين، واحــدة تخــص الشمال تمثلت فيما سمي بالنزوح الريفي، والثانية وهي موازية لها تخص الجنوب تمثلت فيما نسميه تمدن البدو أو تثبيت البدو، هذين الظاهرتين وما رافقهمــا مــن

عوامل كالسياسة التنموية والنمو الديمغرافي، هي في اعتقادنا الظواهر التي طبعت واقع المجتمع الجزائري منذ الاستقلال.

في هذا الصدد أدرجنا هذا الجدول من خلاله يمكن مقارنة المجتمع في إطار التحول من التقليدي إلى الحضري:

جدول رقم (02) أهم مجالات التغير الاجتماعي بين المجتمع التقليدي والحضري.

نوع المجتمع أهم مجالات التغير	مجتمع ريفي/ بدوي (تقليدي)	مجتمع حضري (حديث)
المجال	قرية، دوار، دشرة (استقرار) أرض(دورة فصلية قارة)	مدينة، عمران حضري، (حركية مجالية)
النشاط الاقتصادي	زراعة، رعي، (تجارة، قوافل)	خدمات، تجارة عرض، حرف، صناعة...
القيم	تقاليد، تدين تقليدي، روابط الدم	تجديد، فردية أو أسرية، مؤسسة
البنية الاجتماعية	تدرج قار للروابط السلالية، التضامن الميكانيكي	تطور الدخل الفردي، الارتباط بالوظيفة والإقامة.
الاندماج	بالنسبة للعائلة أو القبيلة أو القرية تجانس القيم والممارسات، الفرد منتمي ومندمج.	خارج العلاقات الخاصة من خلال العمل والتكاملية الناتجة عن تقسيم العمل. الفرد منتمي وقليل الاندماج ضمن الروابط التقليدية.
الرقابة الاجتماعية والصراعات	رقابة اجتماعية مشددة، صراع دفاعي لحماية القواعد والقيم،	فرديةأو أسرية، صراع هجومي للحصول على حقوق جديدة.

من خلال هذا الجدول يمكن رصد معظم مجالات التغير الاجتماعي ونوع التغير، بين المجتمع الريفي القروي أو البدوي إلى المجتمع الحضري، وهي مجالات تمكننا من رصدها من خلال النظريات وعوامل وظروف التغير الاجتماعي وذلك بعد محاولة تقريبها مع واقع التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائري، و على أساسها يمكننا أن نوجه ملاحظاتنا الميدانية للواقع الاجتماعي المجالي في ميدان دراستنا مدينة تقرت ووادي ريغ.

خلاصة الفصل:

إن المنطلق الذي اخترنا على أساسه هذا الاستهلال النظري هو الوصول إلى تأييد نظري وموضوعي للصلة الواقعية بين الوحدة البنائية للمجتمعات البسيطة وهي المجتمعات الريفية القبلية في حالتنا هي المجتمعات البدوية وأنصاف البدوية، والمجتمعات الريفية (السود المزارعون للنخيل) من جهة والمجتمع المعقد المكون للمدينة في الجنوب الجزائري تقرت مثلا والمكون أصلا من هؤلاء بعد عمليات التمدن، التحديث، التثاقف. في ضل ذلك أن حياة الريف لا تتغير بصورة تامة في مواجهة قوى التغيير التي تفرضها الحياة الحضرية، بل تتم عبر فترات زمنية طويلة نسبيا. والواقع الذي نفترضه والناشئ أصلا من ملاحظات الميدان ومن التراث النظري الحضري هو نوع من محصلة هذه القوى

أي أنه في مجال لا يزال في طور الإنشاء (المدينة) عن طريق المشاريع العمرانية للدولة الوطنية، في مواجهته مجموعات اجتماعية تقليدية في طور إعادة التشكل أو في خضم التغير الاجتماعي. هو واقع مدينتنا اليوم وهو الموجه لتطورها ومستقبلها. لعل الدراسة الميدانية لحياة السكان اليومية للممارسات للإستراتيجيات الاجتماعية وللتمثلات أن تؤيد هذا الافتراض المؤسس أو أن تعدله أو أن تنفيه لصالح واقع آخر أكثر مقاربة للواقع الاجتماعي.

الفصل الثالث

شبكة القصور والمدن في وادي ريغ، النشأة والوظائف

مقدمة الفصل

1. **شبكة القصور والمدن في وادي ريغ.**
2. **المجموعات الاجتماعية وبنياتها التقليدية.**

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

شكلت القصور على طول وادي ريغ المجال السكني لفلاحي النخيل في الواحات قرى بسيطة وكثيفة مبنية من الطوب النيئ معدة أساسا لسكن الفلاحين مدينة تقرت(مستاوة) التاريخية جامعة، المغير... دونا عن غيرها من القصور المجاورة لهاو بحكم موقعها عرفت تطور علاقات تجارية وصلت حتى تونس والمغرب وبلاد السودان وحتى الحجاز. شكلت مركز انطلاق قوافل ووصول أخرى في نظام موسمي وسنوي بفضله وبفضل تطور وظائف أخرى سياسية ودينية تصبح تقرت عاصمة جهوية على شبكة قصور وادي ريغ تلعب دورا إقليميا هاما، بذلك لفتت أنظار الممالك والقوى السياسية المجاورة، الحفصيين، والحكام العثمانيين في بايليك الشرق وغيرهم الذين حاولو بسط نفوذهم على مناطق الحضنة والزاب ووادي ريغ.

بهذه الأهمية تشكلت قصور ومدن وادي ريغ، التي سنعرض في هذا الفصل إلى نشأتها والمنطق البيئي والتاريخي الذي نشأت عليه والوضائف التي مارستها كونها مجال عمراني واجتماعي تقليدي كوّن المرجعية الثقافية لسكان الواحات والصحراء الجزائرية عموما.

1. شبكة القصور والمدن في وادي ريغ: النشأة والوضائف

1.1. المدينة التاريخية تقرت(مستاوة)

من خلال مختلف الأوصاف التاريخية التي تحـدثت عـن المدينـة تقـرت التاريخية وكذلك المدن الصحراوية الأخرى والتي هيمنت على شـبكات قصـورها والتي تتميز بتشابه كبير في ميزات المجال المبني وهيكلته، فـي معظمهـا تنطبـق عليها الأوصاف العامة للمدينة العربية الإسلامية[1]، تتكون أساسا من أنسجة عمرانية مهيكلة انطلاقا من التجهيزات المركزية، المسجد أو الجامع الكبير، السوق الرئيسي والمتاجر أوحوانيت الصناعة اليدوية التقليدية، تنطلق منها الشوارع الرئيسية التـي تمثل شريان الحياة الاجتماعية العامة، مع الساحة العامـة تشـكل المجـال العـام PUBLIC مجال المرور والنشاط والالتقاء.

في هذا النوع من المـدن الصحراوية تنظـم الشوارع والفضـاءات علـى أســاس عمليةالتدرج Hiérarchisation من العام إلى الخاص بطريقة مركبة، إذ تفضي المحاور الرئيسية إلى الشوارع الثانوية و التي تفضي بدورها إلى الممـرات الضيقة أو الدروب ثم إلى ممرات مقطوعة impasses هذه التدريجات هي تعبيـر

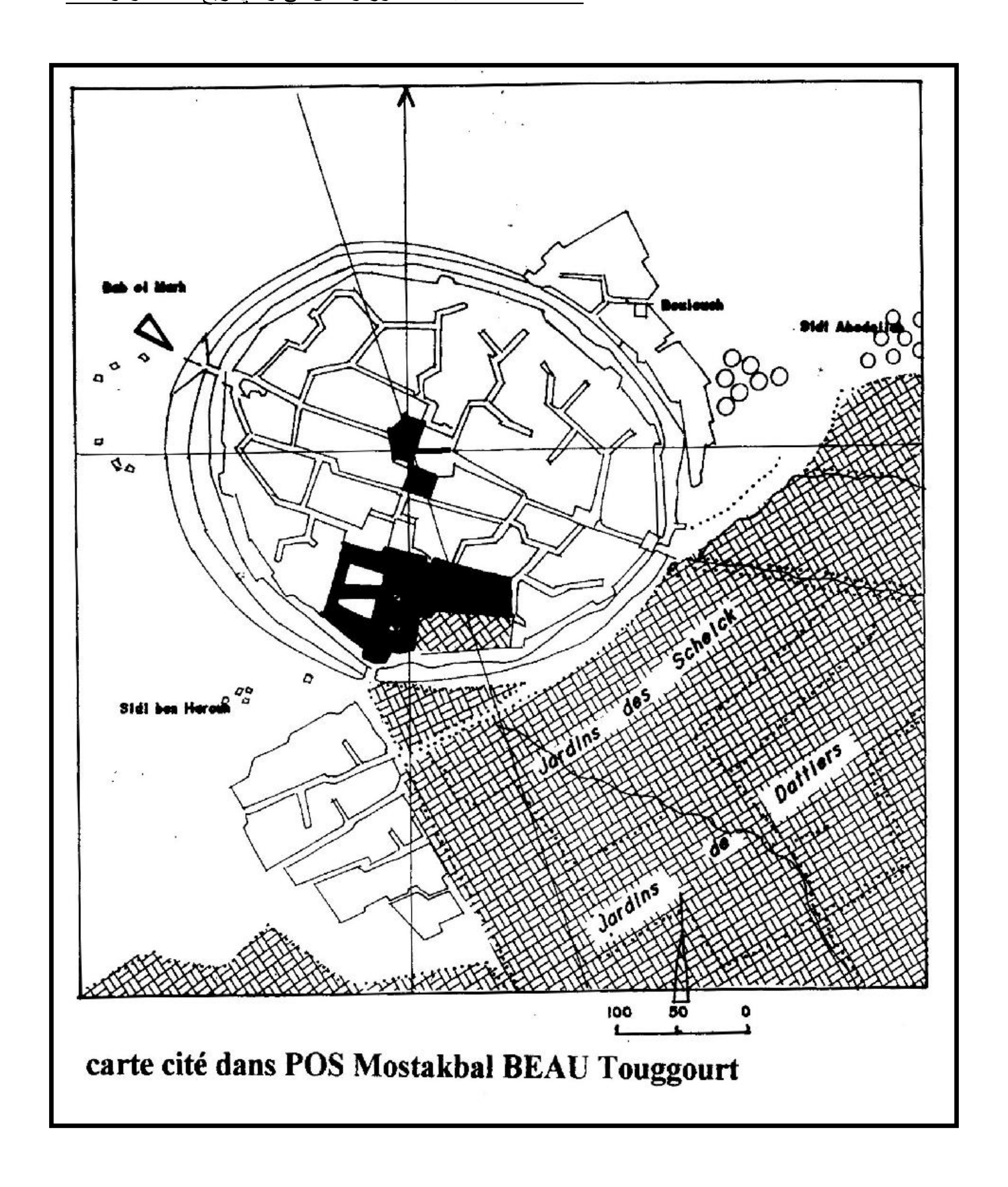
1 أنظر الفصل الخاص بالمدن العربية الإسلامية ص (54).

مجالي على نوع الحياة الاجتماعيـــة والعلاقــات الاجتماعيـــة وتـــدرج مســـتويات الخصوصية في هذه المجتمعات.

منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي تتشكل تقرت وتصـــبح مدينـــة هامـــة محاطة بسور خارجي من الطين النيئ والتراب مدعم بخندق يملأ بالماء من واحات الخيل المجاورة، يصل علوه إلى 2.5 م مجهز بما يشبه القلاع للمراقبة كل 60 مترا ارتفاعها 3.5 م بنيت بالجبس المحلي[1]، يتم الدخول إلى المدينة بعد عبور جسر مـــن أخشاب النخيل المتحركة لقطع الخندق. جهزت المدينة بثلاثة أبواب رئيسية، وكعادة المدن العربية الإسلامية تغلق أبواب المدينة ليلا بعد إخراج "الغربـــــاء" الذين هـــم في العـــــادة من البدو أو التجار الذين يخيمون حول المدينة، وتوضع المفاتيح عنـــد السلطان[2] ليعاد فتحها في الصباح.

1 **Féraud (L .CH)** «*les Ben – Djellab, sultans de Touggourt; Notes historiques sur la province de Constantine*; in Revue africaine N° 23 1879. p59-60.

2 من الحكام المحليين بني جلاب، تأسس حكمهم من 1431 إلى 1854.



المصدر: مخطط شغل الأراضي مكتب الدراسات الهندسية والعمرانية تقرت 2000

الشكل (03) مخطط تقرت التاريخية مستاوة

السوق هو الساحة المركزية التي تتوسط المدينة. ساحة مربعة الشكل ضلعها حوالي 40 مترا، يجد بها المسجد الكبير الجامع، وهو النقطة المركزية في المدينة، تتفرع تنطلق من الساحة المركزية أربعة شوارع رئيسية مغطاة بجذوع النخيل والجريد يضاف إليه الرمل والجبس، ما عدا فتحات صغيرة على الضوء و التهوئة عرض هذه الشوارع الرئيسية حوالي 2 م عرض يسمح بتقاطع فارسين حسب وصف المؤرخ **شارل فيرو**[1] الذي زار المدينة في حدود 1852م.

إن التدرج في الفظاءات والشوارع هي السمة البارزة في هيكلة المدينة، الأمر الذي يعكس مباشرة التنظيم الاجتماعي وهيكلة الأنوية، والقواعد العامة في السلوك والسير. التمفصل المعقد والمركب للشوارع والفتحات والتغير في الأشكال والأحجام تترجم الحاجة الماسة للحماية الفزيائية والمناخية وأيضا وبدرجة مهمة التحكم في درجة الخصوصية intimité الاجتماعية والأسرية.

[1] **L .Ch FERAUD** ibid p 59-60

2.1. القصور في وادي ريغ، مجال متناغم متدرج

القصـــر والذي يقع في الترتيب من حيث الأهمية العمرانية والوظائف في درجة أقل من المدينة التاريخية، القصور في وادي ريغ منذ نشأتها وتحولاتها بحثـا عـن مصدر الماء، هي مكان سكني بالدرجة الأولى لفلاحي النخيل لم يبلغ تعقيد المدينة إذ تتركز وظائفه على العلاقة مع واحة النخيل، تسكنه فئات من الفلاحـين مزارعـي النخيل من الحشاشنة. القصور الأقرب المجاورة للمدينة تقرت هي النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية.

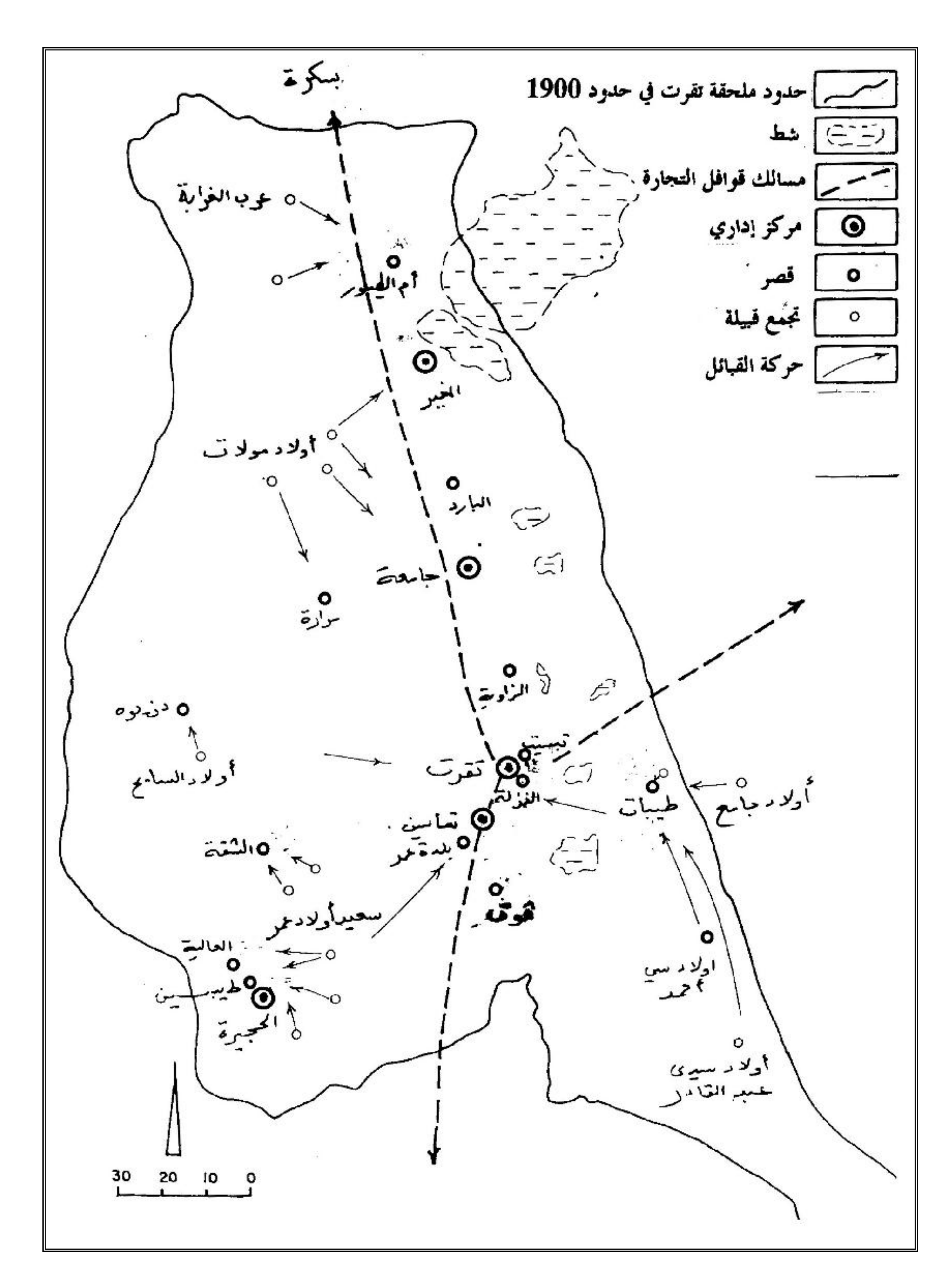
نلاحظ أن المدن والقصور المرتبطة معها تتميز بأنسجة بنائية خاصة تتميـز بوجود العناصر التالية، المنازل، المساجد، الساحات، الشوارع، القلعـة أو البـرج الأسواق، الدكاكين، و ورشات الصناعة التقليدية. القـرى و المـدن فـي مجملهـا تموقعت على مناطق مرتفعة – Pitons – حسب ما تسمح به طبوغرافية المنطقـة تأخذ الشكل الدائري في معظمها، عند قراءة هيكلتها نحس أن أولوية مخططها كانت مسألة الدفاع، بسبب الصراعات المتكررة التي شدتها المنطقة في فتراتها التاريخيـة المتعاقبة[1]الإثنية و أيضا المتعلقة بعملية الإنتاج الزراعي، في تلك الأثناء كان السكان يعرفون مزايا البناء في الأماكن المرتفعة وحتى وإن حرمتهم طبوغرافيـة المنطقـة

---

1 **FERAUD (L .CH)** , ibid p'66

المسطحة المنبسطة من هذه المواقع المنيعة، قاموا بتعويض ذلك بردوم من أجذع النخيل نجده مازال موجود أثره في منطقة تماسين (10 كلم جنوب تقرت) وتمرنة (قرب جامعة، شمال تقرت).

في وادي ريغ تنقسم شبكات القصور، أي القرى التقليدية الواحاتية إلى ثلاث مجموعات رئيسية، الأولى من الشمال والتي تشرف عليها مدينة المغير (100)كلم شمال تقرت والمتميزة بقربها من أخفض نقطة في التراب الوطني (شط ملغيغ، وشط مروان) والذي يبلغ مستواه −35 م تحت سطح البحر. أما المجموعة الثانية والتي تشرف عليها مدينة جامعة (50) كلم شمال تقرت. أما المجموعة الثالثة التي تشرف عليها مدينة تقرت والتي تأتي في الأهمية الأولى من حيث تجمعات القصور والتعداد السكاني والتركز الحضري، أعطت لمدينة تقرت أهميتها الإستراتيجية من حيث إشرافها على كل حوض وادي ريغ.



المصدر: مخطط من إنجاز الباحث.

الشكل (04) مخطط لتجمعات القصور القريبة من تقرت وحركة القبائل، الوضع حوالي نهاية القرن التاسع عشر

3.1. المنزل التقليدي، فضاء مغلق ذو دلالة هندسية اجتماعية

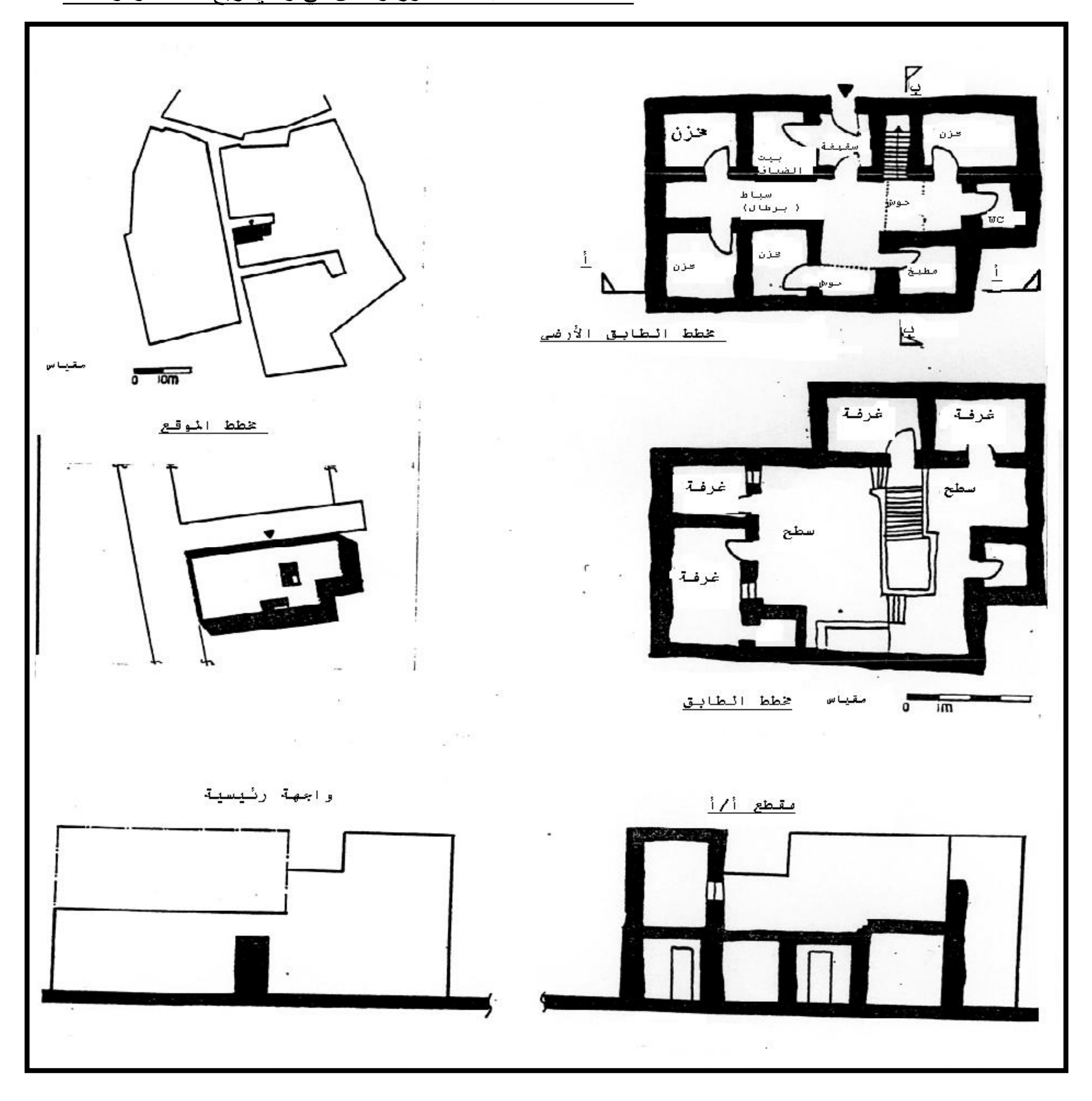
من المكان العام أو الساحة الرئيسية للوصول إلى السكن يجب المرور عبر عدة مستويات من درجة الخصوصية، من الشارع الرئيسي إلى الشوارع الثانوية التي تنتهي كثيرا بممرات حادة impasses التي تفضي إلى مدخل المنزل " السقيفة"، المنزل نفسه يعيد خلق هذا التراكب من خلال توزيع عناصره الداخلية و هندسته المتناغمة والمتناسقة مع المجال العام للمدينة.

المنزل مغلق عن الخارج، مفتوح عن السماء، يمثل الإطار المثالي للحياة التقليدية في المنطقة المتميز بخصوصية الحياة الأسرية، يتأقلم مع النظام الأبوي للأسرة ومكانة الحرمة بالنسبة للرجل والمجتمع معا، لارتباطه بالعقلية المحلية من جهة والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، و باعتبار أن كل شعب قد أنتج هندسته المعمارية يخرج من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه وفلكلوره، بقراءتها وتحليل عناصرها وإبعادها يمكن تصور وفهم ما فكر فيه هذا المجتمع إن هندسة منزل لا يمكن بلورتها دون تحديد الحضارة التي يعيش فيها ساكنوه[1].

[1] **FATHY Hassan,** ibidem. p 6 0

في مدينة تقرت بالخصوص يمكن التمييز بين نوعين من السكن التقليدي السكن الذي وجد في النواة الأصلية مستاوة المدينة التاريخية، والذي بحكم وضع المدية كمركز سياسي لحكم أسرة مشايخ بني جلاب ومركز تجاري أرتبط بحركة قوافل التجارة والعلاقات مع المحيط الجهوي البعيد و أيضا البدو، أما القصور فقد ارتبطت أصلا بثقافة زراعة النخيل وضمت السكان المحليين " الحشاشنة "، مما يجعلنا نميز بين نوعين من السكن التقليدي بينهما قواسم مشتركة ومركبة بين الثقافة المحلية الفلاحية وتأثيرات المحيط الجهوي. و السمة البارزة التي طبعت منطقة السكن في هذه المنازل قبل انهيار الحدود الثقافية بين المجتمعات في حدود القرن التاسع عشر[1] نلاحظ أشكالا و تفاصيل هندسية محلية كانت ثمرة التزاوج المتناغم بين مخيال هذا المجتمع المحلي و الشروط البيئية المحلية أيضا.

[1] **Fathy HASSAN** ibid p 64



مخزن: غرفة(بالتعبير المحلي).

غرفة: تطلق على الغرفة إذا كانت موجودة في السطح.

** سباط: أو برطال الجزء المسقوف من الحوش.*

الشكل (05) نماذج مخططات للمنزل التقليدي بوادي ريغ

المصدر : Allaoua AMMICHE « L'espace urbain de Touggourt (Oued righ) Etude D'aménagement » thèse de Doctorat Université de Provence.p 287

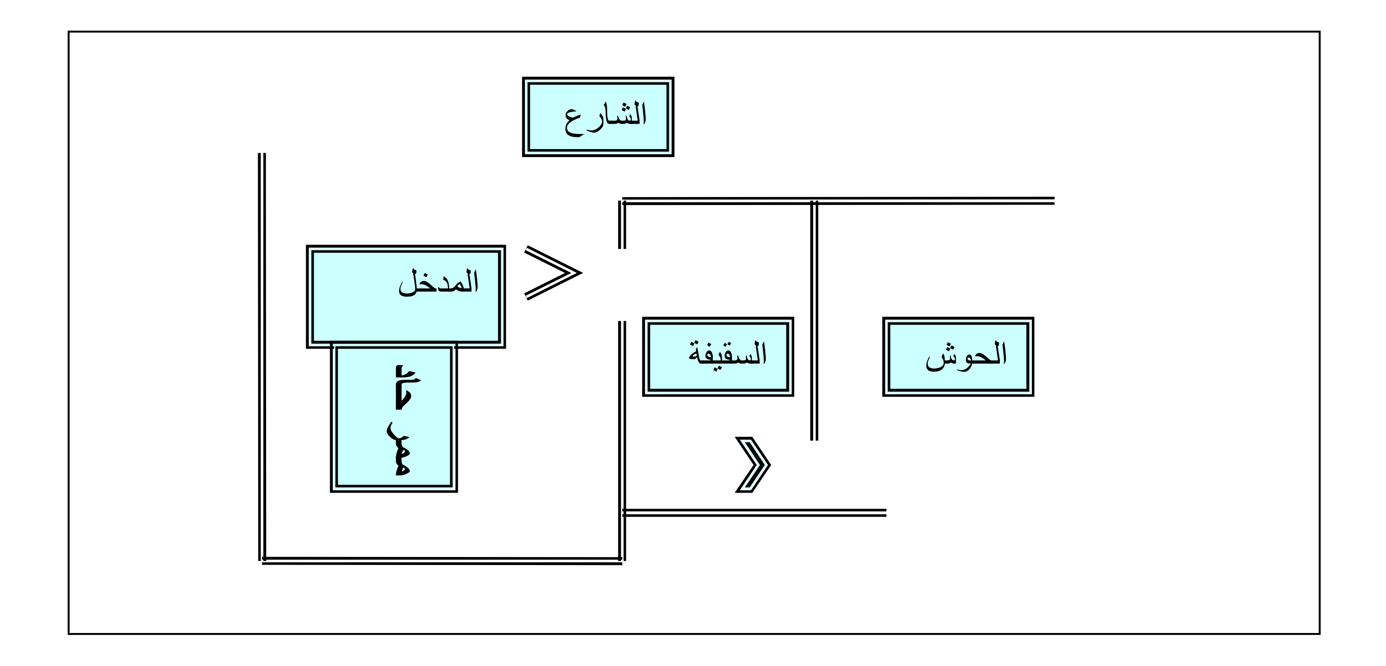
بنيت المنازل من أجل احتواء كل حياة الأسرة الممتدة تحت سلطة رب الأسرة. تدور معظم حياة الأسرة في العنصر الأساسي الحوش المركزي هذا الفضاء الذي يوزع إلى كل عناصره الأخرى تقضي فيه المرأة معظم ساعات يومها تقوم بالأشغال اليومية كونها أيضا هي مركز حياة الأسرة و هو المكان الوحيد مع السطح الذي يتلقى أشعة الشمس و الهواء. هذا الحوش مجهز في اغلب الأحيان بفضاء آخر انتقالي[1] قبل الوصول إلى الغرف في شكل سباط أو " برطال "، وهو مستطيل مسقوف مرفوع على أقواس من الجبس محمى من الشمس تحضر فيه المرآة وجبات الأكل في الصيف كما يعد فضاء اجتماع الأسرة في الصيف لتناول الشاي بعد العصر ، كما يتخذ مكانا محببا للاسترخاء أو الجلوس، و توضع فيه آنية لتبريد الماء من الفخار المحلي يسمى " زير".

إن الوصول إلى هذا الحوش من الخارج يتم أيضا عبر عقبات توصي بالسلوك العام المحافظ على الخصوصية. المنزل يفتح على باب من أجذع النخيل يفضي إلى فضاء انتقالي مسقوف عادة هو "السقيفة[2]" ذو شكل مربع أو مستطيل في أحد جوانبه غرفة الضيوف بيت " الضياف" و مدخل أخر مستقل يفضى إلى الحوش

[1] **Bernard (A)** *«Enquête sur L'habitat rural des indigènes de L'Algérie »*, Fontana, Alger, 1921 pp. 36 38.

[2] تنطق القاف في المنطقة بالجيم المصرية. الباحث.

نجد السقيفة عادة فقيرة من أي تأثيث إلا من رحى حبوب تضعها بعض النساء فـــي هذا المكان بالذات لقيامهن بهذا العمل مشركين و نجدها في المنازل الميسورة فقط.



المصدر: نقلا عن الواقع، الدراسة الميدانية 2007 (الباحث)

الشكل (06) مخطط السقيفة يوضح التدرج في الدخول إلى المنزل التقليدي حسب مبدأ التدرج في الخصوصية.

توزع الغرف عادة حسب امتداد الأسرة وتركيبها، تتوزع من الحوش المركزي وهي مربعة الأشكال. تستعمل للنوم و الجلوس أو تناول الأكل تحوي أغراض مستعمليها. وإذا كان رب الأسرة متعدد الزوجات– وهذا من النادر في عادات المجتمع القروي المحلي من سكان القصور حسب روايات أغلب المسنين – فان كل زوجة تستقل بغرفة مع أطفالها الصغار أما الكبار فلهم غرف خاصة لمن تزوج منهم، تستفيد الغرف من التهوئة من خلال فتحة صغيرة نسبيا أبعادها لا تتعدى 0.5م تطل فقط على الحوش فوق مستوى النظر. تجهز الغرف برفوف محفورة في الجدران السميكة توضع فيها الأغراض و تؤثث عادة بسرير مصنوع من سعف النخيل.

يتم الطبخ في البيت التقليدي في أماكن متعددة حسب الفصول فالمطبخ و هو غرفة قريبة من" السباط" لا تتعدى مساحته 6 إلى 12 م^2 تعلق على جدرانه وسائل الطبخ التقليدية من الصنع التقليدي المحلي، (غرابيل. أطباق ... الخ) في فصل الصيف تنتقل أعمال الطبخ والإعداد إما للسباط مقابل الحوش أين تشرف من خلاله المرأة على الحركة داخل بيتها أو إلى السطح أين يتوفر الجوالأقل حرارة خاصة في وجبة العشاء إذ تنتقل الأسرة بكاملها لقضاء الليل.

غرفة أساسية أخرى هي بيت الخزين يمكن أن تكون في الطابق الأرضي كما أن تكون في السطح كغرفة مستقلة تتوفر على التهوئة وقلة الرطوبة تخزن فيها الغلال، تمر، مؤونة الخاصة بالأسرة ووسائل استعمال المنزل وأدوات الفلاحة وتكون دوما مغلقة تشرف عليها ربة البيت التي توم بتوزيع هذه المواد على نساء البيت ليقمن بإعداد الوجبات بطريقة التناوب عادة.

مكان الحيوانات والمرحاض في ركن منعزل يدخل إليه من أحد جوانب الحوش ملحق معزول للحيوانات الأليفة أهمها الماعز أو الحمار المهم في أعمال الفلاحة وفي ركن منعزل جدا نجد المرحاض الذي هو حفرة تصل إلى 2 م في المتوسط ويكون عادة ملتصقا بالجدار الخارجي للمنزل حتى يتمكن من رفع الفظلات من الخارج بواسطة فتحة من خلال الجدار لتستعمل كسماد لواحات النخيل، هذا المكان معرض دوما لأشعة الشمس والهواء ينطلق من الحوش في اتجاه السطح درج يؤدي إلى فضاء مفتوح في أحد جوانبه غرفة أو غرفتين، مستور بجدار خارجي محيط علوه حوالي 2 م، تستعمل الأسر هذا السطح الهام والأساسي في هندسة أي منزل في المنطقة في ليالي الصيف الحارة، وفي تجفيف المواد الغذائية تستتغل المرأة إلى هذا الفضاء في أوقات الليل لان معظم الأسطح تطل على بعضها البعض.

العناصر الأساسية كالتراب، الماء، الضوء، النبات، تؤلف مصادر المواد الأساسية لهذه الهندسة المعمارية، استعمال المواد الملية المتوفرة وتطبيق مبادئ البناء والحلول الهندسية عبر خبرة قرون طويلة. طورت تقنيات خاصة طبقت في كل الإنجازات العامة وفي المنازل وحتى في الأثاث. أدوات الاستعمال اليومي كلها ثمرة صناعة تقليدية تتوفر على غنى وعمق من التعابير والدلالات، مهيكلة حسب تدرج دقيق وتنظيم يعكس وبكل دقة النظام الاجتماعي و تكوين النواة الأسرية وقواعد العادات الجماعية. إن الطبيعة الأساسية لهذه القصور تتجاوب مع قوانين النظام الديناميكي والي تتطور بتثمين المصادر الداخلية، بالرغم من بساطتها الظاهرية فإن هذه الهندسة المعمارية وعند تحليل دلالاتها تعطي أشكالا و فضاءات وتدرجات توحي بعمق كبير في من خلال خطوطها المنحنية عموما وجماليتها الخاصة وطابعها الخاص. تستجيب في عمها لحاجات الحماية الفزيائية والمناخية، والحفاظ وبدقة على مختلف مستويات الخصوصية intimité الاجتماعية والأسرية.

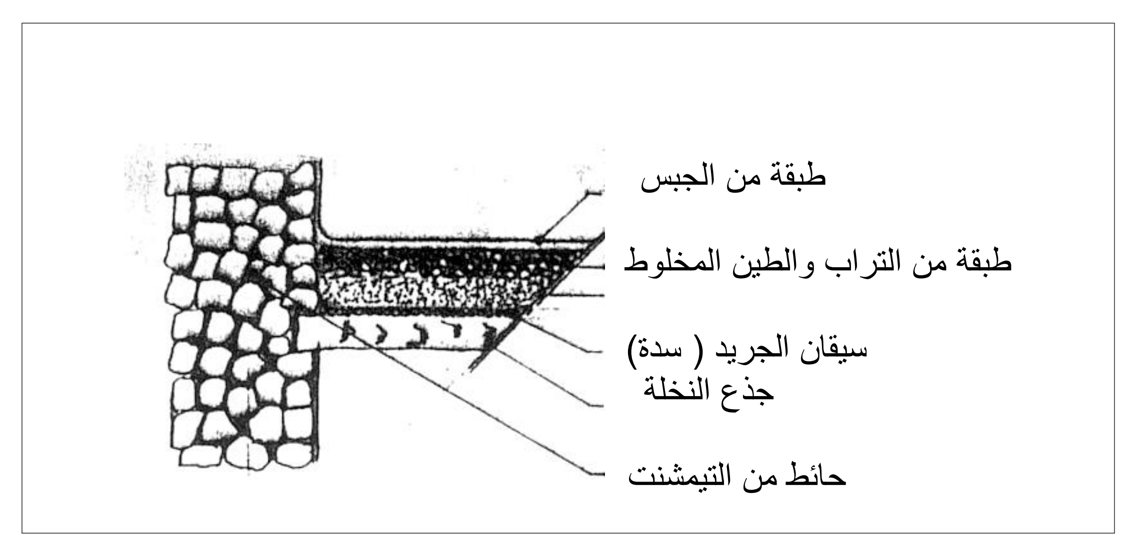
العلاقة، واحة/ صحراء يعاد تشكيلها بين جدران المنزل في العلاقة بين نواة المنزل والشارع الرئيسي وساحة السوق المركزية مكان التقاء الواقع الخارجي، المنزل يعيد خلق الفضاء ابتداء من الحوش المركزي والسطح. العناصر المرتبة

حول المحور المركزي للمنزل المفلوقة عن الخارج، تعيد إنتاج هيكلة داخلية جديدة للمجال ليصبح المنزل وحدة متكاملة بين جدرانه.

لا توجد استعمالات مستقرة للعناصر، خاصة الغرف التي تفتح عن الحوش المركزي، كل غرفة تخضع لاستعمالات متغيرة حسب الحاجة وحسب فصول السنة و أيضا حسب تطور عدد أفراد الأسرة و الزيجات الجديدة تضيف أسر جديدة داخل نفس المنزل، مما يخلق نوعا من الرحلة الداخلية في المنزل Nomaderie interne [1] مسجلا بذلك تتابع الزمن وأيضا مسجلا مسار تطور الأسر. سجل تاريخ الأسرة نجده في هندسة المنزل. مع بقاء الجدران الأساسية الحاملة والأعمدة الرئيسية مستقرة ويدور حولها كل شيء في المنزل ويتحول. يستجب بذلك البيت لقواعد دقيقة للحماية المناخية والدفاعيةوالخصوصية. شبكة الشوارع الضيقة والمغطاة تسمح بالمرور إلى المنازل المغلقة تؤلف مجموعا متراكبا هو ثمرة تطبيق أساسيات هندسية بسيطة ودقيقة، أملتها ثقافة سكان المنطقة المحافظة.

[1] **Pietro LAUREANAU :"** *SAHARA, Jardin méconnu"*, Larousse Paris 1991, p 161.

الرمل الذي يحتوي على الطين بخصائصه اللينة يتسم بإعداد الطوب النيء المشكل والمييس على أشعة الشمس، كما يستعمل أيضا كمادة لاصقة «ملاط"، دون استعمال القش. إضافة إلى الجبس المسمى في المنطقة " تيمشنت " جبس تقليدي ذو لون رمادي يستخرج من حرق الحجر الجيري المتوفر في المنطقة في أفران تقليدية يطلق عليها اسم " المقطع " هذه المادة ذات كلفة عالية بالنسبة للفقراء ولهذا تخصص عادة لطلاء الجدران في بيوت الميسورين وأيضا لبناء الأماكن المقدسة كالمساجد والزوايا والقباب. مصدر الأخشاب الوحيد في المنطقة هو النخيل التي تستعمل جذوعها كدعامات POUTRES بعد موت النخلة يقطع الجذع طوليا إلى جزئين أو أربعة أجزاء، وتسقف عليها الشوارع أو غرف البيوت توضع فوها سدة من الجريد يربط ببعضه ثم يغطى بطبقة من الطين أو الجبس لمنع تسرب الماء.



المصدر : POS EL Mostakbal BEAU Touggourt

الشكل (07) **مواد وتقنيات البناء للمنزل التقليدي**

2. المجموعات الاجتماعية وبنياتها التقليدية

لمحاولة فهم حركية هذه المجموعات الاجتماعية التي شكلت التركيبة الاجتماعية لقصور ومدن وادي ريغ التقليدية ونشاطاتها وبنياتها الاجتماعية، لا بد من تحليل وضعها التقليدي وتلخيص النظرة إليها من خلال أهم المجالات في نظرنا وهي مجال التنظيم الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والمجال السياسي ومركباته وأيضا المعتقدات الدينية كونها المجالات الهامة التي لعبت الدور الأساسي في وجود شبكة القصور والمدن ديمومتها ودورها. في هذا الباب إعتمدنا بالأساس على المقاربة الميدانية والمحادثات التي تمت مع المخبرين المحليين والمسنين من كل مجموعة اجتماعية، وبعض المعلومات التي تضمنتها بعض كتابات الهواة من المنطقة، أما ماهو منشور حول الموضوع لم يف بالغرض في معرفة المجموعات الاجتماعية وتنضيماتها، ما عدا الدراسة التي قام بها (بيليقرا)[1] حول أولاد السايح في منطقة تقرت.

---

1 **Daniel Pelligra** « *Systems de relations nomades ; région de Touggourt- Algérie* » Doctorat de 3^{e} cycle en sociologie, Ecole des Hautes études en Sciences Sociales France 1978-1979.

1.2. المجموعات الاجتماعية في المدينة التاريخية والقصور

سكان تقرت الآن – وقت إنجاز هذه الدراسة – 150000 ساكن[1]، هذا العدد المعتبر ضم عدة مجموعات اجتماعية متباينة في تركيبها ونشاطها مناطق تركزها وتاريخ استقررها بالمدينة وبالواحات المجاورة لها وحتى في لون البشرة... مجموعات تعبر عن الفسيفساء البشرية التي تركب سكان الواحات شكلتها ظروف تاريخية مختلفة، ملاحظاتنا الميدانية في هذا الجزء الهام من مدينة تقرت قادتنا إلى التمييز بين هذه المجموعات الاجتماعية التي تتوزع في الأصل على أحياء متمايزة في المدينة، إن التوسع العمراني يتوافق تماما مع التوزيع المجالي والحركية المجالية للمجموعات الاجتماعية المشكلة لسكان المدينة، بداية من الحشاشنة ذوي البشرة السوداء الذين سكنوا القصور المجاورة لتقرت القديمة، إلى توطنات البدو الأوائل ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين و توطنات البدو الجديدة في حدود الثمانينيات من نفس القرن، وانتهاء بأحياء التوسعات الجديدة في التسعينيات، ووفود أعداد سكانية معتبرة من سكان الشمال. لتثبت أن المراحل التعميرية التي شهدتها المدينة تصاحبت في شكل متواز مع حركات بشرية واجتماعية محصلتها اليوم هي الواقع العمراني الاجتماعي لتقرت اليوم. ولايمكن فهم الواقع العمراني اليوم إلا بتحديد هذه المجموعات في وضعها التقليدي والتي نصنفها إلى مجموعات فلاحية واحاتية مدينية

---

[1]

أو قروية ذات تقاليد حضرية عريقة " الحشاشنة" و"المجاهرية" و مجموعات بدوية أو نصف بدوية قبلية متوطنة، أو مجموعات من الشمال وفدت للمدينة في فترات تاريخية متعاقبة.

1.2.2. " الحشاشنة " انتماء لأصل أم لحرفة ؟

المجموعة السكانية التي تشكل العدد الأكبر من حيث التعداد السكاني وأيضا تشكل الطابع البشري الثقافي لتقرت ومنطقة وادي ريغ بالأخص[1] تموقعت على الخصوص في القصور سواء المجاورة لتقرت(النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية) أو قصور وادي ريغ من قوق وبلدة عمر جنوبا وحتى المغير شمالا. تسمى " الحشاشنة " أو رجال الحشان أو الرواغة (بني ريغة)، ميزتهم الأولة لون البشرة السوداء أو شديدة السمرة، لكن الملاحظ أنه يجب التفريق بين السكان ذوي الملامح الزنجية وهم قلة فيهم، والحشاشنة في وادي ريغ أين تقل هذه الملامح وهو على الأرجح نتيجة تزاوج آبائهم من عناصر أخرى من المنطقة، البربر حسب إفتراض (شارل فيرو)[2] . أما **(ابن خلدون)** في تاريخه تكلم عن ريغة أوبني ريغ، في حديثه عن إقليم وادي ريغ:

---

[1] لا توجد إحصائيات رسمية يمكن من خلالها التأكد من تعداد كل مجموعة اجتماعية على حدى. لكن الملاحظات في الميدان تؤكد ذلك. (حسب الملاحظات الميدانية من 2006- 2008).(الباحث)

2 **Léan Charles FERAUD** « *les Ben – Djellab, sultans de Touggourt* ; Notes historiques sur la province de Constantine ; in Revue africaine N° 23. 1879.

«... وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناتـــه... ونـــزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووراكلا، فاختطوا قرى كثيرة فـــي عـــدوة واد... يشمل المصر الكبير والقرية المتوسطة... وكثر فيها العمـــران مـــن ريغـــة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيـــرهم من قبائل زناتة [1]..».

فيروFéraud تحدث أيضا عن هؤلاء السكان في مجمل مقالاته عـــن بنـــي جلاب في المجلة الإفريقية، الذين يسكنون القصور المجاورة لتقرت التي قيم عـــدد سكانها آنذاك حوالي الخمسة آلاف من السكان، ويؤكد أن تقرت مثل وادي ريغ هـــو ملتقى بـــين" **الزنـــوج والبربـــر**" نتيجـــة التهجـــين أخرجـــوا جـــيلا جديـــدا مـــن المولدين(Métisses) ذوي ملامح البشرة السوداء[2]، والحشاشنة حسب رأيـــه هـــم أبناء هذا التهجين، يتكلم **فيروا** أيضا عن بعض الروايات التقطها من هؤلاء الســـكان آنذاك حول محاولتهم ربط أصلهم بالفاتحين العرب بروايات صنفها كأسطورة رددها له سكان المنطقة أثناء زيارته[3]

---

[1] **ابن خلدون عبد الرحمان** «*كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر*» الطبعة الثانية، بيروت 1921 ص96.

[2] **Léan Charles FERAUD.** ibid. p 59-60

Léan Charles FERAUD . ibid. p 60.

أعيان المنطقة وسكانها لهم أقوال يرددونها حول انتمائات الحشاشنة، أحد الاعيان المسنين من الحشاشنة وله دراية كبيرة بالسكان وتاريخ المنطقة في مقابلة معه يقول:

« ...الحشاشنة هم السكان" الأصليين" في القصور، وهم ليسوا أصلا واحدا ولا نسبا ولا عرقا كما يعتبرهم البعض فالكلمة "حشاشنة" هي صفة لحرفة الفلاحة وغراسة النخيل، لأن " الحشانة " في لغة أهل المنطقة تعني فسيلة النخيل، ورجال الحشان هم الذين زرعوا النخيل في وادي ريغ وبهذا أطلق عليهم اسم رجال الحشان أو الحشاشنة...." وينقد رواية فيرو التي لا يزال بعض المسنين يرددونها *«... كون التحريف الذي مس كلمة حسان إلى حشان أي من حرف السين إلى حرف الشين، هذا يناقض تماما لهجة الحشاشنة الذين لا يستطيعون نطق حرفالشين بسهولة فينطقون في كلماتهم الشين سينا كقولهم، السمس بدل الشمس أوالسارية عوض الشارية... لو كان الحشاشنة أصل لتكلم به ابن خلدون في تاريخه مع من ذكرهم من القبائل والبطون بالمنطقة...*" (من مقابلة، فيفري 2008).

السكان والمسنين منهم خاصة لديهم صعوبة كبيرة في تحديد هذه الهوية أو الأصل، تختلط لديهم الأسطورة والواقع التاريخي، عندما نسألهم عن أصلهم يرددون عبارة: "*نحن من رجال الحشان* "

فلا شجرة ولا انتماءات أكثر من العائلة الكبيرة التي لا يستطيعون مدها إلى أكثر من جيلين أو ثلاثة، وهم لا يعيرون اعتبارا لهذه المسائل مثل جيرانهم البدو المتمدنين من أولاد نايل أو أولاد السايح وغيرهم الذين يعتبرون مسألة الشجرة والأصل أساسية ويولونها أهمية خطيرة بمجرد الحديث معهم حول مسائل النسب والانتماء والشجرة. وهذ مرجعه بالخصوص إلى طبيعتهم الفلاحية المستقرة التي تولي الإهتمام في الانتماء إلى المكان عوض النسل وقرابة الدم. فكل قريب في لغتهم المحلية هو "*ولد عمي*" مهما كانت درجة القرابة ونوعها.

الحشاشنة السكان الذين يعتبرون من وجهة النظر المحلية السائدة عند جميع سكان المنطقة السكان "الأصليين" **أو** بالأحرى الأقدم توطنا لوادي ريغ، هم غالبية السكان في المنطقة، المختصين في فلاحة النخيل منذ قرون طويلة و نظام السقي أبناء الملاك الصغار من البربر أو أبناء العبيد القدامى الذين استقروا منذ تاريخ طويل[1] نجدهم في القصور العتيقة القريبة من تقرت وتوسعاتها المختلفة كمجموعة اجتماعية ذات تقاليد حضرية قديمة واستقرار فلاحي امتد عبر تاريخ الواحات والقصور، أنتجوا وطوروا أنواعا من التمور هي من أهم نوعيات العالم " دقلة نور"

[1] **Daniel DUBOST** : *la ville ; les paysans et le développement agricole au Sahara Algérien*, in Le nomade,L'oasis et la ville Fascicule de recherche n°20 URBAMA, 1989, Tours, p 134.

"الغرس" "دقلة بيضاء" هم بناة القصور المجاورة لتقرت، التي كانت لها وظيفة حضرية[1].

أبناء الحشاشنة الآن تسود لديهم نظرة خاصة عن مسائل الأصل هذه تعرفنا عليها من خلال حواراتنا معهم، **عمر** شاب حشاني متعلم ذو شهادة جامعية في سن السبعة والعشرين يعمل موظف في البلدية رافقنا في العديد من جولاتنا في حي النزلة، له نظرة لا تختلف عن أبناء جيله من الشباب عن مسألة الأصل حدثنا عندما كنا بصدد الحديث عن الأسرة وطرق الزواج في هذا المجتمع:

«...أن هناك فعلا نوع من الشعور التمييزي في البلاد...الحشاشنة لديهم نوع من الشعور السلبي تجاه لون البشرة، خاصة من جهة الشباب الذين سمحت لهم الدراسة بالتنقل والاتصال بمجتمعات التل أو من الذين يعملون في الشركات، يحاولون ترقية حياتهم والزواج من بنات التل " البيض " مما انعكس سلبا على فتياتنا اللواتي يعانين من العنوسة وتأخر سن الزواج، مما يهدد مجتمعنا بالخطر..." (من مقابلة، فيفري 2008).

هذا الكلام تكرر كثيرا معنا في محادثاتنا، هذا الشعور الذي يدفع شباب الحشاشنة إلى أنواع جديدة من الممارسات في طرق الزواج وأنماط الحياة التي

[1] **Daniel DUBOST** : ibid. p 145.

تتغير بفعل التحديث، المدرسة العمل في المؤسسات والشركات الخدمة الوطنية. وإلى أي مدى تؤثر هذه الممارسات الجديدة على مجتمع الحشاشنة وتقاليده المحلية؟

2.2.2. المجاهرية، "النخب" الاجتماعية المحلية

سكنت قديما المدينة التاريخية " مستاوة " من طرف عائلات "شبه إقطاعية" محلية ارتبطت بالتجارة والملكية العقارية والحرف يطلق عليهم" المجاهرية ". هم أيضا مجموعة متميزة من السكان الحضريين القدامى " البيض" المرجح أنهم قدموا كهجرات متعاقبة في مراحل تاريخية من الجريد التونسي وليبيا والزاب ومناطق التل وقت ازدهار حكم بني جلاب (1414–1854) وحتى قبله. استوطنوا مع بعض العائلات من اليهود المدينة التاريخية مستاوة، أسماء عائلاتهم "*كافي*" "*الطرابلسي*" "*وزاني*" *السنوسي*" توحي بهذه الانتماءات التي هي في الحقيقة كما أكد لنا المسنون منهم والأعيان بأسماء المناطق التي قدموا منها. يفسر الكثير من الأعيان في المنطقة كلمة "المجاهرية " المشهورة كأصل تحريفا لكلمة " مهاجرية " أي مهاجرين، نتيجة وضع المهاجرين المتشابه في كونهم وفدوا للمنطقة في فترات متتالية حدثت بينهم مصاهرات وتحالفات أدت إلى بروزهم تاريخيا كمجموعة شبه إقطاعية محلية تمكنت نتيجة النشاط التجاري والحرفي من امتلاك العقار السكني والفلاحي في واحات تقرت بالخصوص، جاء ذكر المجاهرية في العديد من

المؤلفات القديمة مثل (العياشي، في ماء الموائد) و رحلة الأغواطي[1] يشـــكلون الآن خصائص مجموعة اجتماعية مميزة بخصائصها عن الحشاشنة و التمايز في النشاط الاقتصادي بالرغم من تجاورهم الطويل وحضريتهم العريقة كون المجاهرية شـــكلوا طبقة من الملاك الإقطاعيين الرئيسيين للعقار السكني والنخيل ولمـــدة طويلـــة مـــن تاريخ مدينة تقرت، استطاعوا ملكية محيطات فلاحية من واحات النخيـــل والعقـــار السكني باستثمار عائدات نشاطهم التجاري بتمويل قوافل التجارة والمبادلات.

من علاقة المجاهرية والحشاشنة أي ما يمكن أن نطلق عليه تجمع المدينة مع القرية أو القصر هذا التجمع هو الذي شكل الواحة [2]. المجاهرية في مدينة تقرت لا نجدهم يسكنون القصور بل تركز وجودهم في المدينة التاريخية " مستاوة " حتى الآن مما يوحي بالقسيم المجالي التاريخي المحدد بين الحشاشنة والمجاهرية، المجاهريـــة في المدينة الرئيسية تقرت والحشاشنة في القصور المجاورة، وذلك لإرتبـــاط كـــل مجموعة بنوع نشاطها الاقتصادي.

---

[1] **الحاج ابن الدين الأغواطي**" *رحلة الأغواطي في شمال إفريقية والسودان والدرعية* ، ترجمها عن العربية قنصل أمريكا بالجزائر، والمراسل الأجنبي للجمعية الملكية الآسيوية (لندن) طبع مؤسسة الترجمة الشرقية سنة 1830.لندن.ترجمها عن الإنجليزية **أبو القاسم سعد الله:** في مجلة التاريخ(الجزائر)عدد النصف الثاني من سنة 1982. ص 264.

[2] **Daniel DUBOST** ibid. p 135.

الواحة، مجال حضري إذن يجمع بين المدينة والقرية أو مـــا يطلـــق عليـــه القصور تشرف على محيط النخيل عمل فيه " الخماسة[1] " من الحشاشنة وأيضا مـــن أبناء قدامى العبيد الذين كانت تأتي بهم قوافل التجارة، لكن ملكيته تعود في الغالـــب إلى العائلات المالكة من المجاهرية كإقطاع محلي أو إلى الرئاسات الدينيـــة التـــي وجدت بالمنطقة كالمشرفين على الزوايا، أو حتى من البدو الذين بالرغم مـــن عـــدم استقرارهم إلا أنهم يملكون في الغالب محيطات فلاحية وأيضا مخازن للغـــلال فـــي القصور[2] ، هذه العلاقة الاقتصادية والملكية هي التي أسست للعلاقة بين الحشاشـــنة والمجاهرية والقبائل البدوية وشبه البدوية، مما فرض تشكيل توزعهم المجالي فـــي القصور والمدن والصحراء وطرق القوافل. علاقات تحولت مع مجرى التحـــولات التي طرأت على المجموعتين لكنها لا تزال تمثلاتها وممارساتها موجودة حتى اليوم تفضي إلى تقاليد مصاهراتية ومسارات إقاماتية ومهنية معينة، يطبعها حاليا وحسب تعبيرات السكان، هذا التاريخ الطويل من العلاقـــات الاقتصـــادية والمجاليـــة بـــين المجاهرية الملاك والحشاشنة فلاحي النخيل والبدو.

[1] الخماس: هي وضيفة الحشاني التقليدية، بعمله في واحة المجاهري أو مالك النخيل بتقاضي خمس غلة النخيل. هذه الكلمة التي أصبح أبناء الحشاشنة يشمئزون منها بل أصبحت تشكل نوع من الطابو في حديثهم.

[2] **Daniel DUBOST** ibid. p 135**.**

3.2.2. أصول بدوية متمدنة، البدو وأنصاف البدو

البدو وأنصاف البدو[1](semi-nomades)، مجموعات ارتبطت بالوسط الصحراوي أو هوامش الصحراء، عشريات من التمدن غيرت كثيرا من طرق وأنماط حياتهم، الفترات الطويلة من الجفاف التي أصابت مناطقهم في الصحراء أو على الهوامش الصحراوية شمال الصحراء التي ينتشرون فيها، وعوامل التحولات التي أدخلت على الواحات منذ بداية القرن العشرين، ساعدت في تسارع عملية تمدنهم، ضمن مدن الواحات [2] . في ظروف الصحراء الجديدة لم يكن البديل أمامهم من خيارات سوى التمدن أو التهميش، هذا التمدن الذي أحيا إشكالية التمييز بين نوعين من الحياة الريفية في الصحراء، البدو والسكان القرويين في الواحات والعلاقات بين هذه المجموعات المتمايزة اجتماعيا وثقافيا مع عالم سكان الواحات من فلاحي النخيل، هذا التمايز الذي يطرح في ميدان دراستنا تقرت الكبرى، وبشكل واضح مشاكل تمدن البدو، والعمران في المدينة وعلاقات هذه المجموعات الاجتماعية بالمجال وبالحياة في المدينة وأيضا بقايا علاقاتها مع عالم البدو والريف.

---

[1] أنصاف البدو نقصد بهم المجموعات التي تمارس الرعي وتربية الماشية إلى جانب زراعة النخيل غير المسقية " الطلوع" في الأحواض المنخفضة وتعيش شبه استقرار أو التنقل في مساحات جغرافية محدودة لا تتعدى في الغالب 100كم. (الباحث).

[2] **Jean BISSON** « *le nomade, L'oasis et la ville* » URBAMA, n °20, 1989, p 5.

في الوضع التقليدي القديم وكما بينا في الفصل المتعلق بالمجال التقليدي قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع الواحات وقبائل البدو في الصحراء علاقات قامت قديما على أساس التكامل يظهر في تقاسم العمل والمقايضة والمبادلات والحماية، علاقات دامت طويلا زمن ازدهار القوافل التجارية، يظهر في قوة من التماسك الاجتماعي الذي كان قائما بين البدو والرحل من التجار أو المحاربين أو الرعاة المربين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية القصور في إطار من التحالفات والولاءات، والقصور وسكانها من الفلاحين "الخمامسة"، وسكان المدن من الإقطاعيين والملاك الكبار الذين يجمعون الفائض من المبادلات التجارية لإنشاء المزيد من النخيل والملكيات الواحاتية، التي هي أساس حياة التجمعات الحضرية في الصحراء هذه المحيطات الفلاحية التي تعيش من أجلها القصور وأهلها، هذا النظام الذي وصفه Capot REY في كتاباته حول الصحراء[1]، أين كانت الوضعية بسيطة غير معقدة ديمومتها التاريخية بما يقرب من الألف سنة من هذا النظام الذي عزز التعاون الاقتصادي والتعايش الاجتماعي في مراحل قديمة، بمقارنته بالوضع الحالي نتيجة التحولات، هذا النظام قد تحول وبشكل عميق وأفضى إلى نوع المواجهة الخفية وعلاقات القوة تظهر ملامحها في قضايا المجال وتملكه وتشكيله.

---

1 **Capot REY** « *le Sahara Français* » PUF; 1953; Paris. p 564

في مجال دراستنا نميز بين مجموعات مختلفة ذات الأصول البدوية استقرت في المنطقة في ظروف تاريخية مختلفة، بين مجموعات ذات علاقات قديمة مع الواحة، وبين المجموعات التي بقيت تمارس الحضور الموسمي على هوامش المدينة الصحراوية حتى سنوات متأخرة (السبعينيات) ومنه التي ما تزال تتبادل بين المدينة و ما بقي من البادية الصحراوية حتى اليوم في أشكال جديدة من التكيف مع الظروف الاقتصادية والسياسية الجديدة.

في تصنيفنا للمجموعات ذات الأصول البدوية التي تتوزع في مجال دراستنا الميدانية نميز بين مجموعتين رئيسيتين بخصوص الواقع الاجتماعي الخاص الذي يؤلف الأوساط الاجتماعية التي يتركب منها السكان. أولا المجموعات التي كانت ومنذ القديم تتصل بهذا المجال العمراني وتمكنت من الاستقرار ضمنه والتي تم تصنيفها منذ الفترة الاستعمارية، **كأولاد السايح** ومجموعات أخرى، **أولاد أحمد** و**أولاد جامع** و**أولاد عبد القادر** من منطقة الطيبات الفضاء الصحراوي شبه البدوي الذي لا يزيد عمقه الجغرافي بعدا عن المنطقة 40 كلم عن مدينة تقرت و أيضا **السوافة** من منطقة وادي سوف هذه المجموعة التي انتشرت في ربوع الصحراء الشمالية الشرقية في العقود الأخيرة بفضل الشبكة التجارية الكبيرة والصغيرة في جل واحات وادي ريغ. وأيضا مجموعات من البدو من منطقة الحجيرة التي تبعد

عن المنطقة ب حوالي 70 كلم تجمع قبائل أكثرهم من **سعيد أولاد عمر**، و**الفتايت** الذين قدموا من منطقة الشقة قرب الحجيرة هذه المجموعات الاجتماعية ذات الصلة والعلاقات بعالم الواحات منذ تاريخ طويل.

هي مجموعات يمكن تصنيفها حسب الإنتماء الجغرافي الأصلي لهذه المجموعات التي تمدنت في ظروف مختلفة ضمن إقليم تقرت ، إن تاريخ تثبيتها وعلاقاتها التاريخية بالواحة هو الذي يحدد اليوم شكل علاقاتها بالمدينة، من خلال توطنها والأحياء التي تسكنها نميز بين مجموعات من الذين قدموا من مناطق صحراوية قريبة من واحات وادي ريغ في الأصل هم مجموعات من مربي الماشية وجمالة ومزارعين أيضا للنخيل في محيطات ضيقة مثل "الغوط " في واحات وادي سوف والطيبات والشقة و الحجيرة هذه المجموعات توطنت في تقرت خاصة في أوائل القرن العشرين فقد سكنت هذه المجموعات ونظرا لاتصالها الطويل بواحات وادي ريغ ضمن القصورأو توسعات المدينة أو على هامشها في المشاتي" أحياء من القرابي و الجريد".

سعيد أولاد عمر، موطنهم الأصلي إلى الجنوب من وادي ريغ في منطقة الحجيرة على بعد 70 كلم جنوبا، يؤكد الكثير من الأعيان وكبار السن الذين قابلناهم وأخذنا معظم معلوماتنا عن هذه المجموعة منهم أن سعيد أولاد عمر هؤلاء البدو الجمالة استوطنوا أولا منطقة "بلدة عمر" واحة من واحات وادي ريغ 25 كلم جنوب تقرت، ما تزال بعض العائلات منهم تتوطن في هذه البلدة التي يؤكد أعيانهم أن تسميتها بلدة عمر ما هي إلا إشارة إلى اسم جدهم، في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ توطن سعيد في تقرت،خاصة في النزلة، كعائلات امتلكت بعض النخيل منهم من بقي في بلدة عمر، سكن سعيد في تجمعات عائلية في أحياء النزلة القديمة، كانوا يتنقلون بين منطقتهم الأصلية الحجيرة في فصل الصيف من أجل رعية نخيلهم " الطلوع[1] " يعودون في بداية الخريف للنزلة ليقضوا السنة في وادي ريغ هذه المجموعة الآن تتوزع في شكل مجموعة عائلات موزعة على أحياء النزلة وتقرت، أقدميتهم النسبية في المنطقة سمحت لهم بالتوزع على مختلف الأحياء، ولا نجدهم في النزلة يحتلون حيا بعينه نجدهم بالأساس في التوسعات التي تمت بعد الخمسينيات امتلكت بعض الأسر النخيل بعضهم اندمج في النشاطات المختلفة للمدينة.

[1] نوع من غراسة النخيل، يزرع بعد الحفر في الرمل عدة أمتار للوصول إلى قرب الماء، لا يحتاج إلى السقي،يتم إزاحة الرمل الذي يغمره، الطريقة هذه مشهورة في الوادي والطيبات والحجيرة.

الفتايت مجموعة أيضا مميزة يشكل ضريح" سيدي فتيتـــة" بوســـط النزلـــة بالنسبة لهم الجد الأكبر لهذه الفئة التي استوطنت منذ مدة طويلة، الاستناد الرمـــزي لوجودهم بالنزلة المنطقة الجغرافية التي قدموا منها هي " الشقة " قـــرب الحجيـــرة، استوطنوا بالنزلة في نفس الأحياء التي استوطن فيها سعيد أولاد عمر، الملاحـــظ أن سكنهم قد تم في شكل تجمعات عائلية في مختلف الأحياء معظم هذه العائلات تنقلت في شكل تجمعات إلى التوسع الجديد لتقرت فـــي ســـنوات الســـبعينيات فـــي حـــي " العرقوب " هذا الحي الذي تم تجمعهم فيه وحسب روايات المسنين مـــنهم يســـمى " عرقوب الفتايت " منذ القديم أي قبل أن يصبح من التوسعات العمرانية لتقرت قبل التقسيم الإداري في سنة 84، ربما تكون هذه المنطقة هي مكان لتجمع هذه الفئة قبل تمدنها الذي تم في بديات القرن العشرين، الفتايت ما زال الكثير منهم يملك بعـــض النخيل في منطقة الشقة، أغلبهم عائلات اندمجت في الحياة الاجتماعيـــة والأنشـــطة المتنوعة في المدينة.

السوافة من منطقة وادي سوف، بل مجموعات منهم انتشرت بـــوادي ريـــغ خاصة مدينة تقرت ارتبطت هذه المجموعات بالحركية التجارية والمبادلات سواء التجارة الكبيرة والجملة أو التجارة الصغيرة والتجزئة ، أسر كثيـــرة نجـــدها فـــي المدينة من منطقة سوف كتجار صغار وأصحاب محلات للتجزئة ، هم لا يميلـــون

إلى التكتل في أحياء معينة بل ممارستهم للتجارة شجعهم على الانتشار في مختلف الأحياء.

منطقة الطيبات التي تبعد على مسافة 40 كلم في اتجاه الشرق من تقرت قبل وادي سوف، كانت أيضا مصدرا لتوطن العديد من البدو " **أولاد السايح، أولاد جامع، أولاد عبد القادر وأولاد أحمد** هم أيضا عروش متشابكة ومتنوعة في الهويات والانتماءات، ذات الصلات القديمة بوادي ريغ ومنطقة تقرت بالخصوص كونت منطقتهم القريبة من تقرت عمقا صحراويا قريبا سمح بالتنقل الدائم والاتصال المستمر بين مناطق انتمائاتهم وناطق نشاطهم وتوطنهم في تقرت والنزلة المتميز بالحركة الدائمة بين مناطقهم وتقرت ، عائلات كثيرة منتشرة في أحياء النزلة من هذه الفئات نجد مجموعة هامة تتجمع في حي خاص بتمدنهم في النزلة " حي عاسو" حوالي 350 أسرة على الأقل بيدوا أنه كان مكان تجمع هؤلاء في شكل من الأحياء القصديرية المحاذية للواحة ثم سمح لهم بالبناء في نفس المكان.

أولاد نايل مجموعة من سكان أهم المجموعات السكانية ذات الأصول البدوية الحقيقية. العدد الأكبر من هؤلاء السكان ذوي الأصول البدوية من منطقة السهوب الهامشية مع الصحراء بين **مسعد** (ولاية الجلفة) والهضاب الممتدة حتى تقارب

الحدود الشمالية الغربية لتقرت ، هؤلاء البدو " ملوك تربية الأغنام"[1] تم تثبيتهم النهائي سنة1983 في حي عين الصحراء، وبعض المناطق على هامش المدينة شمالا وجنوبا. تم تثبيتهم في هذه المناطق التي كانت تبعد عن وسط المدينة تقرت (حوالي3 كلم) سنة ترحيلهم لها في 1983، إذ كان هذا الحي منطقة معزولة عن المدينة، وبقي كذلك لمدة سنوات، أصبح مطبوع كونه حي "البدو المتمدنين"، كانت هذه المجموعات من البدو قبل تثبيتها ولمدة طويلة من تاريخ علاقاتها بالواحات تمارس التنقل الموسمي بين وادي ريغ وأطراف السهوب و على هوامش الصحراء التي تتصل بمنطقة الهضاب العليا، بين مسعد وتقرت منذ حوالي سنة 1945 وحسب ما يرويه المسنين منهم في محادثاتنا معهم بدأ توافد هذه المجموعات من أولاد نايل إلى واحات وادي ريغ كل سنة يتم وصولهم الجماعي في بداية الخريف للعمل في واحات النخيل في عملية جني و فرز التمور، ثم يقضون الشتاء في خيامهم حول المدينة[2] حتى حلول الربيع يعودون إلى مناطقهم ترقبا للعشب لمواشيهم وموافاة موسم الحصاد في مناطق التل، احد الشيوخ المسنين من الذين مارسوا هذا التنقل يسرد لنا في حوار معه حول طريقة الحياة التي مارسها أولاد نايل ضمن حركتهم في الخمسين سنة الأخيرة:

---

[1] **Daniel DUBOST**. ibid. p 140.

[2] المنطقة التي كانوا يخيمون بها على طرف المدينة المؤدي إلى منطقتهم، عبر طريق غير معبد تقطعه مسالك تجوبها الشاحنات العسكرية القديمة التي يشترونها من المزادات ويستعملونها في تنقلاتهم بين المدينة وصحرائهم وجلب المواشي للمدينة ونقل الماء لقطعانهم، الشاحنات التي عوضت الجمل منذ بدايات الاستقلال.

" ...قد بدأنا النزول إلى واد ريغ عندما حلت المجاعة في 45، نـأتي إلـى تقرت بخيامنا بعد أن نترك أغنامنا مع من بقي في " الصحرة[1] " ، نحط بالقرب من المدينة ونبني خيامنا تبقى النساءوالأولاد وينزل الرجال إلى الغابة للبحث عن العمل في التمر، أو في المخازن لفرز التمور، ومنا من يتوجه للسوق لبيـع الصـوف أو الدهان، بعد انتهاء العمل في التمر نبحث عن أعمال أخرى في التحميل في" الكـرا يل[2] " عندما يحل البيع نبدأ العودة إلى مناطقنا في الصحرة، لنقضي مدة من الزمن حتى الصيف أين نتوجه إلى التل للعمل في الحصاد، إما بالكراء أو كأجراء، فـي بداية الخريف نعود إلى مناطقنا للحرث بالنسبة للذين يملكون ضـاية أو أرض، ثـم العودة من جديد إلى واد ريغ. قبل هذا النظام الذي بدأنا في اتباعه كنا مـن ضـمن العشابة، لكن الجفاف والمجاعة جعلتنا ننزل حتى وادي ريغ، في السنة الواحدة نقطع مئات الكلمترات متنقلين على الأقدام ونعمل عند الناس، الجمال قليلة ومكلفة، كانت تشترك عائلة أو أكثر في كراء جمل لحمل الخيمة والمئونة...".

---

[1]. يطلق أولاد نايل تعبير" الصحرة" على المناطق التي جاؤا منها ، المنطقة الممتدة بين مسعد (ولاية الجلفة) شملا حتى النهايات الجنوبية للهضاب العليا.

[2] هذا التعبير يطلقونه على العربات التي تجرها الحمير أو البغال، هذه العربات استعملها أولاد نايل في التحميل والنقل في المدينة. قبل ذلك كان الحشاشنة ينقلون حاجياتهم بواسطة الحمير دون عربات.

وصف هذا الشيخ لشكل حياة البدو من أولاد نايل ونظام رحلتهم السنوية من وادي ريغ حتى التل، والذي دام منذ الأربعينيات، حتى الثمانينيات. عندما بدأ استقراهم وتثبيتهم في مدينة تقرت هذا التثبيت الذي تم على مراحل منذ بديات الاستقلال، تحولت خيامهم إلى تجمعات من البيوت القصديرية ومن جريد النخيل على هوامش المدينة، بسبب الجفاف في مناطقهم وأيضا حصول الكثير منهم على وظائف كحراس في الشركات البترولية أو سائقين، بدأ أولاد نايل في التثبيت والبقاء حول المدينة طول السنة[1]. في محادثة أخرى حول تثبيت أولاد نايل بتقرت:

" في سنوات الاستقلال، بسبب الجفاف في مناطقنا وقلة الرعي وفقر العائلات ، وأيضا لأن الكثير من الرجال وجدوا العمل في الشركات في تقرت وحاسي مسعود، كنا نعمل حراس أو حمالين لأننا لا نعرف غير الرعي كحرفة، بقيت الكثير من الأسر في" الشتاية " المنطقة التي كنا نخيم بها وبدأ عدد العائلات التي تذهب إلى الصحرة يقل وتتكاثر تجمعات الأسر التي تبقى في مدينة تقرت" بعد تخلينا عن الخيام وبنينا" قرابي" نتيجة العمل ودراسة الأولاد في المدرسة الشيء الذي أصبح ممكنا، والعلاج، أصبح من الأسهل علينا البقاء في تقرت، لكن الدولة تنزعج من وجودنا، قامت بتحويلنا عدة مرات عندما تحول الأرض التي نقيم عليها

[1] **Daniel DUBOST**. ibid. p 139.

قرابينا، إلى العمران دون أن يلتفتوا إلينا واشتكينا في كل مكان حتى قرروا في الأخير منحنا مكان نستقر فيه، في عام 1983رحلونا إلى" ذراع البارود ".

نلاحظ أننا بصدد مجموعات اجتماعية متمايزة في أصولها الجغرافية، تحتل المجال العمراني لبلدية النزلة على العموم في صورة تجمعات سكانية في الأحياء على أساس التمايز الاجتماعي، نجد الحشاشنة يتواجدون في القصر القديم وتوسعاته الممتدة حتى الأحياء الجديدة (بومرداس، النصر1 و 2 وحي المستقبل 1و2، تتواجد بينهم تجمعات من العائلات من السكان البيض، سعيد أولاد عمر، فتايت، سوافا، هذه العائلات تتواجد أساسا في التوسعات التي تمت في سنوات الخمسينيات إلى التسعينيات نجدها في الغالب أربع أو خمس عائلات تتجاور في السكن في حي النزلة. أما عائلات البدو المتمدنين حديثا نجدها تحتل أحياء بكاملها مستقلة أنشئت هذه الأحياء بصفة هامشية ومعزولة عن النسيج العمراني الأصلي للبلدية كحي عين الصحراء بالنسبة لأولاد نايل وحي عاسو بالنسبة لبدو الطيبات، سرعان ما توسعت الأحياء نتيجة التوسع العمراني واندمجت ببعضها البعض لكن التوزيع المجالي الاجتماعي يبقى ساري المفعول يعزز إستراتيجيات مجالية، هناك بعض الاستثناءات القليلة العدد في هذا التوزيع المجالي لكن الشكل العام للأوساط الاجتماعية وتوزيعها على الأحياء يبقى مرسخا يشكل أحياء ذات هويات مختلفة.

2.2. العلاقات الاقتصادية، الإنتاج الفلاحي ونشاط قوافل التجارة.

1.2.2. وادي ريغ موطن النخيل

المورد الأساسي لهذه القصور بالدرجة الأولى هو إنتاج التمور، إضافة إلى منتجات موسمية محلية، هذا الإنتاج الذي سمح للمنطقة بالتبادل التجاري مع مناطق أخرى في الشمال والجنوب، وسمح أيضا بتغطية الحاجيات الأساسية للسكان، كما سمح لبعض المجموعات والعائلات بالثراء، الوظيفة الأخرى والتي لا تقل أهمية في عالم الصحراء هي التجارة والتبادل الجهوي، أحيانا بعيد المدى يصل إلى أعماق الصحراء لربطها بالشمال وبالشرق وبالغرب.

إن نظم الري والاستفادة من المياه القريبة من السطح في هذه المنطقة المنخفضة سمح بإيجاد الواحات، امتداد هذه الواحات وكبرها يتوقف على كمية الماء المتوفرة من المنابع والعيون وعلى مساحة الأرض الصالحة للزراعة أي القليلة "النز" والملوحة، امتداد وسائل الري وتنظيمه وأيضا يتطلب الأمر إيجاد شبكة من القنوات لتصريف المياه الزائدة والتي قد تتسبب في قتل النخيل مثل الجفاف تماما، كل هذه التجهيزات والأعمال تطلبت مجهودات مضنية من الفلاحين، قد نتصور كمية الوقت والجهد الذي تطلبته هذه الأعمال في غياب الوسائل المتوفرة اليوم. إن عملية توزيع حصص مياه السقي عملية هامه وحساسة بين الفلاحين المشتركين في عين واحدة تتم العملية على أساس حساب الزمن " النوبة " وما تزال هذه الطريقة تستعمل حتى

اليوم مع الآبار المجهزة بالكهرباء. يعمل الفلاح البسيط في نخيله الخاصة أما إذا كانت ملكيته صغيرة وهو الغالب، فيقوم بالعمل عند كبار الملاك بطريقة " الخماسة" أي بأخذ خمس المحصول من التمور وهي الأجرة التي تعارف عليها السكان حتى تم إنهائها مع الثورة الزراعية[1]، وكانت المرأة أيضا تشارك في أعمال الفلاحة مع الرجال. أجرة الفلاح اليوم تقدر بالثلث مع استفادة الفلاح من المحاصيل الثانوية التي يقوم برعايتها إلى جانب عمله الأصلي في النخيل وسقيها وعلفها وتنقية خندق التصريف.

المحيط الفلاحي وبفعل قلة المساحة الزراعية يتوزع على ثلاثة مستويات عمودية، المستوى المرتفع للنخيل البالغة والعالية، المستوى المتوسط للنخيل الصغيرة التي هي في طور النمو لتعوض النخيل القديمة وبعض الشجيرات المثمرة، تين، رمان، مشمش، أما الأحواض الأرضية تهيأ للمنتجات الموسمية التي تغذي السوق المحلي يوميا، البصل، ثوم، والمنتوج الخاص بوادي ريغ " البندراق" الذي تستعمله أغلب أسر المنطقة في تغذيتها. هذه المحيطات الفلاحية خضعت دوما في تاريخها إلى رقابة إدارية وسياسية، كفرض الضرائب أوحتى بشكل مباشر إذ امتلكت الأسر الحاكمة والإقطاعية المحلية محيطات وواحات واسعة.

[1] هذه الأجرة عادت للتطبيق في بعض الواحات اليوم، البعض منهم يعمل في واحة المالك لقاء الثلث من المحصول، الطالب.

ارتبطت أعمال الفلاحة بالصناعة التقليدية المحلية، التي وفرت إما أدوات الفلاحة، " المسحة " الأدوات المصنوعة من الجريد والسعف وجذوع النخيل، فكل أجزاء النخلة تستغل في منتج معين للاستعمال البيتى أو الحقل، بعض الصناعات تركزت على الشوارع الرئيسية في المدينة مستاوة، النحاس، الحدادة، النجارة، الذهب، الفضة، التي كان يقوم بها اليهود في المدينة، أشغال السعف والنسيج الذي كان قليلا بحكم قلة مصادر الصوف من الأغنام قليلة ربما أستغل وبر الماعز أما الأواني الطينية فكانت غالبا ما تصنع داخل المنازل من طرف النساء مع أعمال النسيج والحياكة، حسب الصور التي مشاهدها لأهالي المنطقة والتي التقطها بعض الأوربيين الذين زاروا المنطقة في القرن 19 نلاحظ الملابس التي يرتديها هؤلاء الأهالي لا تتعدى سترة من الشعر أو الصوف. الصناعة الطينية والفخار كانت مشهورة بالمنطقة في النزلة بقيت إلى اليوم بعض الأفران التقليدية التي تصنع الفخار من الأواني أو الطوب للبناء.

2.2.2. دور وادي ريغ في قوافل التجارة

عبر طول وادي ريغ تمتد مراكز تجارية تتفاوت في الأهمية، تعود في قدمها إلى العهد الروماني، فمدينة تقــرت في هذا العهد كانت تــربط الصـــحراء وبـــلاد السودان بالشرق الجزائري[1]وإذا كان متوسط مرحلة واحدة من الرحلة يحـــدد عـــادة ب50 كلم، فذلك ما يفسر المسافات المتقاربة الآن بين أهم مدن وادي ريغ (المغير، جامعة، تقرت)يجعل منها محطات للقوافل الرحلة من قابس إلى ورقلة كانت تستغرق 15 يوما، 6 أيام من تقــرت إلى ورقلـــــة وحـــوالي أربعـــــة أشـــهر لعبـــــور الصحراء[2] هذه الرحلات كانت تحتاج إلى الكثير من قوة الاحتمال والصبر للوصول إلى الهدف المنشود وسط هذه الصحراء القاحلـــة والجافـــة[3] تضـــم هـــذه القوافـــل مجموعات من التجار تربطهم مصلحة الطريق تستعمل أدلاء وحراسا من البدو مـــن قبائل الجنوب. تتحرك هذه القوافل بحسب المواسم، تصل المنطقة في موسم التمـــر، تجلب الحبوب والقماش والصوف لتقايضها بالتمر، ثم تنطلق نحو الصحراء لتقضي الشتاء والربيع ومع انتهاء الربيع تمر مرة أخرى على المدن الصـــحراوية لتحمـــل التمور لتتجه نحو التل لتوافي موسم حصاد القمح، تصل إلى الشرق القسنطيني، بعد

---

[1] **Marcel EMRIT,** *les laisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au 18 et 19 S*, I.D.S.p 139

[2] **Alain (R)** ; « *Histoire Populaire et Tradition orale d'un Oasis arabe-berbére N'goussa »* 1973-74 Magrhelle, p32.

[3] **Jean BISSON** *; « les nomades des départements Sahariens »* 1958 Paris ; p200-204.

دفع ضريبة " الحيسة" Hissa، تقرت وتماسين من أهم المراكز التجارية بـــالجنوب الشرقي، استعملت هذه المدن العملة مبكرا، سواءا العملة التركية أو الريال التونسي " الطرباقة" أو الدورو الأسباني[1] من أشهر القبائل التي تقوم بهذه العملية المتواصلة، أولاد مولات، الشعانبة عرب غرداية، أهالي الطيبات، سعيد أولاد عمر. كانت أرباح هذه القوافل التجارية هامة جدا. 500 من العبيد يتم جلبهم كـــل ســـنة إلـــى تقـــرت يشترون بـــ 150 إلى 200 فرنكا ليعاد بيعهم في التل بـــــ 500 فرنـــك، كمـــا أن حمولة جمل واحد من التمر من تقرت تستبدل بأربع حمولات من القمح على حـــدود التل[2]. مع هذه الحركة النشيطة للقوافل كان لابد من وجود أسواق تستوعب وتعيـــد توزيع هذه البضائع، سوق تقرت كان دوما من أهم أسواق الجنوب الشرقي، شـــكل محطة لقوافل الزاب، والشعامبة، الذين لعبوا دور الواسطة مع قبائل الطوارق، كمـــا أرتبط السوق بإقليم الجريد التونسي والمغرب خاصة مع قوافل الحج التـــي كانـــت تصل المنطقة وتتخذها محطة لها، **Pierre FONTAINE** وصف هـــذا الســـوق ونشاطه في الخمسينيات من القرن العشرين، أدرج العديد من الصور في كتابه[3].

[1] **ناصر الدين سعيدوني.**«*دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني* » ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 243

[2] **Marcel EMERIT :** ibid. p 142.

[3] **Pierre FONTAINE :** « *TOUGGOURT capitale des Oasis* »DERVY, Paris, 1952. p39.

3.2. الشبكة الاجتماعية التقليدية ومسألة السلطة السياسية

الحقل السياسي يتميز بعلاقة قوة ذو ثلاث مركبات، تهيكل حول ثلاثة أنـــواع من الفاعلين:

- الحكم المركزي: المتمثل عادة في الممالك المختلفـــة التـــي حكمـــت المغرب الأوسط، الحفصيين.... ثم من طرف الجزائر العاصمة فـــي عهـــد الأتراك والاحتلال الفرنسي،

- الحكم المحلي[1]: (بني جلاب)الذي مورس في المدن والـــذي مثلتـــه الإقطاعية المحلية، الشيوخ الدينيين، أو البرجوازية العقارية،

- القبائل البدوية: المتمثلة أساسا في قبائـــل أولاد مـــولات والـــدواودة وسعيد أولاد عمر.

هذا الحقل ينشط بانتظام بصراعات لا تنتهي، صراع أو حلف بين عناصره من خلال مركب من العلاقات (بين المدن نفسها، بين المدن والحكم المركزي). إن التاريخ السياسي لهذه المدن هو قبل كل شيء تاريخ العلاقات التي تنشأ مع الحكم المركزي علاقة غلبة أو هيمنة، تترجم هذه العلاقة بتحالف أو تقديم ضريبة سنوية. علاقة حلف عندما يكون الحكم المركزي مهددا بقوى أو ممالك أخرى أي في حاجة إلى تقوية اقتصادية أو عسكرية من هذه المدن أو علاقة تصادم وذلك عندما تحاول المدن أن تنحل من سلطة الحكم المركزي، هذه العلاقات المتعددة الأشكال تضاف إليها أيضا العلاقات مع القوى المحلية، وهي الأخرى مهيكلة حول ولاءات دينية أو قبلية. إن المنافسة بين مختلف شبكات القصور أو التضاد والعداء بين المدن وشيوخ القبائل، من هذه العلاقات المركبة تتعاقب فترات الهيمنة والإخضاع.

المدن ومجالها الذي تهيمن عليه، وإدارتها بواسطة عائلات قوية ذات إقطاعية الأرض أو التجارة التي تستمد شرعيتها من المكانة التي تحتلها في حقول أخرى من الحياة الاجتماعية، الحقل الديني (كالهيمنة على عاصمة رمزية قوية التأثير مثل الزاوية التيجانية في تماسين)، النشاط الاقتصادي أو الرقابة على الإنتاج و التجارة أو الحقل السياسي بالنظر لمكانتها في نظرالقبائل البدوية)، وأيضا أهمية رصيدها الاجتماعي أي السكان الذين ترتكز عليهم والذين يؤازرونها. قبل أن

تتهيكل هذه القصور أو المدن كممالك صغيرة، فترة السلاطين المحلبين، كانت تقرت تدار من قبل جماعة تكون مجلس محلي من ممثلين عن العائلات الكبيرة الأساسية و السلطة في العائلة التي تعطي المكانة في المجلس تورث من جيل إلى جيل. يمكن أن تحصل تقلبات أو انقلابات قد تحدث اضطرابا في هذا الهيكل. إن حكم بني جلاب في تقرت في القرن 15، و بني مزني في بسكرة يوضح جليا كيف أن قبيلة تقوم ببناء هيبتها الشرعية من أصل شريفي يدعمه الغني الاقتصادي بملكية غابات نخيل كبرى و الراقابة على القوافل التجارية التحالفات، **ابن خلدون** يتطرق في تاريخه إلى هذه القضايا حتى وإن جاءت ملاحظاته في المنطقة مختصرة جدا .

خلال قرون طويلة كانت هذه المناطق رهانا لصرا عات سياسية حادة بين الأسر الكبيرة التي تتقوى كل بدورها مع مختلف ممالك المغرب أو الشرق و قبائل بدو الصحراء لتفرض هيمتها لكن هذه التحالفات مع البدو في كثير الأحيان تكتيكية و موقتة. إن علاقات القوى تتأثر بهذا الثلاثي المكون من الحكم المركزي، أرستقراطية المدن و قبائل البدو و كل مدينة تحاول تأكيد استقلالها و مراقبة منطقتها و أيضا مراقبة طرق و مسالك التجارة المربحة. هذه العلاقة بين المدينة والفلاحة، المدينة و القرى المجاورة، الحضر و البدو هي غير متساوية ولا مستقرة المدينة في حاجة الى منتجات الزراعة و أيضا في حاجة الى نشاط البدو كي تستمر في

وجودها و تستحوذ على جزء من ثرواتها. من هذه المناوشات التي لا تنتهي القبائل البدوية ضد المدينةوالقصور، المدينة في استطاعتها أن تستمد ثروتها من الاستثمار والعلاقات أبعد من محيطها عندما تخترق التجارة البعيدة بذلك تستمد هيمنتها ووضعها المميز.

في الفترة التركية الصحراء تعرف تقلبات جديدة، بايليك الشرق في قسنطينة يركز على بسكرة امتداده الجنوبي ليقوم له بالرقابة على المنطقة التي تخضع هذه الفترة للسلطة التركية.على امتداد القرن 18 يعرف الصراع بين المدن من جهة و بين المدن و القبائل البدوية من جهة أخرى تطورا كبيرا يتأثر بذلك اقتصاد المنطقة و مكانة المدن الاقتصادية و أيضا تجمعات القصور المجاورة بفعل ذلك تتحول محاور التجارة الهامة إلى منطقة وادي ميزاب وغيرها من المناطق.

4.2. الزوايا والمعتقدات الدينية

إن دور المجال الديني في كونه يضفي الشرعية لمجمــل الحقــول الأخــرى وعلى الحياة الاجتماعية بصفة عامة، إذ أن الشرع يوجه نشاطات الحكام وأيضا بقية أفراد المجتمع، تؤثر الحياة الدينية على ممارسة الحكم السياســي وأيضــا النشــاط الاجتماعي والاقتصادي في القصور، إن وظيفة الإفتاء وإنتاج القــوانين الشــرعية تسمح بالرقابة على الحياة الاجتماعية بتعريف الحلال والحرام، الطيــب والخبيــث، المقدس والمدنس، يتصدر طليعة الفاعلين في المجال الديني على مســتوى قصــور تقرت والمناطق المجاورة " الطلبة " كما يسميهم أهل المنطقة، يعيشون على هبــات الناس واحترامهم يوجهون الحياة الاجتماعية ويشرفون على الحبوس والأوقاف.

إن تاريخ المدن الصحراوية على العموم يوضح لنا مــن خــلال الفسيفســاء البشرية والاجتماعية التي تتماثل مع تنوع ديني ومذهبي، إباضية، ســنية مالكيــة، زوايا. تأثرت المنطقة ولمدة طويلة بالإباضية الذين قــدموا بمــذهبهم بعــد ســقوط عاصمتهم تيهرت على يد الفاطميين أسسوا مدينة جالوا بالقرب من بلــدة عمــر 20 كلم شمال تقرت ويذكر **ابن خلدون** أن أكثر أهل وادي ريغ من الخــوارج يســميهم بالعزابة إشارة إلى أن العمل بنظام العزابة المشهور حاليا في وادي ميزاب إنما بــدأ في منطقة وادي ريغ [1] . المذهب المالكي ينتشر في المنطقة على يد الدعاة من الذين

قدموا إلى المنطقة في حدود القرن السادس عشر أمثال سيدي أمحمد بن يحي الإدريسي وغيره من المغاربة الذين نشروا المذهب المالكي بعد رحيل الإباضيين نحو سدراتة ووادي ميزاب.كثيرة هي العادات الشيعية بالمنطقة حسب الشيوخ الذين سألناهم حول هذه المسائل يمارسها السكان بعفوية والتي تعود حسب روايتهم إلى زمن الصراعات المذهبية التي شهدتها المنطقة. ومع تطور الحركة الصوفية تؤسس لنفسها زوايا أصبح لها امتدا وتاثير واسع.

الزاوية التيجانية في تماسين خاصة مع القرن التاسع عشر تتوسع لتصبح ثاني مقر بعد مقرها الرئيسي في عين ماضي، تستقطب العديد من المريدين من سكان المنطقة تمارس تأثيرا روحيا كبير ما زال حتى اليوم.

إن العادات العربية الإسلامية قد أثرت على سكان المنطقة فى كل جوانب حياتهم وهندسة منازلهم التي تستجيب لمتطلبات الخصوصية وقواعد السلوك الإسلامي، من خلال السلطة الروحية للطلبة وتوزيع المساجد والجوامع في كل أحياء المدينة وفي كل القصور هذه المساجد الصغيرة كانت توزع حسب المجموعات الاجتماعية أو المذهبية أو الطرقية بها المدارس القرآنية للصغار ذكورا وإناثا وتقام فيها الصلوات الخمس تحت إشراف إمام يختار من صف الطلبة الأرجح عقلا والأكثر معرفة بالشرع، أما الصلاة الرئيسية في الجمعة والأعياد فتقام في المسجد الكبير يحضرها الناس من كل الأحياء. هذا النظام يأخذ أيضا طابعا متدرجا

يبدأ من الصغار الذين يتعلمون القرآن ثم الطالب حتى الإمام ليصل إلى إمام الجمعة هو الشخصية المرموقة دينيا، مجموعة الطلبة هي التي تقوم بالحل والربط في المسائل اليومية للسكان المتعلقة بالحياة الدينية والاجتماعية وحتى الاقتصادية بخصوص البيوع والمواريث والمنازعات الخاصة بتقسيم نوبات السقي في واحات النخيل، لتصل إلى الجامع الكبير مكان التوجيه العام الذي يربط هذا المجتمع المحلى بالعالم الإسلامي عن طريق إشعاع الزوايا.

خلاصة الفصل

إن المجال العمراني في الصحراء الجزائرية هو مجال تميز بعراقته التاريخية وتنظيمه على أسس التنظيم الاجتماعي آنذاك تتحكم به قواعد عامة، أتى نتناغما كليا مع البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمعات في الصحراء مستجيبا لظروفها البيئية والثقافية كونه مجالا مهيئا من مجهود وتراكم عبقرية هذه المجتمعات. كما جاء مستجيبا استجابة كلية للظروف المناخية القاسية التي تتميز بها الصحراء، وتحكمت به أيظا الظروف السياسية والإقتصادية والدينية والرمزية لتلك المجتمعات.

إن تحليل ودراسة الوظعية التقليدية هذه هي التي توفر لنا إمكانية المقارنة التاريخية من خلال التحولات الاجتماعية والمجالية التي شهدتها المجتمعات

الصحراوية ومجالها العمراني، وتمييز صور الإنقطاعات التي شـــهدتها مجتمعـــات الصحراء ومجتمع الدراسة بالخصوص مع ماضيها الاجتماعي والثقافي ابتداء مـــن المد الاستعماري إلى ظروف التمدن وتطور مجال المدن المتنامي والذي انقطع مـــع كل صور التناغم مع البيئة الصحراوية والنظام الاجتمـــاعي والثقـــافي والمرجعيـــة الرمزية لسكان الصحراء مما يولد حالة الاغتراب لدى هذه المجتمعات فـــي طـــور التحول.

الباب الثاني:

الجانب الميداني

الفصل الرابع:

تاريخ و جغرافيا ومونوغرافيا تقرت ووادي ريغ

مقدمة الفصل

1. الفضاء الجغرافي والفزيائي لوادي ريغ

2. تقرت بين الأسطورة والتاريخ

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

في هذا الفصل من الدراسة، وحتى يمكننا فهم التحولات، فإنه من الضروري تحليل ومعرفة الواقع التارخي والجغرافي الذي ننطلق منه، حتى نتمكن من فهم التحولات الاجتماعية والتطور العمراني الذي شهدته المنطقة منذ الإستقلال وحتى اليوم.

وقد بدأنا بالإطار الفزيائي، محاولين جمع أكبر قدر من المعطيات التي من خلالها نضع المنطقة في ظروفها البيئية الخاصة والمتميزة بحدة المناخ الصحراوي وأيضا خصوصية وادي ريغ كونه أيضا منطقة رطبة نسبيا في محيط صحراوي جاف.

في إطار هذه الخصوصية المناخية والجغرافية زخرت تقرت ووادي ريغ عموما بتاريخ غني ومتنوع تميز بعوامل تأثير داخلي وأخر جهوي وأيضا دولي يثبت أن هذه المنطقة من الوطن قد ساهمت في إغناء التاريخ السياسي والإجتماعي في مراحل مختلفة بدأناها من التاريخ القديم منتهين إلى الثورة واسترجاع السايدة الوطنية، وعرجنا أيضا على الموروث الشعبي. بهذا يستوفي الموضوع أهم جوانبه الأساسية في إيجاد نقطة إرتكاز يمكن من خلالها الفهم العميق للتحولات.

1. الفضاء الجغرافي والفزيائي لوادي ريغ

1. 1. الصحراء الكبرى

الصحراء الكبرى، أو مايطلق عليها " الصحراء " Sahara باللغة الفرنسية هي في الواقع تضم المنطقة المدارية. تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا. يحدها من الشمال سلاسل جبال المغرب العربي والشريط الساحلي على البحر المتوسط، تمتد إلى الجنوب لتنتهي إلى سهوب شبه صحراوية تسمى الساحل في إفريقيا الغربية. بالرغم من احتواء الصحراء بعض المرتفعات التي تساهم في تغير أحوال المناخ محليا، إلا أن الجفاف الذي يحدد أنماط الحياة والسكن بشكل قاس (أقل من 200 ملم، وأحيانا أقل من 100ملم في السنة).

الصحراء بلد البداوة حيث يعيش مربو الجمال، مع وجود بعض الزراعات (بساتين النخيل) المروية بفضل تقنيات معقدة كالآبار الإرتوازية والفقارات. على هوامش الصحراء تتم زراعة مروية بالأمطار يقومون بها مزارعون كانوا تابعين للبدو مربي المواشي[1]. الصحراء فصلت بين حوض المتوسط وإفريقيا السوداء، لكن بعد دخول الجمل وحيد السنام ربط هاتين المنطقتين في بداية العهد المسيحي.

---

[1] **بيار بونت، ميشال إيزار:** مرجع سابق. ص607.

بدأت مرحلة الجفاف الحالية في الصحراء في حدود الألفية الثالثة قبل المسيح. سامحا بظهور وتطور النمط الرعوي والثقافة الليبية- البربرية، كما ساهم دخول الجمل في انتشار القبائل البربرية الصنهاجية جنوبا، وانتظمت طرق القوافل التي نقلت الملح والذهب والعبيد على امتداد الصحراء التي اجتازها الرحالة العرب الذين اكتشفوا امبراطوريات بلاد السودان.

شكل إنتشار الإسلام عاملا توحيديا للمجتمعات الصحراوية، وساهم في إنتشار ثقافة عربية اسلامية ووصول قبائل عربية إلى شمال وغرب الصحراء (بلاد البربر)، فتطورت وتوسعت شبكة القوافل، وازدهرت الأهمية الإقتصادية والسياسية للبدو مربي الجمال.

إن كثافة سكان الصحراء الحالية ناتجة عن ذلك التاريخ من التمازج، إذ تشمل مجموعات ثقافية متعددة، كما كان لتعريب قبائل الصحراء الغربية (البربر) ودخول القبائل الهلالية، قيام نوع من التراتبية الثابتة: أرستقراطية محاربة، فئات دينية، تابعون وخاضعون ورقيق ومحررون أغلبهم مزارعين، اتخذت منذ القرن السابع عشر الميلادي أشكالا سياسية متمركزة: إمارات وممالك وسلطة قبائل...

وراء هذه الإختلافات العرقية واللغوية تبرز سمات مشتركة في المجتمعات الصحراوية : نمط الحياة الرعوية والبدوية، النظام الإجتماعي القبلي، تأثير الإسلام التبادل على مسافات طويلة[1].

اصدم إحتلال الإستعمار الصحراء بمقاومات عنيفة لم تنته إلا بعد النصف الثاني من القرن العشرين. لكن أثر الإستعمار الواضح في تراجع النقل بالقوافل واكتشاف مصادر الطاقة والمعادن أدى إلى تحولات عميقة قي الإقتصاد والاجتماع الصحراوي. كما شجع تقسيم الحدود بين الدول الناتجة عن الهيمنة الإستعمارية دخول الشعوب الصحراوية في الدول العصرية.

1 **بيار بونت، ميشال إيزار**. مرجع سابق. ص 608.

2.1. وادي ريغ

إن وادي ريغ شريط طولي رطب نسبيا يمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 160 كلم من أورير في بلدة عمر، حتى وإن بدى للوهلة الأولى سهل متماثل تكثر به الشطوط ومساحات من الطين مغطى في كثير من الأحيان بنبات الحرض Salicornes، وبحيرات من المياه الجوفية الصاعدة شديدة الملوحة تغير من امتدادها الدائري تبعا لشدة التبخر، فقط خيط رفيع من الكثبان الرملية البيضاء تتبع اتجاه هذا البساط من الماء، يبقى الإشارة إلى أنه لا يوجد أثر لجريان الماء على السطح، إن تسمية الوادي تبدو نوعا من المبالغة أو التعدي، إذا ما أمعنا النظر نكتشف أن هذه الشطوط تحتل منطقة منخفظة على شكل شريط يمتد في خط مستقيم نسبيا من الشمال إلى الجنوب ضفته الشرقية تنتهي بحواف مرتفعة ببعض الأمتار والتي يبدو من شكلها أنها من نتاج تعرية نهرية، يمكن ربط هذه المنطقة بإمتداد لمصبات وادي إغرغر ووادي ميه والتي تنتهي عند شط ملغيغ، نتيجة التجفيف وتشكل الشطوط وترسب الجبس ثم توضع الكثبان الرملية تمحي نهائيا ملامح الوادي القديم. إن هذا التاريخ الطبيعي يشبه إلى حد كبير كل تاريخ الأنهار الصحراوية.

تكمن خصوصية وادي ريغ في ظهور المياه الجوفية على السطح في شكل سبخات عريضة وراكدة، تضاف إليها مياه زائدة أتية من سقي النخيل محليا، إن وجود هذه المياه كان معروفا منذ العصور الوسطى من طرف السكان الذين استغلوها، تعود الآبار الأولى إلى 1341 ميلادية[1] الطرق التي سمحت بتوسيع واحات النخيل.

3.1. جيومرفولوجيا

يقع وادي ريغ ضمن إطار متميز بطبيعته الصحراوية، كجزء من الصحراء الكبرى، التي تبدأ مشارفها من الأطلس الصحراوي جنوبا، وهوامش الهضاب العليا، هذا الامتداد الواسع المسطح غالبا و المتكون أساسا من الحمادات، والعروق والأودية، تؤكد الدراسات الجيولوجية أنه كان مجالا رطبا بعد انحسار العصر الجليدي الأخير. إذ يقسم الجغرافيون الصحراء الشمالية الجزائرية إلى قسمين رئيسيين: الصحراء المنخفضة (Bas Sahara) والصحراء المرتفعة، و يعد وادي ريغ من أبرز معالم الصحراء المنخفضة.

[1] **Daniel Pelligra** ; idem P 14.

ضمن هذا الإطار العام يتموقع اقليم وادي ريغ، تحديدا فـــي الـــركن الشـــمالي الشرقي للصحراء الجزائرية، أو ما يطلق عليه الجغرافيون الصحراء المنخفضـــة، المنطقة الارتوازية التي تمتد من سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية شمالا، حتـــى بداية الهضبة الوسطى التي تنتهي إلى مرتفعات الهقار، ومن الشـــرق مـــن منطقـــة الجريد التونسي التي تعتبر امتداداها الطبيعي.

هذه المنطقة المنخفضة من الصحراء المنطقة الغنية بالمياه الجوفية الارتوازية التي سمحت بالحياة ونشأة الواحات المسقية بالمياه الارتوازية القريبة من الســـطح، يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التـــي تظـــم منـــاطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة.

وادي ريغ هو الإطار الجغرافي الطبيعي لمدينة تقرت، إســـم لمنطقـــة ولـــيس لسيل من الماء، إن شكله المنخفض والممتد على شكل شريط طولي ضيق هو الذي أوحى بتسمية الوادي. يمثـــل إقليما منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين الثلاثين والأربعين كلم. يبتدئ هذا الإقليم شمالا على حـــواف شط مروان الذي يبلغ مستوى ارتفاعه (ــ 50م على مستوى سطح البحـــر) وشـــط

ملغيغ وينتهي جنوبا بقرية قوق التي تعد بداية للوادي، قد سماه **ياقوت الحموي**[1] في معجم البلدان الزاب الصغيرو سماه **إبن خلدون** فـــي تاريخـــه[2]'' بــلاد ريـــغ'' أو ''أرض ريغ'' و هو الاسم الذي عرف به عبر تاريخه منذ نشأته. و فـــي الوقـــت الحاضر مازال يعرف " بوادي ريغ ". كشبكة من الواحات المرصفة علـــى طـــول المنخفض يحده من الشمال إقليم الزاب وعاصمته بسكرة ومن الجنوب ينفتح علـــى هضبة وسط الصحراء ومن الشرق وادي سوف أمـــا مـــن الغـــرب وادي ميـــزاب وعاصمته غرداية. ينحصر بين العرق الشرقي الكبير والهضبة الحثيـــة(gréseux) التي تقع غربه. فلكيا يحدد الإقليم بخط عرض32.54 و34.09 شرقا. يبعد 618كلم عن العاصمة، 161 كلم عن ورقلـــــة، 171 كلم عن حاسي مسعود، 95 كلم عـــن الــــوادي، و220 كلم عن بسكـــرة.

إن أهم ما يميز منطقة وادي ريغ من الناحيـــة التضاريســـية هـــو البســـاطة و الاستواء، تتميز بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال يقدر ب 1%، يبتـــدئ مـــن قرية قوق جنوبا حتى تنتهي في منطقة الشطوط بالقرب من المغيـــر بارتفـــاع عـــن

[1] **ياقوت الحموي،"** *معجم البلدان*" الجزء الرابع بيروت ـ دون تاريخ، ص325.

[2] **ـ ابن خلدون عبد الرحمان**« *كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر* »الطبعة الثانية بيروت 1921 المجلد السابع ص 96.

سطح البحر قدره [– 35 م] في منطقة شط مروان، أماالارتفاع العام فهو 55 م مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300 م.

المنطقة منخفض حفري عريض يعود إلى الزمن الرابع ذو تكوينات ترابية جيرية تتابع خلاله سبخات ملحية تفيض في فصل الشتاء لتكون بحيرات دائرية الشكل عميقة مصدرها صعود المياه الجوفية[1]. يمتد الإقليم من الجنوب إلى الشمال محصور بين سطح حثي يعود إلي الزمن الثالث أعلى منه غربا، أما إلى الشرق منه يمتد عرق رملي يتكون من تصفيفات كثيبية هي جزء من **العرق الشرقي الكبير** الذي يغطي سهل من الزمن الرابع[2]. في حوض وادي ريغ يمكن تمييز أربع مستويات متقاربة للتضاريس والتربة تتشكل كالتالي:

1. المستوى المرتفع:

والذي تمثله انحدارات أو تحدرات ذات قشور جبسية أو جيرية أو أسطح هي بقايا تظهر على شكل تلال أو أكمات ذات تظرس خفيف في معظمها لا تتعدى 300م.

[1] **M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** *« Oasis du Sahara algérien (études de photos – interprétations N° (64) »*. Institut géographique national Paris, 1978. p 9.

[2] **M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** : ibid. p 9.

2. المستوى المتوسط:

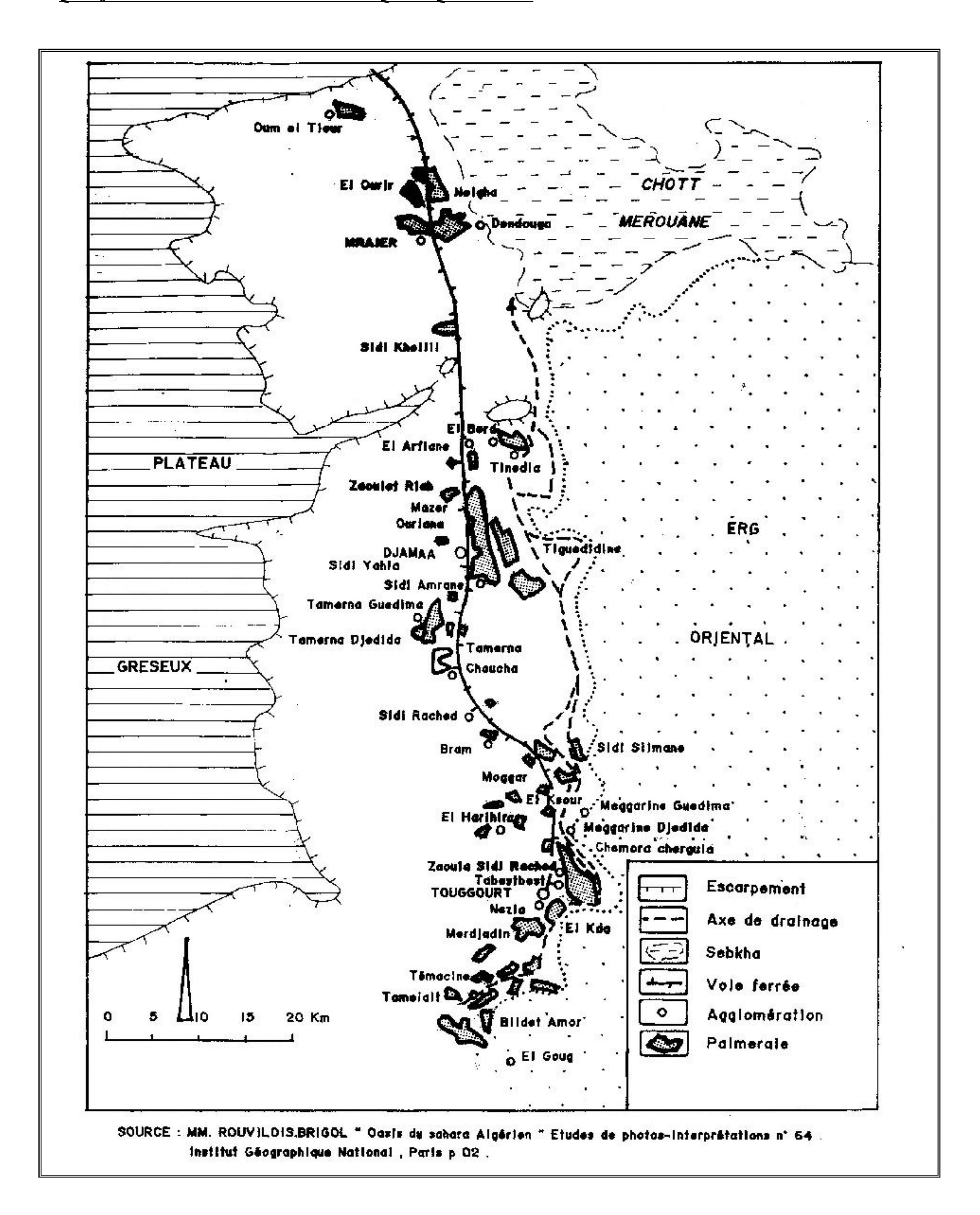
يطبع على العموم بانحدارات تعـــــــــود إلى الزمن الرابع، أرضها رملية جبسية لكن التظرس غير ظاهر ماعدا بعض المناطق والتي خضعت للتعرية الريحية.

3. مستوى ما قبل الشطوط:

يظهر وبشكل منخفض واضح ويتمثل في مساحات مستوية ذات انحدار خفيف.

4. مستوى الشطوط:

تمثل المستويات الأكثر انخفاضا في الحوض وتلعب دور المنخفضات أو الأحواض تربتها تتميز بمستوى عال من الملوحة بسبب التبخر الشديد.



الخريطة (08) قصور ومدن وادي ريغ

تعليق على الخريطة:

انطلاقا من قرية " قوق" جنوبا وهي أعلى مستوى بالوادي ريغ " سيدي بوحنية" كما يسميها أهل المنطقة بلوغا إلى شط ملغيغ وشط مـــروان (- 35 م تحت مستوى البحر) على مسافة 160 كلم وعرض متوسط 40 كلم قصـــور و واحات وادي ريغ تشكل سبحة متراصة تترصف على الوادي في 3 مجموعات شكلت حوالى 50 قرية في ثلاث مجموعات، المغير، جامعة، تقرت. قامت على استغلال الماءالقريب من السطح(الطبقة العليا)، حتى الآن مصـــدرها الوحيـــد للماء هو الآبار الجوفية (طبقة الألبيان شكلت مصدر المياه المنزلية حديثا فقط.

4.1. الهيدروغرافيا و الهيدرولوجيا

المنطقة في مجملها منخفض تحول إلى حوض فسيح يتوسطه شكل مـــنخفض طولي تتموضع فيه مجموعة من السبخات التي تمتلئ بالماء شتاء وهي فـــي أغلـــب الظن المناطق التي سمحت بتكوين الواحات نظرا لقرب الماء من السطح. مما سمح بحفر قناة (سنة 1914) على طوله لتصريف المياه الزائدة نحو منطقـــة الشـــطوط (مروان و ملغيغ) بالاستفادة من الانحدار الموجود وهو المصرف الوحيد للمنطقـــة المحصورة بين العرق شرقا و الهضبة الحثيةغربا.

المنطقة غنية جدا بمصادر المياه الجوفية إذ توجد أربع مستويات للمياه الجوفية في المنطقة و التي لها أهمية قصوى كونها المصدر الأساسي للمياه. الطبقات الجوفية وهي:

1. الطبقة العلوية: تتكون من الرمل والطين وهي على طول وادي ريغ ويمكن الوصول إلى الماء خلالها بعمق 1 إلى 8 أمتار حسب إرتفاع المكان والفصل.
2. طبقة ميوبليوسان: على عمق من 30 إلى 70م تدعى طبقة الرمال يرجع تكوينها إلى زمن بعيد وبفضلها تمت زراعة واحات النخيل في وادي ريغ وهي حتى الآن مصدر مياه السقي ملوحة مياهها من 3.5 إلى5 غ/ ل.
3. طبقة سينونيان: توجد على عمق يتراوح بين 100 إلى 200 مترا تدعى الطبقة الجيرية وهي الطبقة الأقل استغلالا.
4. طبقة الألبيان: وتوجد على عمق 1000 إلى 1700 مترا حوالي 1400 م في ضواحي مدينة تقرت مساحتها تقدر ب600.000 كلم2 وهذا الجيب المائي الكبير تكون عن طريق تغلغل مياه الأطلس

الصحراوي حرارة مياهها بين 50° / 55 °. هي المورد المائي الأساسي لتزويد المدن والقرى في هذه المناطق اليوم.

5.1. المنـــــاخ

إن الميزة لأساسية لمناخ منطقة وادي ريغ هو الطابع الصحراوي الجاف مع أن الإقليم يمثل شريطا رطبا في وسط صحراوي بفضل مياهه الجوفية القريبة من السطح. الحرارة السنوية المتوسطة تقارب 21.5 درجة مئوية مع تغيرات فصلية قوية تكون شديدة الإنخفاظ في شهري ديسمبر وجانفي ب 10 إلى12 درجة أما الدنيا ب 03 درجات مئوية تكون أشد ما عليه الحرارة في جو يليه وأوت ب32 إلى 33 درجة وأقصى ارتفاع ب 39.5 درجة. أما من جانب التشميس فعدد ساعات التشميس تقدر ب 3300 سا في السنة أقصاها في شهر جويليه بـــ 360 سا[1]. تسود المنطقة عدة أنواع من الرياح والرياح الرملية قد تصل سرعتها إلى 140 م / ثا تغمر المدن والقصور وتحجب الرؤية لعدة أيام وأكثر هذه الرياح تحدث بين شهري أفريل و ماي. تتميز منطقة وادي ريغ بتساقطات ضعيفة تقدر على العموم ب 58 مم والحد الأدنى قد يصل إلى 11مم سجلت سنة 1983 كما يكون أقصاها 146

[1] **محطة الأرصاد الجوية بالمنطقة**: سيدي مهدي ـ تقرت.

مم.كما قد تسجل في فترات غير منتظمة فيضانات فجائية ، مثل الفيضان الكبير الذي مس منطقة المغير سنة 1968 وكان له تأثير كبير على واحات وادي ريغ.

يمكن تلخيص ملامح مناخ المنطقة في: الفترة الحارة والتي تستمر من شهر جوان إلى نهاية سبتمبر، ثم فترة الأمطار من نوفمبر إلى جانفي ثم موسم الرياح الرملية من فيفري إلى نهاية ماي، لكن هذه التقسيمات ليست بهذه الدقة كل سنة، يمكن أن تحدث بعض الأمطار منذ شهر أوت، متوسط الأمطار المسجلة 1935/1931 62.8ملم مع تسجيل أقصى حد لها في الخريف، بتبخر قدره 2.818 ملم.

الغطاء النباتي يتشكل في الإقليم تبعا لمعدلات التساقط، يتكون أساسا من نبات "الدرين Aristida Pungens ، وهو الغذاء المفضل للجمال ينموا في مناطق الكثبان الرملية. بالقرب منه الرتم Retama Raetam، والعلندة Ephedra Alata.الذي يوفر الظل وحطب الطهي تنمو بالقرب من الشطوط كما نجد القطف Atriplex Halimus، والضمران Traganum Mudatum، في فصل الربيع نجد تشكيلة واسعة من الحشائش القصيرة تظهر بعد يومين أو ثلاثة من هطول المطر

تغطي مساحات واسعة بنباتات مثل التازية Tasia وغيرها، يمكن أن يظهر أيضا الترفاس Truffe du désert في السنوات الماطرة.

الحيوانات نكتفي بالحيوانات التي كانت لها قيمة اقتصادية

جدول(03) حيوانات تعيش في بيئة وادي ريغ

حيوانات للصيد	*حيوانات تصطاد بالكلب*	*حيوانات تصطاد بالأنشوطة*
الفنك، الورن،الجربوع، الجرد، الشرشمان، القنفذ، الضب...	الثعلب، الغزال، البط، الحجل، الحمام.....	الأرنب،الثعلب، السمك....

الجدول (04) : التســاقطات، الرطوبة والحرارة في مدينة تقرت

الشهور	الرطوبة %	التساقطات		الحرارة ° م
		التساقطات ملم	عدد الأيام	
جانفي	62	4.1	4	11.2
فيفري	48	0	0	12.2
مارس	42	1.1	1	20.9
أفريل	42	0.1	1	20.6
ماي	39	0	0	26.4
جوان	32	0	0	31.9
جويليه	31	0	0	33.6
أوت	26	0	0	23.5
سبتمبر	48	4.7	4	30
أكتوبر	45	1	1	33.8
نوفمبر	58	1.5	1	23
ديسمبر	70	26.2	3	16.7
مجموع أو معدل	45	38.7	15	24.5

المصدر: Annuaire statistique de La wilaya de Ouargla 2006

2. تقرت بين الأسطورة والتاريخ

تقرت " **البهجة**" هي التسمية التي طالما عرفت بها تقرت عند المؤرخين الغربيين[1] وحسب ما ترده بعض الروايات الشعبية المتناقلة عبر الأجيال والتي تحكي قصة تأسيس المدينة تقرت، تناقلها المؤرخون الفرنسيون في معظم كتاباتهم عن المدينة والمنطقة، أخذها **فيرو** بدوره كما صرح من السكان:

*« ... تأسيس مدينة تقرت الحالية يعود إلى قصة امرأة تسمى البهجة، لشدة جمالها، كانت تسكن تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب النزلة، وكانت تمارس البغاء، ولما علم أهل تالة وأزعجتهم ممارساتها قرروا طردها من تالة، فقامت ببناء "عشة" بجريد النخل في موقع خارج القرية في موضع تقرت الحالية ولحقها بعض من الشباب، ولما كان ولي صالح يمر بالمنطقة، سيدي بوجملين على ما تذكره الرواية ورفض سكان تالة الترحيب به واستقباله، فلجأ إلى عشة البهجة التي أكرمته وآوته، ولما غادرها، وضع يده على رأسها داعيا لها بأن تعمر عشتها وتصير عمرانا، ومنذ ذلك الوقت تحولت عشة البهجة إلى دار من الطوب وكثرت بقربها المنازل حتى تحولت إلى مدينة وسميت " **تقرت البهجة** " وغلب عمرانها تالة التي اندثرت. وحتى اسم تقرت التي تعني بالبربرية حسب روايات سكان*

[1] **Pierre FONTAINE** « *Touggourt capitale des Oasis »* DERVI, Paris, 1952.

المنطقة من الذين مايزالون يتكلمون الشلحية في بلدة عمر قرب تقرت، يؤكـــدون أن كلمة تقرت تعني عندهم القمر " ثاوورث". ربما كان ذلك وصف لجمال تلك المرأة. أو الباب " ثابوورث " وهو المدخل إلى العمران أو العمـــارة قـــوة هـــذه الروايـــة الأسطورية في كونها تؤسس لمدينة تقرت الرعاية والحماية من ولي مـــن الأوليـــاء الصالحين...." [1]

إن قلـــة المصادر المكتوبة التي تطرقت لمنطقـــة وادي ريغ، خاصـــة تلـــك التي يمكن أن تمـــدنا بمعلومات عن المجتمع المحلي وتكوينه، جعلت من الصـــعوبة تصور ما كانت عليه في تاريخها، أغلب ما يتوفر حول هذا التاريخ اعتمـــد علـــى أخبـــار الرحالة التي جاءت كمقتطفات دونوها في أخبارهم ورحلاتهم أمثـــال (ابـــن خلدون، العياشي، الأغواطي، العدواني) وهي المصـــادر التي اعتمـــدها المؤرخون والعسكريون الفرنسيون في مراجعهم أمثال (شارل فيرو) الـــذي زار المنطقـــــــة في1852 كما أن أغلبها ركز على فترة ارتباط المنطقة بما يـــدور فـــي المغـــرب الإسلامي وبالأخص فترة حكم مشايخ بني جلاب في المنطقة فترة الحكـــم المحلـــي.

[1]**Féraud (L .CH)** «*les Ben – Djellab, sultans de Touggourt; Notes historiques sur la province de Constantine*; in Revue africaine N° 23 1879. p59-60.

هذه الأخبار و الكتــابات الأوروبية، وغيــرها شكلت في الأخير تصورات متعــددة حول المجال الصحــراوي على العموم وفهمه وتمثله[1].

الذاكرة الشعبية لسكان وادي ريغ تحتفظ برصيد هام من الروايــات الشــفوية و الأساطير التي لها دلالتها في الرمزية التاريخية والثقافية لمنطقة وادي ريغ وردت العديد من الروايات التي تقص إنشاء القصور ودور الأولياء الصالحين في حفظ هذه القصور. كل هذه المصادر والمراجع تؤلف مقتضبات متفرقة ومتناقضة أحيانا.

1.2. قديما، أصل ريغة

يبدوا أن المؤرخين اتفقوا على أن أهل الصحراء الأوائل هم خليط عرقي بين الأثيوبيين والسودان،[2] لكن من غير المؤكد ما هي لغتهم قبل مجيء زناتة وحتى نوع اقتصادهم، حدودهم إلى الشمال حتى وادي جدي وهي نفس الحــدود الشــمالية لزراعة النخيل.نعرف أيضا أن المنطقة بعد ذلك سكنت من طرف الجيتــول، لكــن

---

[1] .**Nadir MAROUF** *« L'imaginaire histographique entre conjonctures et réalités, ou le probléme des sources : à propos de l'établisement humain en milieu saharien* » in **Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N°2 – Automne – 1997.162 ص

[2] **Daniel Pelligra** ; ibid P 22.

المعلومات الدقيقة والمؤكدة حول المنطقة تبدأ فقط عند مجيء الزنـــاتيين ومرجعهـــا أساسا إلى ابن خلدون.

يبدوا أن من مثل سكان المنطقة في التاريخ القديم مـــن "الشـــعوب" الزنجيـــة والأثيوبية، والذين عاشوا على الحدود الجنوبية لليبيا، التي أخـــذت حـــدودها علـــى حواف وادي جدي (Nigris)، هذه الشعوب من المؤكد عند أغلب المـــؤرخين[1] أن أصولها هجرات من أثيوبيا والسودان يؤكد ذلك خط الواحات المتجه شرق / غرب، هؤلاء **الجيتول** الذين تحدث عنهم الرومان، هم أقدم ما عرف من سكان في المنطقة، وهم الأجداد الأوائل لسكان الصحراء[2].

ترك المؤرخون القدمـــاء معلـــــومات رغم قلتهـــا، أثـــارت اســـتنباطات و صياغات عديدة أحاطت بها، تثبت ثراء و عراقة هذه المجتمعات و تؤكـــد بـــأن المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ فجر تاريخ الإنسان، نظرا لما تتوفر عليـــه مـــن موارد طبيعية تؤهل الإنســـــان للاستقرار بها ومن أهم هذه المواد على الإطـــلاق عنصر الماء الذي كان يسيح على سطح الأرض متمثلا فـــي البحيـــرات المنتشـــرة

[1] **P. PASSAGER** «*Ouargla (Sahara de constantinois) Etude historique géographique et médicale – arch institut* » Pasteur d'Algérie T 35. 1957 pp 99.200.

[2] **Alain ROMEY** «*Histoire Mémoire et société l'exemple de N'goussa Oasis – berbérophone du Sahara (Ouargla),* l'HARMATTTAN-AWAL 1992. p21.

وحتى الآن قي منخفض وادي ريغ. البدو الجيتول الأجداد القدامى لأهل الصـــحراء كانوا يجوبون الهضاب والصحاري غير القابلة للزراعة [1].

حوالي القرن السابع قبل الميلاد في العهد الفينيقي، وإن كانت دولتهم لم تؤلف سوى إقليم ضيق لاتجاهها نحو البحر، كان لا يزال أهل الصحراء يمارسون صـــيد الأفيال (كان الفينيقيون يملكون منها قطعانا يزيد عدد الواحد منها على 300 فيل) كان هؤلاء الصيادين يجوبون المناطق الرطبة مثـــل وادي ريـــغ . كمـــا أســـتعمل الفينيقيون من الصحراء جنودا في حروبهم، كما نلمس العديد من الدلائل على هـــذه العلاقات من البقايا التي وجدت على طريق التجار الذين قادوا القوافل حتى النيجـــر جنوبا، من هذه البقايا المؤكدة وجدت على شكل قطع ذهبية على طريق التجار قرب منطقة الحجيرة [2].

لم يحتل الرومان هذه المناطق في توسعاتهم، بل اكتفـــوا بتســـيير دوريـــات لحراسة وتفقد طرق التجارة، قاموا ببناء بعض الأبراج في منطقة الـــزاب (حـــدود التوسع الروماني تتبع تقريبا مجرى وادي جدي) إذ لم يعثر على آثار رومانية فـــي المنطقة. الذاكرة الشعبية المحلية مازالت تحتفظ بذكر جيوش الرومان(جمع **فيـــروا**

---

[1] **Alain ROMEY** .idem . p21 22.

[2] منطقة الحجيرة على بعد حوالي 70 كلم جنوب غرب مدينة تقرت، المكان الأصلي لقبائل سعيد أولاد عمر.

بعض الروايات عن جيش الرومان الذي قضى عليه البدو قرب" تمرنـــة " 50 كلــم شمال مدينة تقــرت و جيشا آخر غرق في مستنقعات تماســين 10 كلــم جنــوب تقــرت.[1]

وجدت تجمعات اليهود منذ القديم في هذه المناطق والصحراء عموما، يتحدث سترابون Strabon عن مجموعات يهودية تجارية وزراعية استقرت منذ القــرن الثاني الميلادي كان لها دور بارز في تمويل القوافل التجارية التي جابت الصحراء، وكان موقع تقــرت على أهم خطوط تلك القوافل والتي كان بفضلها ازدهار المنطقة باتصالها بالجنوب الواسع حتى النيجر والسودان الغربي والشــمال حتــى الســاحل المتوسطي و الشرق حتى بلاد النيل والنوبة والغرب حتى الساقية الحمراء.

إن أقوال المؤرخين الجغرافيين القدماء تثبت هذا مثل **ابن سعيـــــد**[2] حيــث يقول: (*... وفي شرقها بلاد ريغ طولها نحو خمسة أيــــام و هـــي بــلاد نخــل و محمضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلـــى أمـــد طويــل*

[1] **Féraud (L .CH)** «*ibidem »*. p 60.

[2] **ابن سعيد (علي بن موسى)** *«كتاب الجغرافيا »* تحقيق إسماعيل العربي،بيروت،المكتب التجاري للطباعة والنشر1970.ص190.

*ويسيـــم في المزارع).*أو **ابن خلدون**[1] في حديثه عن استقرار قبيلة ريغـــــة وفـــي الأسباب التي دفعتهم إلى اللجوء والاحتماء بهذه المنطقة:

«... و أما بنو ريغـــة فكانوا أحياء متعددة ... ونزل أيضا الكثير مـــنهم مـــا بين قصور الزاب و واركلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغـــرب إلى الشرق ويشتمل على المصر الكبير و القرية المتوسطة ... وكثر في قصـــورها العمران من ريغة هؤلاء ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائـــل زناتـــة ...».

هذه المعطيات أكدتها كتب الرحالة و المستكشفين الأوربيين مع مطلع القـــرن التاسع عشر. قبيلة ريغة أو بني ريغة، والتي ذكرها **ابن خلدون**، فرع مـــن العائلـــة البربرية الكبرى زناتة والتي أعطت اسمها للإقليم، تكون قد هاجرت إلى الإقليم فـــي حدود القرن الخامس الميلادي. هذه المجموعة كما أكد أيضا هـــي التـــي عمـــرت القصور وزرعت النخيل. يذكر " **فيرو**" أن الرواغة سكان المنطقة هم نتاج التمازج العرقي بين الزنوج القدامى في المنطقة وبربر زناتة القادمين من الشمال تحت وطأة

[1] **ابن خلدون (عبد الرحمان):** مرجع سابق. ص 96.

صراعا تهم الداخلية وضغط الرومان[1]. أما كتاب العدواني والذي ألفه صاحبه بالمنطقة يذكر أن أول من سكن المنطقة هم يهود، ويذكر أنهم من عقب هاجوج بن نكران سكان خيبر القدماء، ويضيف أن اليهود الذين يسكنون القصور في الصحراء ينحدرون من بني عبد الدار أبناء قصي، وفي موضع آخر يقول:

"... القصور بطولها وعرضها مسكونة باليهود والنصارى..."[2]

2.2. العرب الفاتحون

في النصف الثاني من القرن السابع يحل عقبة بن نافع على رأس جيش الفتح الإسلامي، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم يصل إلى المنطقة، و هنا تبرز رواية أسطورية نقلها **فيرو** عن سكان المنطقة، من أن سيدي عقبة يكلف أحد أبرز قادته والمسمى "حسان" بالتولي على الإقليم بين الزاب وورقلة أي منطقة وادي ريغ، هي رواية يذكرها بعض الأهالي قصد إعطاء محتوى عربي إسلامي للاسم الذي يطلق على فلاحي النخيل من أهالي المنطقة ذوي ملامح البشرة السوداء بانتسابهم إلى حسان هذا بعد أن ترف الاسم إلى "رجال الحشان" وهو الاسم الذي يطلق حاليا

[1] **Féraud (L .CH)** , ibid. p 58

[2] **Féraud (L .CH)**: <u>*« Kitab el Adouani ou recueil des traditions sur le sahara de Constantine et de Tunis*</u> »; Société archéologique de Constantine. 1868. p 112.

على السكان "الأصليين" بوادي ريغ، كل سنة يقيم السكان حضرة "رجال الحشان" في موسم جني التمور الخريف، وهي عادة صوفية تعود إلى القرن الحادي عشر كما أكد لنا المشرفين على تنظيمها كل عام.هذه الرواية قد تكون محاولة للانتساب إلى العنصر العربي الإسلامي الغالب من طرف السكان القدامى بعد الفتح العربي " الاحتفال السنوي في الذي يقام في موسم التمور بالذات يؤكد ذلك. في هذه المرحلة المبكرة من الفتح لم يكن التأثير العربي كبيرا، لكنه سرعان ما يتعمق ويتأكد مع الغزو الهلالي في القرن التاسع الميلادي بحلول قبائل عديدة استوطنت المنطقة هي في أغلب ضن المؤرخين التي تؤلف العنصر العربي من بدو المنطقة.

يتأثر وادي ريغ بالإباضية إذ قبل استقرارهم في سدراتة هربا بمذهبهم بعد سقوط دولة الرستميين كانت لهم محطات في وادي ريغ وذلك بين القرن العاشر والحادي عشر، كثير من القرى والقصور في وادي ريغ تنتسب إلى هذه المرحلة من التأثير الإباضي، مدينة "جالو" قرب قوق حاليا 20 كلم شمال تقرت وقد ترك المذهب الإباضي بصمات واضحة في الإقليم نجده خاصة في أسلوب البناء وفي تخطيط المساجد وحتى في بعض العادات والتقاليد، وفي سيطرتهم على القوافل التجارية، بقي الأباضيين يسيطرون على الطريق التجاري بين ورقلة وقفصة حتى بداية القرن العاشر بالرغم من حصار الفاطميين لهم في مناطق أخرى، وتوسع

الحماديين مما يدل على تأثيرهم العميق على منطقة وادي ريغ الواقعــة فــي هــذا المسلك[1]. في فترة الموجات الهلالية كانت قصور وادي ريغ قد مرت إلــى ســلطة الحماديين وعاصمتهم في الحضنة، في حدود القرن العاشر الميلادي. إذ قــام أحــد سلاطينهم وهو" الناصر " بتنظيم حملات على المنطقة لطرد الخوارج من ســدراتة في طريقه يحطم العديد من قصور وادي ريغ ، وبعده تخضع المنطقة لبنــي غانيــة الذين حاربوا الإباضيين أيضا.

ابتداء من القرن الثالث عشر تخضع المنطقة للحفصــيين عــن طريــق " المزني " حاكمهم في الزاب الذي يتنقل في مقر ولايته بين بســكرة و"المقــارين" (قرية 6 كلم شمال تقرت)، ثم يقع حكم تقــرت في يد أسرة يوسف بن عبيد الله، وتماسين[2] قربها التي تتوسع هي الأخرى وتتحول إلى مدينة تحت ســلطة أســرة بني إبراهيم وهي أسرة محلية من الرواغة[3]. الروايات المحلية تحكي كثيرا عــن النزاعات والصراعات والحروب بين المدينتين تقرت وتماسين. وتبقى هذه الفترة مطبوعة بالصراعات بين القصور المتجاورة تحركها في الغالب مســائل النــزاع على الأرض أو مصادر المياه لعب فيها الجانب المذهبي والديني أهمية كبــرى.

---

[1] **Alain ROMEY** ibid , p30 .

[2] تماسين مدينة تاريخية، 10 كلم جنوب تقرت تشتهر بكونها ثاني مقر للزاوية التيجانية.

[3] **P. PASSAGER** ibid. **;** p 102 **.**

ويذكر **ابن خلدون** أن هذه القصور والمدن كانت مستقلة عن بعضها البعض . وكانت بعض القصور في أحيان عديدة تستنجد بالبدو في تحالفات مؤقتة ضد جاراتها من القصور. وتدخل المنطقة نتيجة هذه الصراعات في فوضى كبيرة وعدم استقرار كان أثره تدميريا على الواحات.

موقع منطقة وادي ريغ أهلها لأن تصبح محطة هامة في طريق قوافل الحجاج القادمين من المغرب الأقصى نحو الحجاز، في أحد هذه القوافل يحل على المنطقة رجل صالح سوف يؤثر تأثيرا واضحا في تاريخها إبتداءا من القرن الرابع عشر الميلادي، هو الشريف سيدي أمحمد بن يحي الإدريسي والذي ما زال ذكره حيا بين أهالي المنطقة إذ يعتبره السكان أعظم ولي صالح بها، والذي نشر المذهب المالكي بالمنطقة بعد أن بقيت ولمدة طويلة تحت تأثير الخوارج الإباضية، بعد رحلاته للحج يستقر الرجل في المنطقة (في موقع ضريحه حاليا قرب غابة النخيل على حواف النزلة أقدم قصور تقرت)وهي ميدان دراستنا.

سلطة هذا الرجل الروحية تدوم حوالي الأربعين سنة، يقضيها زاهدا وداعيــا وهو من يؤسس أول مجلس جامع لأعيان القصور المجاورة إذ سميت أغلب قصور وادي ريغ بأسماء هؤلاء الصالحين الذين ألف بهم المجلس، سيدي راشــد، ســيدي سليمان، سيدي خليل، سيدي عبد السلام، سيدي فتيتــه، ســيدي بــن هــارون ... وغيرهم. على يده تتوحد البلاد وتهدأ الصراعات ويلعب هذا المجلس دور بارز في حل النزاعات وفض الخلافات بين السكان، كما كان اعتناق الأغلبية للمذهب المالكي سبب هام في هدوء الصراعات . وأيضا ترتيب مسائل توزيع ميــاه الســقي بــين الفلاحين، كما عقد المصالحات بين القصور والبدو من رحمان وســلمية ودرايســة وأولاد مولات وسعيد أولاد عمر والشعامبة ووادي سوف ... يشتهر هــذا الرجــل باسم « سلطان البلاد[1] " مازال ضريحه يزار حتى اليوم خاصة عند السكان المحليين الحشاشنة وتدخل زيارته في طقوس الزواج إذ يطلب العروسين بركته قبل الدخول، هذه الزيارة الأساسية قد تبناها العديد من الفــآت الأخــرى مــن غيــر الحشاشــنة وأصبحت من أبرز طقوس الزواج حاليا.

[1] يقصد بكلمة السلطان هنا السلطة الروحية وليس سلطة زمنية، ما يزال أهل تقرت والنزلة يذكرون هذا الولي الصالح بهذا النعت.

3.2. تقرت عاصمة وادي ريغ في عهد " بني جلاب "

يحل رجل آخر لا يقل تأثيره في تاريخ المنطقة عن الأول، يذكر العدواني:

« أن رجلا من أسرة بني مرين حكام المغرب الأقصى كان معتادا الحج إلى مكة المكرمة كل سنة، في طريقه نحوها يمر بوادي ريغ أين كان يبيع السلع الفائضة عن حاجته، وبإلحاح من سكان المنطقة الذين طلبوا منه الإقامة بينهم، فجاء بكل أسرته وجلب معه أمواله وثروته واستقر في وادي ريغ[1] » هذا الرجل هو الحاج سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي. و تذكر الروايات أن في سنة 1431 م تحل بالبلاد مجاعة عظيمة تؤثر على السكان الفقراء الذين استنجدوا بالحاج سليمان لإقراضهم حتى أنهم قد اضطروا لبيع أبناءهم ولما تثاقلت الديون عليهم، عرض السكان على هذا الرجل أن يحكمهم، ومن المشهور وغير المدون أنه اتفق مع سيدي امحمد بن يحي لتسليمه الحكم بالمنطقة على أن يتخلى عن ديونه ويحترم الأعيان ورؤساء القبائل، بذلك تبدأ سلطة بي جلاب في المنطقة 1450 م، واستمرت هذه السلطة في عقبه أربعة قرون ونصف حتى دخول الاستعمار الفرنسي عام 1854م. وتوسعت سلطتهم إلى نفطة (بتونس) شرقا وأولاد جلال غربا، ازدهرت المدينة تقرت في عهدهم وزاد عمرانها وبنيت أهم معالمها، كما قاموا بجلب الحرفيين والصناع والنحاتين من تونس ونفطة وتوزر والكاف ومن التل الجزائري. من

---

[1] **Féraud (L .CH)** , Ibid, P 165-167.

الأعمال الأساسية التي يقوم بها سليمان الجلابي لتثبيت حكمه هو التحالف مع القبائل البدوية خاصة قبيلة " الدواودة " الشهيرة والقوية وهي في الأصل اتحاد قبائل عربية مستقلة تهيمن على الزاب والحضنة خاضعة لسلطة أسرة بوعكاز. في عهد سليمان الجلابي كان على رأس الدواودة محمد الصخري الذي أخذ لقب شيخ العرب عام 1431م، هذا الشيخ يتزوج ابنة الحاج الجلابي تأكيدا لهذا التحالف[1]. في 1528 عندما يتم تنظيم بايليك الشرق بقسنطينة، يصبح من أولويات باياته توسيع السلطة العثمانية جنوبا والسيطرة على طرق التجارة، ويصبح الجلابي وشيخ العرب من أهم وكلاء السلطة العثمانية في الجنوب.

لكن هذه الوكالة تصدم بمحاولات استقلالية متلاحقة لهذه المشيخة المحلية، في 1552 سكان تقرت وجيرانهم في ورقلة يمتنعون عن دفع الضرائب الثقيلة للأتراك مما يجر عليهم حملة صالح رايس باي قسنطينة على رأس 3000 رجل وألف فارس وآلاف المتطوعين من البدو وجرجرة مجهزين بمدفعين، يحاصر المدينة المحصنة بسور ثلاثة أيام ثم يدخلها، وبعد نهبها يفرض الضريبة (15 من العبيد)، هذه الملة تتبع بحملات أخرى متتابعة لنفس الأسباب، 1647 حملة يوسف باشا، 1771 حملة صالح باي، 1818 حملة أحمد المملوك. كانت آثار هذه

[1] **Féraud (L .CH),** ibid p 169.

الحملات وخيمة على سكان المدينة تقـرت ونواحيهـا، دمـرت واحـات النخيـل وشردت السكان، وكثرة الضرائب والمغارم على السكان الفقراء التي فرضها بنـو جلاب والسلطة العثمانية معا وحتى الخيالة العرب لهم نصيبهم. أحد سكان المنطقـة يحتفظ بهذه الأنشودة القديمة التي تصور واقع تلك الحقبة على السكان يقول:

« *غني غني يا حمامة دين باهودة ولا غرامة الجلابة* » .

لا يتسع المقام لذكر سيرة 35 سلطانا من حكام بني جلاب، تكفي الإشارة إلى بعضهم والذين ارتبط عهدهم بحوادث هامة خاصة الحوادث الدامية التـي طبعـت حكمهم واشتهروا بها من تناحر على السلطة واغتيالات في الأسرة الحاكمة، علـي الأعور الذي هاجم ورقلة، سليمان الذي اغتيل 1729، محمد الأكحل الـذي يجبـر اليهود في المدينة على اعتناق الإسلام، إبراهيم بنى الجامع الكبيـر 1220 هـ، عامر زوج السلطانة عيشوش ، علي الكبير أخوه الذي اغتالـه 1831 و آخـرهم سلمان بن على الكبير الذي بقي حتى دخول الفرنسيين[1] .

[1] **Féraud (L .CH)** , ibid. p 169- 171.

لعبت المرأة أيضا دورا بارزا في التاريخ المحلي سواء فـــي الأســـاطير أو الحكايات المحلية أو في التاريخ السياسي، ابتداء من أسطورة البهجة المعروفة عنـــد السكان والتي أعطت اسمها لمدينة تقـــرت "البهجة"، التي ذكرناها في رواية تأسيس المدينة. أربعة أخريات بقين مشهورات في تاريخ المنطقة، أم هاني (شيخ العـــرب المرأة بنت أحد بايات بايليك الشرق وأمها جارية أسبانية حملت لقب شـــيخ العـــرب للدواودة في حدود نهاية القرن 17 م، للثأر لمقتل أخيها تقوم بقتـــل زوجهـــا شـــيخ الدواودة وحليفه سلطان تقـــرت وتسلم الحكم في تقـــرت لأمير جلابي محمد الأكحل الذي اشتهر بالسكر والعربدة والذي تزوج بيهودية تسمى "زمينة" بعد أن أسرها من ضواحي تقـــرت والتي تعتنق الإسلام وتقترح على زوجها محمد الأكحـــل فـــرض الإسلام على أهلها من اليهود في المدينة. في نهاية القرن 18 جارية أخرى مغربية حسب الروايات تسمى مريم من أجلها يتأجج الصـــراع بـــين تقـــــرت وتماســـين، وأشهرهن على الإطلاق لالا عيشوش 1833ـــ 1840 م من عائلـــة بـــن قانـــا حلفاء الأتراك و زوجة السلطان عامر الجلابي تصل إلى سدة الحكم فـــي تقـــــرت اشتهرت بالفروسية و لضمان الحكم لولدها عبد الرحمان قتلت أخوه علـــى الكبيـــر بالسم الذي هو بدوره كان قد قتل أخوه إبراهيم قبل ذلك للتولي بدله، ونهايـــة هـــذه

المرأة تكون محزنة أيضا إذ بعد كبر سنها يختطفها أولاد مولات البدو بـــأمر مـــن سلمان الجلابي آخر سلاطين بني جلاب وتسلم للمجاهرية أين تدفن حية[1].

4.2. الاحتلال والاستعمار الفرنسي

في1830 الداي حسين يرسل في طلـــب المعونـــة مـــن الـــداخل لمواجهـــة الفرنسيين الذين حلوا بسيدي فرج، سلاطين تقـــرت والدواودة البدو لم يستجيبوا لهذا النداء، وأكثر من ذلك في 1831 وفي 1833و34 بعد سقوط عنابة وبجايـــة فـــي أيدي الفرنسيين 1837 سلاطين تقـــرت الجلابيين، علي الكبير ثم عيشوش وحتـــى شيخ العرب فرحات يحاولون التعاقد مع الفرنسيين للإطاحة بباي قسنطينـــة الحـــاج أحمد باي ، الذي احتاط للأمر وغير سلطتهم بتعيين أسرة بن قانة حلفاؤه وأصـــهاره على منطقة الزاب ووادي ريغ ، وحتى السلطات الفرنسية لم تقبل بعروض سلاطين تقـــرت[2].

---

[1] **P. PASSAGER** ibid p 121.

[2] **Féraud (L .CH)** ibid. p 71

في 1844 بعد سقوط بسكرة على يد الدوق" دومال"، يسارع السلطان عبد الرحمان الجلابي (بن عيشوش) للاعتراف بالسلطة الفرنسية ويقدم ضريبة 20.000 فرنك، بعد أربع سنوات فرنسا لم تتهيأ بعد للزحف على وادي ريغ.السلطان عبد الرحمان يغزو تماسين المجاورة ووادي سوف ويطلب معونة الفرنسيين الذين يردون بالرفض . ثم يتوفى في 1852 ويخلفه ابنه عبد القادر وكان سنه صغير لا يسمح له بإدارة الحكم في هذه الأوقات الحرجة، فيقوم الفرنسيون مؤقتا بتولية أحمد بن الهادي بن قانة على وادي ريغ، ونظرا لسمعة هذه الأسرة السيئة في نظر سكان وادي ريغ يرفض الأهالي الخضوع لهذه السلطة ويؤيدون سلمان الجلابي بن علي الكبير الذي يتحالف مع لشريف محمد بن عبد الله الذي أعلن الثورة على الفرنسيين منذ 1851 في نواحي ورقلة من أسرة أولاد سيدي الشيخ، محاولا توسيع حركته بحث أهالي تقرت على جهاد الفرنسيين. نتيجة تطور هذه الأحداث تقوم فرنسا بتجهيز قواتها في 11 نوفمبر 1854 في ضواحي بسكرة تحت قيادة الكولونيل "ديسفو" وتتجه نحو المنطقة معسكرة في لمقارين (واحة قرب تقرت) أين تلاقي مقاومة من أهالي تقرت بقيادة سلمان الجلابي والشريف ممد بن عبد الله بمساعدة أهالي سوف، وبعد هزيمة المقاومين يدخل القائد مارني مدينة تقرت في 05 ديسمبر 1854 معلنا نهاية حكم بني جلاب وبداية الإحتلال

الفرنسي لهذه المنطقة التي تشهد انتفاضة جديدة في 1871 ضمن ثـورة بوشوشة تتزامن مع ثورة المقراني في بلاد القبائل وتمتد إلى الجنوب.

تبقى المنطقة تحت الحكم العسكري الفرنسي، وتصبح في هذا العهد من أهم مناطق الجنوب. تحت نفوذ عائلة أولاد بن قانة ملحقى بالزيبان، في 1892 تقسم إلى أعراش، قيادة تقرت، قيادة طيبات أولاد السايح، قيادة سعيد أولاد عمر، قيادة أولاد مولات، قيادة عرب الغرابة، قيادة المقارين وتمرنة. قانون 24 ديسمبر1902 يقرر التنظيم الجديد للصحراء، تحت الحكم العسكري الفرنسي وتقسم الصحراء إلى أقاليم عسكرية حسب المرسوم لسنة 1905 ينشأ بموجبه الإقليم العسكري لمنطقة تقرت يؤسس المكاتب العربية، في 13 جوان 1975 تنشأ وزارة خاصة بالصحراء الجزائرية وفي 07 أوت 1957 تؤسس ولاية الواحات والساورة، وتصبح تقرت نيابة عمالة SOUS PREFECTURE، تظم كل من المغير، جامعة، تقرت، الطيبات، الحجيرة، العلية.

لم يضيع الفرنسيون الوقت فقاموا باستغلال المنطقة واحتل المعمرون جــزء كبير من الأراضي الصالحة لزراعة النخيل، يقدم نيسون أرقــام بالخصــوص: 57 ملاك أوربي أي نسبة 0.55% من الملاكين يملكون 10% من مجموع النخيل...ثم يضيف التقنيات الجديدة لحفر الآبار والمستعملة من طرف الفرنســيين منــذ 1856 تسمح بالتوسيع الكبير لواحات النخيل في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، وبالتالي يتغير الإقليم ومعه تتغير الأوضاع الاجتماعية بفعل التغير الكبير في أشكال الملكيات الفلاحية وأيضا طبيعة استغلال المياه[1]. في سنة 1856 هناك تقييم أعطى رقم 300 بئر أو منبع بتدفق إجمالي يقدر بــ: 53000ل/د و 1610000نخلة، في نفس السنة الحفر في منطقة المغير يعطي نسبة تدفق هامة 39000ل/د وفي سنة 1930 يصــل التدفق الإجمالي لآبار للمياه في المنطقة حسب التقــارير الفرنســية 348000ل/د. لتتوسع زراعة النخيل بصورة كبيرة عن طريق ملكيات كولونيالية واسعة وحديثــة في المغير جامعة وتقرت، نتيجة هذا التوسع كثير من القرى تتحول بأكملها وتنتقــل إلى أماكن أكثر ارتفاعا وتهوئة وبدأت تظهر قرى جديدة مستقيمة الشوارع وواسعة. بعض الآبار القديمة توقفت عن التدفق وغارت مياهها نتيجة الحفر والتدفق الكبيــر والمتزايد لمياه الآبار مما أثر على مستوى طبقة المياه الصالحة للسقي وبالتالي جفت نخيل عديد القرى وأدى إلى فقدان الفلاحين لنخيلهم وتفقيرهم.

[1] **C l . Nesson** ; *« Structure agraire de L'Oued Righ »* Traveaux de L'IRS Tome XXIV 1°et 2° Semestres 1965 ;P 106.

أما البدو الرحل وأنصاف البدو فبالرغم من ابتعادهم عن الحياة السياسية للمدن والواحات إلا أن الآثار الاقتصادية للاستعمار كانت كبيرة جدا، أولا من حيث أن إقتصاد البدو مرتبط وبشكل وثيق باقتصاد الواحات حيث كانوا يقضون جزءا من السنة في قرى الواحات، خلال القرن الماضي 20 شهدت ممارساتهم التقليدية تغيرا كبيرا من حيث اتصالاتهم بالملاك الجدد " المعمرون" والذين بدأ بدو العشابة في التعامل معهم، أيضا من خلال النظم الجديدة التي أصبحت تحكم سوق التمور منها الزيادة في طلب الأيدي العاملة نتيجة توسع الزراعة الكولونيالية خاصة وقت جني المحاصيل التي تتم بالطرق التقليدية مما يسهم في جذب أعداد متزايدة من قبائل السهوب أولاد نايل وغيرهم والذين سدت في وجوههم مسالك التل بسبب التوسع الكولونيالي وسلب أراضيهم وتقنين الرعي . من جهة أخرى تغير وسائل النقل بالإعتماد المتزايد على المكننة والشاحنات التي عوضت الجمال وأثره الكبير على القبائل البدوية الشعانبة مثلا وسعيد وغيرهم، هذه التحولات العميقة أحالت قبائل بدوية بأسرها إلى البطالة وبالتالي بداية التوجه نحو المدن والقرى في وادي ريغ كجيوش من الفقراء والمعدمين.

إن الوجود الفرنسي قد وجه ضربة كبيرة للتفوق البدوي على المتمدنين كما في باقي المناطق الصحراوية فسح إمكانية للسكان المستقرين بالاغتناء والاندماج في الحياة الاقتصادية المعتمدة على النقد وأيضا ببعض التعليم والعلاج والتجارة. البدوي والذي كان وإلى عهد قريب يستعمل " الخماس" للاعتناء بملكياته وبعد انقلاب الأوضاع أصبح البدوي مجرد راعيا عند الحضري أو عاملا موسمي عنده في موسم الجني أو حارس لملكياته. والأهم من ذلك كله هو أفول الحياة البدوية في ظل الواقع المادي الكولونيالي الجديد.

من المشاريع الهامة أيضا التي حولت المنطقة في العهد الفرنسي مد خط السكك الحديدية سنة 1914 الذي يصل إلى تقرت وينتهي عندها وبه تتحول المنطقة إلى ورشة مشاريع استعمارية كبيرة في واحات النخيل ونقل المحروقات بعد اكتشاف البترول سنة 1956 بحاسي مسعود، ومشاريع لم تنجز مثل مشروع بحيرة الجنوب الذي بقي في الدراسة.

5.2. الثورة واسترجاع السيادة الوطنية

في الفترة الإستعمارية عانت المنطقة من ويلات الاستعمار، إذ عم المنطقة الفقر الشديد والحرمان وانتشرت الأمراض (الحمى الصفراء) التي قضت على أعداد كبيرة من الناس مما اضطر العديد من السكان إلى الهجرة نحو الشمال وفرنسا وتونس، وازداد عدد المعمرين الوافدين. هذه الهجرة التي جعلت العديد من الشباب خاصة في بداية الأربعينيات يشعرون بالقضية الوطنية فدخل الكثير منهم المعترك السياسي فظهرت بالمنطقة جمعيات ذات طابع إجتماعي إلى جانب التنظيمات السياسية وزخرت المنطقة خاصة مدينة تقرت بالمناضلين المصلحين والسياسيين من جمعية العلماء وحزب الشعب وحزب البيان والحزب الشيوعي، من أهم الجمعيات التي برزت " جمعية الأمل الثقافية بتقرت "والتي أسسها محمد الأخضر السائحي، ثم اتحاد الشباب الصحراوي، وأيضا ظهور الكشافة الإسلامية.

كما انضم الفقهاء والمعلمون إلى فروع جمعية العلماء المسلمين وأسسوا جمعيات دينية وثقافية وأشرفوا على التدريس وإرسال البعثات العلمية إلى الزيتونة بتونس والقرويين بفاس ثم معهد ابن باديس بقسنطينية تكونت بفضلهم مجموعة من الإطارات سهامت في التعليم بالمنطقة خاصة بمدرسة الفلاح الحرة للتعليم العربي الشهيرة بتقرت.

عند اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954، كان أول اتصال بين الثورة وتقرت في جانفي 1955 عن طريق رسالة الشهيد مصطفى بن بو العيد للشيخ " أحمد التيجاني" [1]شيخ الزاوية التيجانية بتماسين يطلب فيها تقديم المساعدة بالمال والسلاح والسعي لتنظيم خلية ثورية بمنطقة وادي ريغ، وتواصلت الإتصالات عن طريق الطالب العربي بالوادي سوف وأحمد جاري فتشكلت اللجان الأولى للثورة بتقرت ووادي ريغ. ولما كان وادي ريغ يمثل عمقا استراتيجيا للثورة يربط بين الحدود الشرقية ومنطقة الأوراس. حتى مؤتمر الصومام وتشكيل الولاية السادسة للثورة التي مثلت الصحراء ونظرا للخصوصية التي تتمتع بها المنطقة فقد كان التنظيم الثوري منظما يضمن إمداد المناطق الأخرى بالسلاح الذي يمر عبر الحدود الشرقية نحو الشمال، ومن أهم المعارك الثورية التي وقعت بالمنطقة: معركة لبرق 25 ماي 1958، معركة قرداش جنوب تماسين 28 أكتوبر 1958، اشتباك دليليعي بالطيبات خريف 1961، معركة القصور بالمقارين 27 أوت 1961، واشتباك العالية 08 ديسمبر 1961 وغيرها من المعرك والعمليات الفدائية.

حاولت السلطة الاستعمارية في آخر أيامها بالجزائر التمسك بالصحراء نظرا لأهميتها الإستراتيجية والإقتصادية ضمن المفاوضات الشاقة من أجل وقف إطلاق

---

[1] **الجمعية الثقافية التاريخية الوفاء للشهيد** "*قاموس الشهيد لولاية ورقلة* " منشورات جمعية الوفاء مطبعة الآمال، الوادي 2006.ص464.

النار ومن أجل مواجهة هذه السياسة التقسيمية نظم سكان المنطقة بالتنسيق مع قيادة الثورة مظاهرات شهيرة في كل من ورقلة وتقرت والطيبات لمناهضـــة الاســـتعمار وسياسته وتم المنادات بأن الصحراء جزائرية وكانت في فيفري ومارس سنة 1962 وشارك السكان بقوة في استفتاء 01 جويلية 1962 حول تقرير المصير لتعم فرحـــة الإستقلال في هذه المناطق كبقية الوطن.

الفصل الخامس:

التحولات المجالية لمدينة تقرت

من المدينة التاريخيةإلى المدينة الصحراوية "الحديثة"

مقدمة الفصل

1. المدينة الكولونيالية
2. البنية المجالية الجديدة للمدينة: ميكانيزمات التشكل
3. وظائف العمران الجديدة وتحول هيكل النشاطات

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

في هذا الفصل سنتعرض بالدرجة الأولى للتحولات المجالية أي العمرانية التي شهدتها مدينة تقرت، نقصد بالتحولات المجالية، الإمتداد الفزيـائي للمدينة والمنطق الذي اتخذه، سواء الناتج من التخطيط في العهد الكولونيالي أوالتطور نتيجة العوامل الداخلية، أو الذي أعاد هيكلة المجال بفضل جهود الدولة الوطنية للإستجابة إلى متطلبات التحديث والعصرنة.

إن هذه التحولات كانت استجابة لحاجات مختلفة حاجات إعادة تشكيل المجال العمراني، تم خلالها الإنقطاع التام مع المنطق التقليدي القديم الذي أسست عليه الواحات ومدن الصحراء والمتميز أصلا بالتوجه نحو المركز، مركز المدينة، مركز السلطة الساسية، مركز السلطة الدينية، يستجيب أيضا للنظام الاجتماعي الثقافي المتميز بمركبات اجتماعية قائمة على مركزية وسلطة النظام السلالي ونظام الحرمة والتدرج في الخصوصية الخصوصية التي تنتج الهوية الاجتماعية والفردية، التدرج في المجال من العام إلى الخاص هو انعكاس للتتدرج من الرابطة العامة الإنسانية الدينية إلى القبلية إلى العائلية إلى الأسرة النووية المحتتوات في العائلة، لتصل إلى حجب المرأة التي هي مصدر كل الروابط

الاجتماعية (ليفي ستروس)"*تبادل الخيرات، تبادل الرسائل الكلامية، تبادل النساء*".

المنطق المركزي المنغلق يتحول وبغير رجعة نحومنطق الإنفتاح، الإنفتاح الذي أجبر عليه السكان والأهالي نظام كولونيالي، هدف من خلاله السيطرة على المجتمع من خلال السيطرة على المجال، لربط هذا المجال المنتج والواعد بالثروة نحو أفق بعيد، أفق المتروبول. أنتج هذا أثره البالغ على التمزق الاجتماعي وفقدان الهوية الفردية كما الجماعية المتعلقة بالمجال العمراني.

ينخرط المجال الصحراوي من جديد في التحولات، بعد استرجاع السادة الوطنية، هذه المرة في منطق التحديث، التحديث المهيمن عليه من طرف دولة وطنية مركزية اتخذت هذا المجال كامتداد فضائي استراتيجي طبقت عليه سياسة تنموية سريعة وقوية، اندمجت ضمنه المجموعات الاجتماعية نتيجة التحولات العميقة والمتسارعة باحثة عن هوية اجتماعية جديدة من خلال المساهمة في شبكة النشاط الإقتصادي الجديد، لتعيد عملية تشكلها واحتلالها لمركزاجتماعي واقتصادي جديد يضمن لها التموقع الإجتماعي والإقتصادي في المجال الذي ما زال في طور التشكل وإعادة البناء.

1. المدينة الكولونيالية: الإنفتاح والتثبيت من أجل السيطرة

1.1. منطق التنظيم الإستعماري الكولونيالي للمجال العمراني والمجتمع.

في المجال العمراني، الإنقطاعات التي أدخلها النظام الاستعماري، كانت واضحة وضوحا كبيرا، سيما على المستوى الإقتصادي الفلاحي، وأيضا على المستوى العمراني، ظهرت القرى والمدن ذات الشوارع المستقيمة، عناصر جديدة أضيفت، الكنيسة، تماثيل ومسلات تخلد" أبطال الإستعمار"، في الجانب المقبرة المسيحية. القرى الإستعمارية الأولى في الجزائر عرفت النور في 1832[1] بالقرب من العاصمة.وكانت الفترة التي تركزت خلالها المنش~ات الفرنسية في الجزائر خلال الفترة 1871-1896، والتي اتخذت لأسماء وهويات استعمارية فرنسية.

من جهة أخرى حول النظام الكولونيالي المجالات العمرانية التي كان يحتلها الأهالي، ماعدا المدن والقصبات فكان معظم سكان الجزائر إما يسكنون قرى صغيرة مشتتة في التل، وفي الهضاب العليا قبائل الرعي، وفي الجنوب إما البدو الرحل أو سكان الواحات. هذا المجتمع الذي بدى صعب السيطرة عليه مجاليا بالنسبة للإحتلال، ويتناقض مع كل مشروع إستغلال إستعماري. كان العمل أولا

[1] **Marc COTE** « *l'Algérie ou l'espace retourn*é » Media-plus Algérie, 1993.p127.

على تثبيته وتجميعه، وكان هذا هو ملخص كل السياسات الكولونيالية تجاه المجتمع الجزائري خلال فترة القرن التاسع عشر والعشرين[1].

" *إننا نعتقد جازمين، أن فكرة هذه المدن من الخيام والتي نحبس فيها السكان العرب تحمل لنا في حد ذاتها السلام في الوطن. إن المهم هو، في الواقع، تجميع هذا الشعب الموجود في كل مكان وفي أي مكان، المهم لنا هو جعله قابل للتحكم، عندما نحكم قبضتنا عليه، نستطيع بعد ذلك القيام بعدة أشياء، هي مستحيلة اليوم، وقد يمكننا السيطرة على روحه بعد أن نحكم السيطرة على جسمه"*[2]. هذا كلام الرائد ريشارد وغيره الكثير من كتابات القادة العسكريين الفرنسيين في هذا المجال وغيره، الذي يؤكد على سياسة الكنتونات التي طبقتها فرنسا لتجميع الجزائريين.

بورديو يؤكد أيضا على أن الجزائر كانت في العهد الكولونيالي، مخبرا للتجارب والتي ومن خلال الروح العسكرية الإستعمارية، حددت الهياكل المجالية على شاكلة الإستعماريين الرومان، القادة العسكريين والذين كانوا مكلفين بتنظيم التجمعات السكانية، يبدأون عادة بتطويع المجال، ومن خلال ذلك يأملون بتطويع الرجال، كل شيء يخضع للنظام والخط المستقيم، البناء حسب المعايير المفروضة

---

[1] **Marc COTE :** Ibid.p128.

[2] **RICHARD, Ch, Capitaine** : « *Etude sur L'insurrection de la Dahra (1845-46) »* Alger,éd. Besancenez,1846. P203.

والأماكن المحددة المنازل مرتبة في خطوط مستقيمة على طول شوارع عريضة والتي ترسم في الأخير شكل القلعة الرومانية أو قرية كولونيالية مع إدخال المميزات الهندسية الفرنسية، المدرسة،دار البلدية، التماثيل... [1]"

أما فيما يخص العمران الموجود فقد طبقت عليه نفس السياسة، تمثلت في الضغط على المدن الموجودة، في معظم المدن شمالا وجنوبا أسست المدن الثنائية والمنفصلة عن بعضها مجاليا بوضوح، المدينة الكولونيالية تسيطر على القصبة حيث تلتصق بها، وتطوقها، وتحاول استقطاب جميع أنشطتها. كما تم تحطيم أجزاء كبيرة منها مثل الذي جرى في المدينة التاريخية مستاوة تقرت، حيث أزيل تقريبا نصف المدينة الجميلة ذات الشكل الدائري وذلك لتمكن النظام العسكري من الوصول مباشرة إلى قلب المدينة. وهو في الغالب ما جرى لغيرها من المدن في جميع أرجاء الوطن. هناك مدن أخرى تم إزالتها نهائيا (تيارت في 1841)[2]، (معسكر) وغيرها...

[1] **Pierre BOURDIEU et Sayad ABDELMALEK,** « *le Déracinement ; la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie,* » Paris : Edition de minuit, 1964 (Grands documents ; 14)

[2]**Marc COTE :** Ibid. p132.

إن هذا العمران الكولونيالي ذو الطابع العسكري في بدايته يتطور نحو أنشطة اقتصادية وضع في الأصل على أساس التمكن من الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والتحكم فيه عن طريق التحكم في مجاله. واتخذ في طابعه الشكل الفرنسي، فكل المدن الكبرى في الشمال أخذت الطابع الفرنسي في تخطيط المدينة. العديد من المدن كان منشئها عسكريا بالدرجة الأولى (باتنة، سطيف...) أخريات نشأت كمراكز حضرية بواسطة العسكريين تيارت، (فيليب فيل 1838 سعيدة...).

بقي الأهالي يسكنون القصبات القديمة أما الأحياء الأوربية سكنها الأوروبيون من عسكريين وإداريين ومعمرين، وبذلك تشكل الفضاء المعماري في الجزائر المطبوع بالثنائية، المدينة العربية الخاضعة المتخلفة، والمدينة الأوروبية الواسعة والجميلة والمتطورة.

2.1. التنظيم المجالي الكولونيالي في تقرت والصحراء(الإنقطاع والتواصل).

بعد إتمام عملية احتلال مدينة تقرت ديسمبر 1854، بعد احتلال مدينة بسكرة قبل ذلك بقليل وعلى المستوى الإداري فقد اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكّنها من إحكام قبضتها على المنطقة ، باعتبار تقرت منطقة صحراوية مفتوحة، فبعد الإطاحة بالإمارة الجلابية استبدلت السلطة الجديدة النظام الإداري الذي كان معمولا به من قبل بنظام "القياد "و"الخلفاء"، فجاء هذا بديلا عن نظام السلطان ، بحيث أصبح "القايد" بلقب الحاكم على تقرت ووادي سوف ، ومقره في الغالب تقرت يعاونه نواب يدعون بالخلفاء ومنهم آلاغا علي باي بن فرحات من عائلة بوعكاز الذي نصبته السلطة الفرنسية برتبة آغا على تقرت ووادي سوف و ورقلة، إذ قام العقيد ديفو يوم 26 ديسمبر1854 بالإعلان عن تنصيبه بالساحة العمومية بقصبة مدينة تقرت، وسلمه "برنوس الآغوية" بحضور المشايخ ورؤساء القبائل بالمسجد الكبير وقرئت الفاتحة ،ثم تناول العقيد ديفو الكلمة مذكرا الأهالي بالمحن والصعاب التي واجهتهم تحت حكم الشيخ سلمان الجلابي ، والتي طالبهم بنسيانها ونسيان صراعاتهم القديمة، والالتفاف حول آلاغا الجديد الذي نصبته لهم فرنسا.وقد كان مقر حكمه – علي باي– متنقلا بين تقرت وسوف وله خلفاء يسميهم هو، وينصبون باتفاق مع السلطة الفرنسية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطة الفرنسية تفطنت إلـى وسـائل كثيـرة تكسب بها الجزائريين ، وهي اكتساب الشيوخ ،سواء شـيوخ الـدين أو شـيوخ الطرق الصوفية أو شيوخ القبائل والأسر العريقة ، وذلك عـن طريـق " هديـة البرنوس " ، والتي كانت لها أثار فاعلة في النفوس مند العهد العثمـاني ، ومـن خلال هذه السياسة يتضح لنا أن النفوذ الفرنسي امتد بواسطة هؤلاء الشيوخ إلـى مناطق كثيرة من البلاد مند بداية الاحتلال، ولكن لكل شيخ اهميته ولون برنسـه ورموزه ووظيفته. ومنذ 1871 بدأ العمل بنظام الشيوخ وهـم ممثلـو القبائـل ويتبعون مباشرة للخلفاء الذين بدورهم يتبعون القياد، واستمر الحال على ذلك إلى عام 1877 عندما تحول الشيوخ إلى خلفاء مستقلين ومرتبطين مباشرة ببسكرة.

قد يبدو للبعض من خلال ما سبق ذكره أن فرنسا كانت صـاحبة الفضـل الكبير في تنظيم الشؤون الإدارية بتقـرت ، لكـن المتتبـع لطبيعـة المجتمـع الصحراوي وبالخصوص منطقة وادي ريغ يرى أن شؤونها كانت أكثر تنظيمـا من طرف الجماعة التي يتم اختيار أفرادها من أعيان ووجهاء القوم والقرى قبـل فترة الاحتلال ، إذ كانت كل قرية أو دشرة تدار من طرف كبير الوجهاء ، لكـن بعدما احتلت فرنسا تقرت ووادي سوف تجاهلت الإدارة الجديدة النظـام القـديم

للحكم عن طريق الجماعات ، وذلك بوضع الأعراش العديدة من البدو كلها تحت سلطة الشيوخ كأفراد.

وحسب روايات المجتمع المحلي فإن علي باي كان حريصا على خدمة فرنسا أكثر من خدمة الفرنسيين لها، وكان مجبرا على تطبيق السياسة الفرنسية في المنطقة ، وقد اتبع سياسة البطش والتقتيل تجاه إخوانه ، وكان لا يرحم كل من حاول الخروج عن سلطته، مما ولد كراهية في نفوس الأهالي ضد سياسته ،الأمر الذي أدى إلى تعدد محاولات التمرد والثورة عليه في كل من تقرت و ورقلة ووادي سوف.ففي تقرت هناك قصة لازالت راسخة في الذاكرة الجماعية كرد فعل على بطش علي باي مفادها «: أن مجموعة من أعيان تقرت تمثل مختلف الأعراش اتخذت قرارا بتدبير عملية لاغتيال القايد علي باي، فاستأجروا أحد "الحرطانيين لتنفيذ العملية مقابل تحريره من سيده ، لكن من حسن حظ علي باي أن حراسه اكتشفوا الأمر قبل تنفيذه ،فقبضوا على الجاني ثم قتلوه.»

استكمالا للتنظيم الإداري ، وبعد صدور قانون السيناتوس كونسيلت تم تقسيم القبائل إلى دواوير في الفترة ما بين 1863و1887 ، وقد كانت المداشر في وادي ريغ بمثابة الدواوير في الشمال ، وقد بلغ عددها خمسة تجمعات قبلية، ثم تمّ تجميعها في بلديات سنة 1868،والتي انبثقت عنها بلدية تقرت وعقب انتفاضة أهالي وادي ريغ سنة 1871 طرأت تعديلات جديدة على المستوى السياسي والإداري ، إذ أصدر الجنرال دولاكروا القرارات التالية:

- تعيين الصبايحي السعيد بن ادريس المتجنس بالجنسية الفرنسية آغا على ورقلة بما فيها تقرت.

- تعيين الصبايحي العربي المملوك قائدا على وادي سوف، وهو رجل إيطالي ادعى انه دخل في الإسلام

- تعيين محمد حرز الله الذواودي من أولاد زكري قائدا على منطقة شمال وادي ريغ ، وهي منطقة شاسعة تشمل سيدي عمران، جامعة ، تندلة ، النسيغة، سيدي خليل ، المغير.

على اثر هذه التعيينات كانت عائلة بن قانة تأمل في تولي السلطة على تقرت وسوف خاصة بعدما فقد علي باي ثقة الفرنسيين ، ولكن الجنرال دولاكروا ومن هم أعلى منه من المسؤولين أصبحوا غير واثقين من تركيز السلطة الكبيرة

في يد العائلات الأرستقراطية الجزائرية التي كان ولاؤها غالبا غامضا. إلا أنهم عينوا على تقرت الملازم محمد بن إدريس سنة 1871 برتبة آغا وهو من أحلاف بن قانة، وعليه أصبح محمد بن إدريس أحد الضباط الفرنسيين والحاكم المباشر على تقرت ، لكن النفوذ المحلي بقي للقياد الذين تحولوا فيما بعد من حكام إلى شرطة. وبتاريخ 22ماي1872 تم استحداث تعديل إداري في الجنوب القسنطيني الذي كانت منطقة تقرت تشكل جزءا منه، وأصبحت تقرت تضم كلا من وادي ريغ ووادي سوف و ورقلة ، إلا انه في سنة1874 تم إلغاء ملحقة تقرت لتصبح تابعة لملحقة ورقلة.

في المجال العمراني أول ما بدأت به الإدارة الإستعمارية، هو تدمير جزء كبير من المدينة القديمة مستاوة، كان شكلها الدائري الكامل يسبب الإنزعاج للسلطة الإستعمارية في سياستها للسيطرة على المجتمع، وبالتالي فقد أزالت الجزء الجنوبي الغربي وصولا إلى الجامع الكبير والساحة المركزية لتي لم تعد كذاك، هذا مكن السلكة الاستعمارية من الوصول ومراقبة السكان، تم إنشاء في هذه المناطق المنزوعة، ثكنة عسكرية تقابل الجامع الكبير والساحة، كما تم تشييد مقر الحاكم العسكري.

أما من الجهة الشمالية، وحتى يتم تطويـــق المدينـــة، أضـــيف التخطـــيط العمراني الكولونيالي، تم إنشاء التوسعات المخططة تخطيطا مستقيما إبتداء مـــن مستاوة وصولا إلى محطة القطار، يصل بينها شارع واسع (شـــارع الإســـتقلال حاليا). تكون من مركز عسكري وناد للضـــباط، وتوســـعات ســـكنية للضـــباط والإداريين. هذا التخطيط فرض على المدينة الإنفتاح نحو الميتروبول المتمثل في وسيلته القطار الذي تنتهي أخر محطة له في تقرت. لتبدأ شركات النقـــل البـــري (دوفيك) بمواصلة المشروع الاستعماري لأعماق الصحراء متتبعة طرق القوافـــل التجارية القديمة.

3.1. نشأة وتطورالأحياء العشوائية في المدينة، وجه الكولونيالية الآخر.

في تقرت النسيج العمراني الذي أنشأ منذ الأربعينيات في القرن الماضـــي يمكن تصنيفه ضمن الأحياء العشوائية أو غير الرسمية، بنتـــه العـــائلات تحـــت ضغط الزيادات الديمغرافية لسكان المدينة، وأيضا تبعا لحالة القصور القديمة التي بدأ يشوبها الإهمال والتداعي، حيث شهدة القصور ابتداء من هذه الفترة التدهور، إضافة إلى بداية تثبيت البدو الرحل وأنصاف البدو في الأحياء العشوائية للمدينة، المساكن في هذه الأحياء بنيت على أسس المنازل التقليدية لكن مع مساحة أوســـع للتجاوب مع متطلبات الأسرة التي باتت أكثر عددا، كمـــا أضـــيفت لهـــا بعـــض

العناصر الجديدة، والأدوات الجديدة للإستعمال المنزلي إستجابة للتحديث. حيث يلاحظ عليها أن الواجهات أصبحت أكثر انفتاحا من المنازل التقليدية في القصور القديمة، ثم تعرضت هذه الأحياء على توسعات وتغييرات في حجمها ومورفولوجيتها (توسعات النزلة، سيدي بوعزيز، تبسبست، حي بني أسود...). أصبحت تأوي العائلات الأكثر فقرا والمتمدنة حديثا، والمتزايدة باستمرار.

2. البنية المجالية الجديدة للمدينة: ميكانيزمات إعادة التشكل.

مع إقامة الدولة الوطنية كثمرة للإستقلال، يأخذ الاندماج في المجتمع الوطني العام عدة أشكال، إذ يشكل الجنوب وبخاصة الجنوب الشرقي أهمية إستراتيجية للحكومة المركزية بفضل آبار البترول والتي ترجع بداية استغلالها إلى سنة 1956 تم تأميمها سنة 1971 زاد في أهمية الثروة الاقتصادية الوطنية والمحلية التي تنتج عن استغلاله.في ظرف 20 سنة بعد استرجاع السيادة الوطنية ، الصحراء تتحول كلها وبعمق، تحت تأثير سياسة تطوعية، وتعميم استغلال والتنقيب عن النفط، وتأسيس وتعميم إدارة جديدة. وذلك بالاستثمار والتجهيز على المستوى الوطني ويصبح التعمير واقعا غالبا وتتضاعف المصادر الاقتصادية مما يسمح بنمو شرائح اجتماعية جديدة جهوية ووطنية أيضا.

إن التنظيم والتقطيع الإداري، والتجهيز الاقتصادي هــي مفــاتيح لسياســة الاندماج في المجتمع الوطني العام في الصحراء، تدمج منطقة وادي ريغ ضمن ولاية ورقلــة وجزء منها في ولاية الوادي. هذه اللحمة الجديدة للتنظيم الإقليمــي حتى وإن لم تضع في الحسبان الوحدة البيئية والاجتماعية والتاريخية بتقسيمها بين عدة ولايات، ورقلــة، بسكرة ثم الوادي[1]. هذا لقسيم والتنظــيم يســمح بإنشــاء وخلــق أنشطة جديدة للتجهيــز والخدمات، مديريات إداريــة مستشفيات مراكز صحية، مدارس ثانويات، شبكة بريد، بنوك...الخ. كانت لها آثــار كبيــرة علــى التشغيل، والسكن وتحسن مستوى المعيشة. إن استغلال النفط جاء بإقامة قاعــدة كبيرة في حاسي مسعود تستقطب أبناء المنطقة للعمل الدائم والمؤقــت وتعطــي ديناميكية جديــدة للمجتمـــع، وللأشغال الكبرى القاعدية والطرقات والمطارات تسهل الحركية داخل هذه الشبكة جهويا وربطها أيضا بالوطن وبالعالم. وتســمح للمنطقة والمدينة تقــرت الخروج نهائيا من محليتها بلا رجعة وبهذه النشــاطات تتغير الكثير من معطيات المجتمع الشكلية والنوعية.

[1] هذا التقسيم الذي يمثل إشكالية في حد ذاته قسّم المنطقة (وادي ريغ)، المنطقة المتجانسة بيئيا واجتماعيا وثقافيا بين ولايات (ورقلة، الوادي)، وقبل ذلك (بسكرة)، وهذا في حد ذاته قد يشكل عائقا نحو التنمية المتجانسة لمناطق الجنوب. ملاحظة الباحث.

هذا النموذج من التنمية ومنطقه الجديد المتميز بالحضور القوي للدولة في كل مجالات النشاط في مرحلة التنمية الأولى، ونظام الأجور المتنامي مما دفع الكثير من الشرائح الاجتماعية من مناطق التل للتوجه للمنطقة من أجل العمل، هذا العامل الذي فتح مناطق الصحراء التي طالما تميزت بالخصوصية المحلية، دفعها وبغير رجعة نحو الإندماج في المجتمع الوطني العام، بالرغم مما يلاحظ أحيانا من الشعور العام لدى شباب من الجنوب خاصة المدن القريبة من منابع النفط، شعور بسوء توزيع مناصب العمل بينهم وبين الوافدين من الشمال الذين في الغالب قد إستفادوا من بعض التضامنات العائلية والقراباتية التي تسمح لهم بإيجاد فرص للتشغيل، هذا الواقع تسبب في عدة مناسبات بالشعور العام بالغبن لدى فئات الباحثين عن العمل من ذوي المستويات البسيطة، يعبرون عن عدم الرضى ذلك بتظاهرات أصبحت مدن الجنوب تشهدها من حين لآخر (ورقلة مثلا سنة 2001).

1.2. الديناميكية الديموغرافية في تقرت ووادي ريغ.

تلتقي هذه التحولات الخارجية مع ديناميكية داخلية للمجتمع في المنطقة المتعدد الأصول والانتماءات وأشكال التنظيمات الاجتماعية ارتكزت هذه الديناميكية على منابع ومصادر ثقافية متنوعة للمجتمع الصحراوي بالرغم من نزعة التوحيد المرتبط أساسا بالمنطق الاقتصادي وتوحيد طرق وأنماط الحياة وأشكال السكن، يبقى سكان المنطقة مطبوعين بخصوصياتهم التاريخية وهياكلهم الاجتماعية. بتأقلم السكان مع مقتضيات الاقتصاد العام الجديد و بداية أفول الأشكال التقليدية للاقتصاد الصحراوي برزت أشكال من التأقلم الذكي بين منطقها الهوياتي ومنطق " الدولة " المتميز " بالعصرانية " أو التحديث، لكن السمة الأبرز في كل هذه التحولات والتي طبعت مجتمع الواحات ومنذ الأربعينيات من القرن الماضي هي النمو الديمغرافي، عند زيارة شارل فيرو تقرت قدر عدد سكانها بحوالي 1000 ساكن وذلك في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وهو الرقم الذي يمكن أن تتحمله موارد المدينة أنذاك، لكن اليوم وبعد ما شهدته الجزائر عموما من ظاهرة الإنفجار الديمغرافي التي بأت بوادرها منذ السنوات الأخيرة للإحتلال الفرنسي وعظمت عند السبعينيات والثمانينيات، تصاحبت مع أشكال من التمدن النزوح الريفي، وما يقابله في الجنوب من ظاهرة تمدن البدو، كلها ظواهر كانت الأساس في التحولات الكبرى التي شهدها المجتمع الصحراوي وفي هذه المدينة

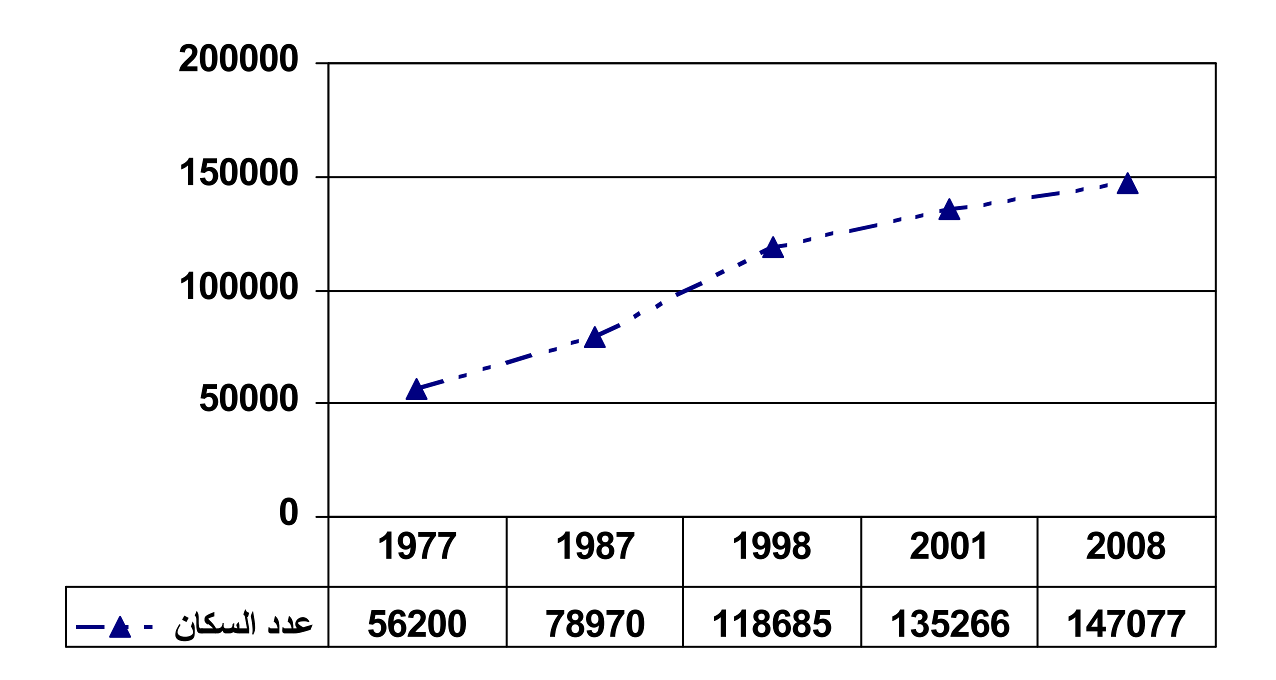
والمنطقة بالخصوص، الإنفجار المجالي، تغير السكن شكلا ونمطا ووظائف تحول الأسرة ونظام المصاهرات... كلها ارتبطت عضويا بمسألة التزايد السكاني السريع.

جدول(05) نمو السكــــــــــان في بلديات تقرت الكبرى1977-200

البلديات	1977	1987	1998	2001	2008[1]	نسبة النمو (2008-98)
تقرت	16400	23978	32940	36446	40378	2.1
النزلة	19600	27178	40524	46025	51674	2.5
تبسبست	13800	18268	29840	34890	35032	1.6
الزاوية	6400	9546	15381	17905	19993	2.7
مجموع	56200	78970	118685	135266	147077	2.2

المصدر: Annuaire statistique de la wilaya de Ouargla2001

[1] 5éme Recensement général de la population et de l'habitat 2008 .Wilaya de Ouargla N°527/30



الشكل (10) منحنى بياني لتزايد السكان في مدينة تقرت

في ظرف أربعين سنة الماضية تضاعف المجتمع في هذه المدن تضاعف سكان مدينة تقرت كان جد مهم من سنة 1960 إلى 1998 يتضاعف عدد السكان ست مرات وفي الولاية ورقلة يتضاعف 15 مرة في نفس المدة إحصاء (1998 الديوان الوطني للإحصاء) الدافع الأول والهام لهذه الزيادات يرجع إلى الزيـــادة المفرطة في المواليد من جهة، كباقي جهات الوطن وأيضا يعتمد على قوة جــذب سكاني هام من مختلف مناطق الوطن بحثا عن التشغيل، كما لعب تمـــدين البـــدو دورا كبيرا في تضخيم هذه الزيادات الطبيعية وغير الطبيعيـــة، جـــداول النمـــو السكاني لولاية ورقلة أحياء وبلديات مدينة تقرت توضح هذه الزيادات.

جدول (06) **الهجرة بين البلديات في تقرت**

البلديات	لم يغيـروا بلديـة إقامتهم بين87 98	ســكان دخلــوا م بلــديات أخرى بين 87 98	سكان غادروا نحو بلديات أخرى بين87 98	النتيجــة + أو−
تقرت	20126	1473	4212	− 2739
النــزلة	22313	3218	1302	+ 1916
تبسبست	17113	2165	1190	+ 995
الزاوية	8457	977	227	+ 750

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء ONS RGPH 1998 N° 33

من هذه الجداول نستنتج الأعداد من السكان التي تنمي في كـل عشـرية سكان مدينة مثل تقرت سواء عن طريق المواليد أو الهجرة التي انقلبت اتجاهاتها من الشمال إلى الجنوب. تاريخيا، فقد ساهم الرحل دوما في تجديد سكان الواحات والمدن الصحراوية، لكن هذه المرة وابتداء من الســتينيات وكثمـرة للاســتقلال وتحديث الحياة كان هذا التمدن شامل ونهائي بنسبة كبيرة، على هامش المدن ثـم داخلها والاندماج في النشاطات الجديدة والمصادر الجديدة للدخل[1]، حتى وإن أبقى البدو على علاقات اجتماعية واقتصادية تربطهم بعالم الريف والبداوة، إذ بنهايـة

---

[1] **Jean BISSON,** 1983, ibid. p 43

النشاطات التقليدية، الرعي والنجع يجبر السكان علـــى تغييـــر طـــرق حيـــاتهم والانضمام تدريجيا إلى حياة المدينة، ولاندماج في النشاطات الجديدة والمصـــادر الجديدة للدخل والاستفادة من الخدمات والتوزيع منذ سنوات الستينيات حتى نهاية السبعينيات، نسبة الرحل في مدن ولاية ورقلـــة مثلا تنخفض مـــن 40% إلـــى 10% إذ يتمدن ثلاثة أرباع الرحل في الولاية[1] هذا التضاعف والتحول تم أيضـــا على مستوى المجال، وصل حده الأعلى إلى التهام تجمعات حضرية كانـــت فـــي الزمن القريب متجاورة (قصور النزلة،الزاوية العابدية، تبسبست) لتصبح مدينة واحدة متلاصقة تؤلف نسيجا عمرانيا واحدا مدينة متعـــددة المجموعـــات والشرائح والهويات.

جدول (07) الهجرة من وإلى الولايات الأخرى بين 87 – 1998

البلديات	غادرو إلى ولايات أخرى	دخلوا من ولايات أخرى	نتيجة + أو –
تقرت	1875	1586	– 289
النزلة	146	1437	+ 1273
تبسبست	92	935	+ 843
الزاوية	56	569	+ 513
الدائرة	2169	4527	+ 2358

المصدر:الديوان الوطني للإحصاء : ONS RGPH 1998 N° 331

[1] الدليل الإحصائي لولاية ورقلة 2001.

هذه الكيانات تتناسب مع انتماءات جهوية متعددة، نمــوذج متراكــب لـــه تمظهرات اجتماعية متعددة ومتنوعة وأشكال من التنظيم الاجتمــاعي المتمـــايز، لتأخذ صورة الجنوب الشرقي المطبوع بالمحروقات، بمركباته الأصيلة والجهوية والوطنية، بين البدو المتدنين حديثا، والسكان ذوى التقاليد الحضـــرية العريقـــة، المتأثر بالشبكات التجارية النشطة حوله، وسوف و وادي ميزاب. ظاهرة العمران والتعمير في طور الإنجاز دائما غير متساوية ولا متماثلة.

2.2. التعميرالحديث و تحول معاييرالتنظيم العمراني.

في أغلب الأحيان حاليا تأخذ المرفولوجية المجالية للمدينة الصحراوية شـــكل انضمام Agrégation لعدة أنسجة تتماثل مع أربعة فترات تاريخيـــة لتطـــور العمران:

1. القصر أو المدينة التقليدية التاريخية و التي تؤلف نواة المدينة.
2. المدينة أو الإضافات الكولونيالية حول المدينة القديمـــة أو علـــى جانبها.
3. الأحياء العشوائية التي ميزت الفترة الأولى للاســتقلال أو التـــي ضمت تثبيت البدو الرحل.

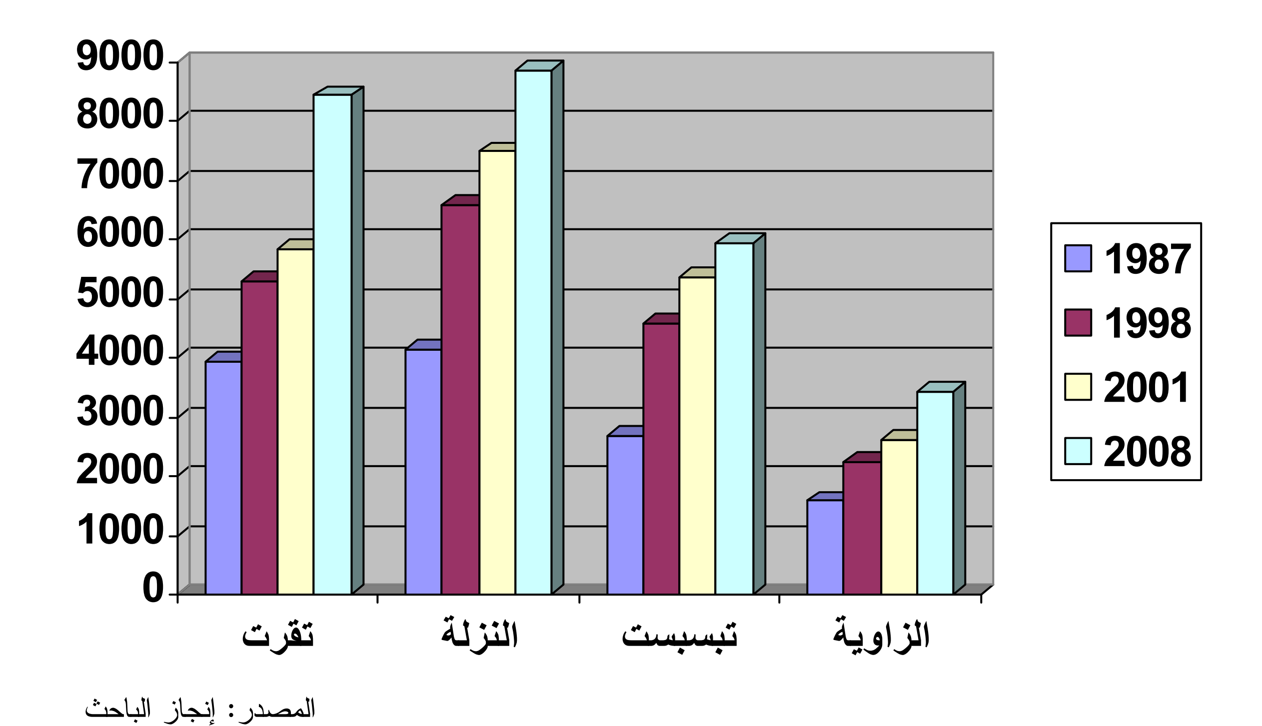
4. أحياء التعمير المبرمج في إطار البرامج السكنية المختلفة من سكن فردي ذاتي وسكن جماعي ونصف جماعي.

ومن ملاحظة جدول تور حظيرة السكن في المدينة يمكن أخذ فكـــرة عـــن الديناميكية العمرانية المتزايدة والتي تتناسب مع الديناميكية الديمغرافية في المدينة في العشريات الأخيرة:

جدول (08) تطور حظيرة السكن في دائرة تقرت الكبرى

البلديات	1987	1998	2001	2008[1]
تقـــرت الوســـط	3936	5287	5850	8432
النزلــــــــة	4147	6590	7485	8868
تبسبســـــت	2683	4594	5371	5951
الزاويــــــــة	1583	2251	2620	3435
المجمــــوع	12349	18522	21326	26668

المصدر : Annuaire statistique de la Wilaya de Ouargla 2001



المصدر: إنجاز الباحث

شكل (10) مخطط بياني لتطور حظيرة السكن في دائرة تقرت الكبرى

[1] 5éme Recensement general de la population et de l'habitat 2008 .Wilaya d'Ouargla N°527/30

هذه النماذج تطورت برتمية مختلفة و بمنطق مختلف، القصور تتمحـــي، المنازل التقليدية الواسعة تختفي لصالح سكنات فردية أو فيلات تأخذ شـــكل مـــا يجري في الشمال المراكز القديمة تتدهور في صالح مراكز جديدة أو بـــؤر مـــن الفقر في قلب المدينة.

مدينة تقرت لا تختلف عن هذا النسق العام ، في أصـــل المدينـــة الحـــي التاريخية مستاوة، إلى جانب القصور المجاورة ، النزلـــة ،تبسبســـت ، الزاويـــة أصبحت في قلب المدينة نتيجة التوسع مما يعطينا مدينة واحدة ذات أربع أنويـــة رئيسية قديمة هي الآن مقر ل 04 بلديات نتيجة التقسيم الإداري لســـنة 1984م ، والذي بموجبه ارتقت هذه الأحياء لتؤلف بلديات مستقلة إداريا لكنها مدمجة فـــي نسيج مدينة واحدة هي مقر دائرة. هذه الظاهرة النادرة في تســـيير المـــدن فـــي الجزائر حيث تتقاسم أربعة مجالس بلدية النسيج العمراني لمدينة واحدة.هي فـــي الحقيقة وحسب ملاحظاتنا واستقصائاتنا الميدانية هذا التنظيم هو استجابة لدواعي انتخابية اجتماعية فرض في ظروف معينة.

جدول (09) **توزيع السكنات المشغولة حسب نوع السكن في دائرة تقرت**

	سكن جماعي	سكنات فردية	سكنات تقليدية *	أخرى	مؤقتة أو بناية قصديرية	غير محدد	المجموع
تقرت	980	3839	755	17	65	126	5782
النزلة	382	4859	1272	03	10	151	6777
تبسبست	945	3740	14	0	0	61	4760
الزاوية	22	2433	32	0	0	19	2506
المجموع	2329	14871	2028	20	75	357	19825

المصدر : : 5éme Recensement general de la population et de l'habitat 2008 .Wilaya de Ouargla N°527/30

3.2. التدهور الحتمي للقصور القديمة ونشأة الأحياء الحضرية.

القصر كشكل تقليدي للسكن ولتنظيم المجال، هو الآن في بؤرة التحول يطرح تحوله الكثير من التساؤلات حول مصيره، باختفائه يختفي وللأبد شكل هندسي مليء بالدلالات والدروس المعمارية. بالرغم من الإحصائيات التي تشير إلى أكثرية السكن من النوع التقليدي في بلديات النزلة والزاوية وتبسبست إلا أن حقيقة هذه الأرقام تشير إلى سكن متدهور تعرض إلى العديد من الإصلاحات

والتدخلات أفقدته صيغته التقليدية، أصبح فقط سكن قديم، ربما لأن الإحصـــائيات الرسمية المطبقة في الميدان لاتفرق بين مصطلحي السكن التقليــدي، ومصـــطلح السكن القديم في أحياء الإمتدادات العشوائية التي تمت أثناء فترة الإحتلال، والذي بالرغم من إحتوائه على عناصر هندسية أو عملية من السكن التقليدي لكنه لايعبر إلا على فترة الفوضى العمرانية التي شـــهدتها المدينـــة عنـــد نهايـــة الإحـــتلال والسنوات الأولى للإستقلال.

إن مسار تدهور القصور القديمة والمدينة التاريخية في تسارعه يشـــير فـــي نفس الوقت إلى نوع من المقاومة وإن كانت ضعيفة ودون وسائل مادية، حتميـــة توسع الأنسجة الجديدة وخصوصية الواقع المحلي الجديد وبشكل عام على مستوى الصحراء، أصبح السكن التقليدي يمثل نسبة هامشية أكثر فأكثر مما يعكس تدهور القصور، في مدن الجنوب هذا النموذج من السكن هو في الواقـــع الآن لا يمثـــل سوى(3%) من حظيرة السكن (أدرار، بشار، بسكرة، الوادي) فقط ورقلة بقـــي هذا النوع يعادل(35%) من حظيرة السكـــــن وفي تقرت الكبـــرى (17.7%) ومن أربع حالات من مصير قصور الجنوب وهي: محاولات المحافظة، التدهور التدمير النهائي. يمكن ان تنطبق حالتين على قصور مدينة تقرت.

توضح وضعية المدينة التاريخية مستاوة مستقبل الأنسجة التقليدية، فقد حطم جزء منه في العهد الاستعماري بما فيه قصر السلطان الذي وضعت في مكانه ثكنة عسكرية ومنذ ذلك الحين يشهد تدهورا مستمرا نتيجة خروج المدينة عن أسوارها وبداية التعمير الجديد. نتيجة هجرة سكانه تدهور سكناته وغياب الترميم قامت السلطة المحلية بعدة مشاريع إسكان لعائلاته لكن بمجرد خروج السكان يعوض هؤلاء بسكان جدد في الثمانينات وذلك تحت ضغط أزمة السكن موجات من الهجرة إلى المدينة من الضواحي والبدو الرحل وأيضا النمو الديمغرافي الكبير، وانتهت بتدهوره النهائي وتحطيم عدة أجزاء منه بقرار من السلطات المحلية بعد أن وحد معظم السكان للاستفادة من سكنات إجتماعية أو في إطار السكن الريفي أو السكن التطوري.

بقيت فقط بعض الكتل والتي تقع على حواف شوارع رئيسية حالته في وقت تهديمه بقيت به 108 عائلات أي 820 من السكان في 155 مسكن منها 52 مهجورة، و70 منها تظهر حالة متقدمة من التدهور هذا القصر برمج كونه يقع في وسط المدينة تقطعه محاور كبيرة عرضا وطولا ليتم إدماجه في هيكلة المدينة الجديدة، وما تم الحفاظ عليه هو فقط المسجد الكبير والمساجد الصغيرة التي اعيد

ترميمها وأيضا مقر الزاوية الهاشمية عليها وحدها فقط أن تذكرنا بعظمة عاصمة بني جلاب[1].

القصور المجاورة والتي من ضمنها قصر النزلـة والتـي أصـبحت الآن نتيجة توسع المدينة ضمن النسيج العمراني للدائرة الكبرى وبالرغم مـن أن كـل منها مقر بلدية، تشهد تدهورا كبيرا وتحولا عميقـا نلاحـظ أن معظـم السـكان استفادوا من سكنات جديدة في أحياء مختلفة، والعائلات التي استفادت من السـكن لم تتحول في مجملها بل احتفظت بسكناتها القديمة والتي بقي فيهـا جـزء مـن الأسرة أو قامت بكرائها لأسر أخرى لم تستفد من السكن أو سكان أكثر فقـرا أو القادمين الجدد من التل أو من الأوراس أو من أحواز المدينة، وأصـبحت مثـل حالة النزلة القديمة إلى مقاطعة حقيقية للفقر.حالة النزلة تعد أحسن تمثـيلا لهـذا الوضع.

إن كثافة هذه القصور كانت مسؤولة عن جزء كبيـر فـي هـذه التـدهور وإضعاف مساكنها، عرفت النزلة، وتبسبست كثافة كبيرة حتى قبـل الاسـتقلال، النزلة (4187) سكن مصنف تقليدي أي (83.9%) مـن حظيـرة السـكن،

[1] معاينة ميدانية للحي في مارس 2008.(الباحث).

تبسبست (2553) أي(66.7%) إضافة إلى صعوبة المسالك وضيق الأزقة التي لم تعد تتماشى مع الحركة الجديدة وسائر المواصلات وغياب الصيانة وصعوبة الربط بشبكات التصريف وأيضا المواد المحلية التقليدية الضعيفة المقاومة ففي فيضانات 1969-1990 تضررت هذه القصور كثيرا.

4.2. مخططات التعمير والتهيئة الجديدة.

السياسات العمومية للتعمير مطبوعة بمنطق جماعي تلجأ إلى أدوات التسيير العمراني، مخطط شغل الأراضيPOS [1] و مخطط التهيئة العمرانية التوجيهي PDAU[2]، والمتعلقة ببرمجة الأراضي المراد تعميرها، أهدفها إدماج مجالات عمرانية موجودة ضمن النسيج العام، وتوزيع السكن والتجهيزات من خلال محاور كبرى للاتصال والمواصلات التي تلعب دور المهيكل للأنسجة العمرانية. الأنسجة القديمة (الموجودة قبل المخططات) فقد تم حصرها، وأصبحت موضوع تدخلات مختلفة بوضع شبكات من الطرق والمسالك، ومحاصرة المدينة الموجودة والأحياء العشوائية لتجنب توسعها والسماح بإنشاء القنوات. وأيضا تنظيم التوزيع

[1] POS عدد البرامج المنطلقة في ولاية ورقلة 78 أنجز منها 54.

[2] PDAU عدد البرامج المنطلقة في ولاية ورقلة 16. 2001 Annuaire statistique de W Ouargla

العقاري في إطار برامج السكن التي توزع بين السكن الجماعي(collectif)
والسكن الفردي، وتسمح بالتأطير المجالي لرسم خطوط مركزية حضرية.

هذا التسيير التقني للمدينة لا يسمح إلا بهامش صغير لا يلاحظ من المشاركاتية والتشاور مع السكان، وتبقى عملية بلورة المشاريع داخل أجهزة التسيير والقرار البعيدة عن السكان وحتى المجتمع المدني المؤطر في الجمعيات لم نجد في برامجه اهتمام بهذا الموضوع.مراكز مدينة جديدة تظهر، جعلت القصور القديمة بقيت للخراب تحتفظ فقط بوظيفة رمزية، و المدينة توجهت لتحيا على الشريان الرئيسي المار بجانب القصور القديمة على طوله ترصفت كل مشاريع البناء والتجديد والتحديث والتخطيط، يمر هذا الخط من الزاوية مرورا على تبسبست ثم تقرت وانتهاء بحي عين الصحراء في النزلة، على نفس منطق خط وادي ريغ، وظهرت مراكز مصغرة إضافة إلى مركز المدينة تقابل كل قصر قديم بها كثافة تجارية، مقاهي، ساحات وكثافة حركة. مما يمثل المحور المركزي للمدينة.إن إعادة إنتاج شبكة عمرانية جديدة داخلية استلهمت من الوضع القديم.

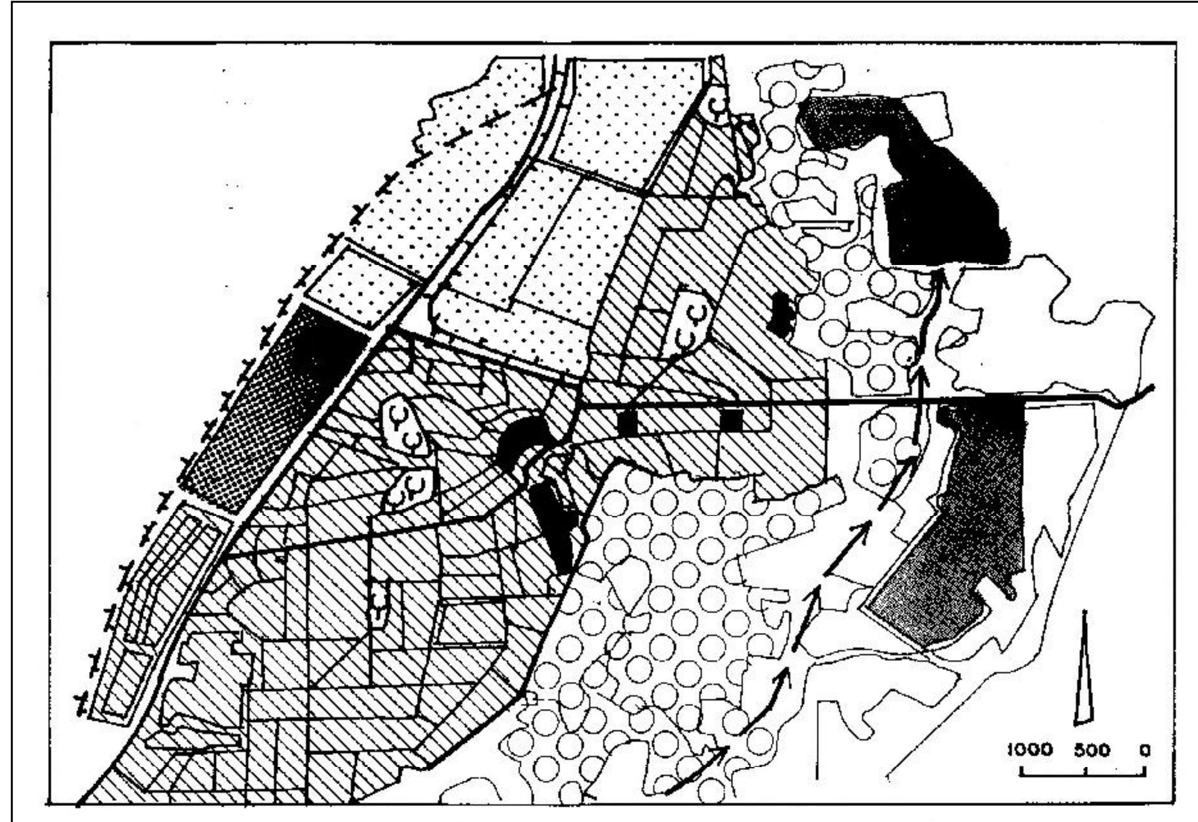
وضعت تخصيصات لأراضي جديدة، زاحمت الصحراء، والشطوط وتوسعت في كل اتجاه مع دفاتر شروط خاصة وطرق بيع مقننة سجلت ضمن برامج جديدة مختلفة مثل ما وقع في مدن الشمال قبل 15 أو 20 سنة، التطور العمراني أدخل إستراتيجيات سكنية جديدة شجعته السياسة العمومية ساهم في بناء هويات اجتماعية جديدة[1] ، المدينة اليوم تتوفر على أحيائها السكنية الراقية الفيلات المنجزة بهندسة مختلفة كان الهاجس الكبر في إنجازها هو إبراز الثراء مثل شارع " الكويت" الذي أصبح يرمز إلى هذا النوع من السكن الراقي أين تجمع فيه العديد من أثرياء السوافة الذي يرمز إلى نجاحاتهم التجارية والبرجوازية الصغيرة المتنامية، بهذه الأجنحة الجديدة تتطور المضاربة العقارية تؤدي إلى ظهور أحياء متمايزة اجتماعيا من جهة المنازل والفيلات الكبيرة التي تعكس التنمية الاجتماعية الجديدة وأسلوب الحياة الذي تبناه.

النموذج الأكثر انتشارا هو السكن الفردي الذي يمثل(54%) في الولاية من حظيرة السكن في أجنحة عمرانية جديدة (لكل بلدية من البلديات الأربع فضاء توسعها) في أغلبها مشاريع مدنية منازل غير مكتملة في معظمها ذات طابق أو طابقين في أحياء متمايزة يظهر ذلك من سعر المتر المربع، وسعر المنازل (سعر

[1] **Said BELGUIDOUM** : « *Urbanisation et urbanité au Sahara* » in Méditerranée, Revue géographique des pays méditerranéens n° 3-4 -2002 ; p 36.

المنزل في حي الرمال مثلا يمكن شراء بثمنه 4 مساكن في حي عين الصحراء بنفس المساحة ونفس مستوى البناء) هذه التوسعات على طول المحاور في هندستها معظمها مستلهمة من الشمال لكن مع تطعيمها بعناصر أساسية من السكن التقليدي كالحوش التي تفرضه الظروف الطبيعية، هذه المنازل للمرأة دور كبير في تخطيطها وتوزيع عناصرها. وأيضا الملاحظة العامة أن التأثيرات الجهوية وأصل ساكنيها في التركيب الاجتماعي للمدينة تأثر كبير في توزيعها ومظهرها، هي منازل مهيأة للتوسع عموديا حسب حاجة الأسرة للتوسع خاصة بعد زواج الأبناء، هذا التوسع سمحت به طبيعة مواد البناء الإسمنتية والحديد، عوضا عن التوسع القديم الذي كان يتم أفقيا في متسع من الأرض.

مساكن عائلية في معظمها أنجزت بتكاتف جهود الأسرة من توفر وادخار ومساهمة الأبناء الكبار وأيضا في كثير من الأحيان بيع مجوهرات الزوجة، وعمل الأبناء، المسكن القديم يتم كرائه أو استعماله في وظائف تجارية ليساهم مدخوله في توسيع المنزل الجديد وإتمام بناؤه هذه الأشكال من الممارسات هي العنصر الغالب الآن في المظهر العمراني الجديد.



المصدر : Allaoua AMMICHE " L'espace urbain de Touggourt (Oued Righ) Etude d'aménagement Thèse de Doctorat ,université de province , p. 51 .

بنايات موجودة	مقبرة
مناطق التوسع	شوارع رئيسية
نخيل	سكة حديدية
منطقة عسكرية	سكة حديدية (مشروع)
منطقة شطوط	قناة وادي ريغ
قصر	

الشكل (11)الخريطة العمرانية لمدينة تقرت

مناطق توسع المجال العمراني في مدينة تقرت بصفة عامة، هذه التوسعات انطلقت من المدينة التاريخية مستاوة في اتجاهات الشمال والجنوب أساسا استجابة للحاجة الجديدة في ربط المدينة بمحاور المواصلات المتجهة أساسا من الشمال للجنوب (بسكرة ورقلة) وأيضا نحو الشرق (الوادي سوف) موازية بذلك المنطق البيئي لاتجاه وادي ريغ - عن قصد أم غير قصد - النتيجة هي التهام المدينة المتوسعة للقصور القديمة لتحويل النسق العمراني التقليدي (مدينة تجارية تقليدية وقصور مجاورة) إلى نسق مدينة ذات أحياء ترتب داخلها المستويات الاجتماعية والانتماءات من خلال حي الإقامة، هذا النسق الجديد جعل من أحياء الوسط (بلدية تقرت) أحياء ترمز اجتماعيا لعائلات المجاهرية أو بعض العائلات من المتمدنين قديما أو من النخب الاجتماعية الجديدة من موظفين. أما الأحياء التي تحولت إلى بلديات فهي النزلة و تبسبست و الزاوية والتي تملك هي الأخرى أنويتها القديمة وتوسعاتها الخاصة بها يسكنها بالأساس الحشاشنة أو بعض العائلات من السوافة أوالطيبات أو سعيد أولاد عمر أو أولاد نايل، أما الأطراف الشمالية أو الجنوبية أين تثبت أكثر البدو وشكلوا أحياء خاصة بهم بالنسبة للنزلة (حي عين الصحراء) وبالنسبة للزاوية (حي 5 جويلية).

هذه الوضعية الجديدة من توزيع المجموعات الاجتماعية لا يمكننا أن نكتشف مسبباته إلا من خلال معرفة مسبقة بتاريخ وعلاقة مختلف المجموعات الاجتماعية بالمدينة وبأحيائها، عائلات وسط المدينة تحولوا من ملاك النخيل وتجار إلى موظفين إداريين، والحشاشنة من فلاحة النخيل إلى عاملين في المؤسسات الوطنية وبذلك تطلب منهم الأمر التوسع في اتجاه المدينة التي زحفت هي الأخرى نحو قصورهم أما البدو المتمدنين فاختاروا إما التوغل في النسيج العمراني في شكل عائلات انفصلت على الأقل فزيائيا عن الكتل الاجتماعية لمجموعاتهم التي تثبتت في أطراف المدينة في الأماكن التي كانوا ينصبون بها خيامهم عندما كانوا عمالا موسميين في جني التمور، وأفضل حرفهم الآن هي النقل.

3. وظائف العمران الجديدة وتحول هيكلة النشاطات.

إن تحول المجال الإقتصادي في مدينة تقرت ومدن الجنوب الشرقي عامة يتميز بطرق جديدة للإنتاج الإقتصادي وأيضا بتوزيع جديد للثـــروات والعائـــدات بين مختلف الشرائح والمجموعات الاجتماعية، إن تدخل الدولة الوطنية كمـــنظم، بل مصْدَر لجل الأنشطة الإقتصادية المحلية، وحلول قواعد إقتصاد السوق وفـــتح المجال لعديد الأنشطة الاقتصادية والتجارية والخدماتية. نظام الأجور، التحـــول في المجال الفلاحي التقليدي، هذه العناصر هـــي التـــي تخلـــق فضـــاء المدينـــة الإقتصادي اليوم المتميز بتحول المجموعات الاجتماعية وإعادة توزيع الأنشـــطة الإقتصادية وبالتالي إعادة توزيع الثروة بين المجموعات وبالتالي إعـــادة تشـــكيل اجتماعي تظهر خلاله نخب جديدة وعلاقات اقتصادية جديدة يكون أثرها واضحا في المجال العمراني وعلى المجموعات والعلاقات الإجتماعية في المدينة.

1.3. بروز الطبقات الوسطى والعمل المأجور.

هذا المجتمع ذو النشاط المتزايد، ونظام الأجور المتنامي، توزيع النشاطات فيه سنة 1998 توضح التحول في الهيكلة الاقتصادية، نلاحظ أن بنية النشاط في مدينة تقرت متماثل تقريبا مع الشمال (28%)، نشاط المرأة أيضا (12.7 %) هو أعلى من المتوسط الوطني(9.6%) وهو دلالة أيضا على التقاليد الحضرية

القديمة لمجتمع الواحات بخلاف البدو الرحل المتمدنين. توزيع النشاط بالنسبة لسنة 1980 مثلا، الزراعة(24%) من اليد العاملة النشطة في مقابل(50%) وطنيا،والصناعة(18.7%) في مقابل(10%) وطنيا والأشغال العامة(19%) في مقابل(16%) والخدمات (38%) في مقابل (23%)، هذه الأرقام[1] تعطي دلالة واضحة على المستوى من هيكلة النشاط السريع التحول نحو الصناعة والخدمات، ومن الواضح أن الوظائف الحكومية المرتبطة بالثلاثي الإدارة والخدمات والقطاع الاستخراجي والبناء أصبح لها دور مهم في توزيع النشاطات، إن أهمية قطاع التشغيل هذا والذي نسبته الكبرى من الإطارات المتوسطة والعليا يسمح بضخ حجم نقدي مهم في مسار اقتصاد المدينة والمنطقة يقوم بدوره بدفع النشاطات الأخرى ويمكن أن نقدر مداخيل الأجور بثلاثة أرباع السكان النشطين[2] وإذا كانت قاعدة المحروقات في حاسي مسعود على بعد 160كلم فهي محفز كبير على النشاط الاقتصادي والخدماتي في المنطقة، المنطقة الصناعية في مدينة تقرت كونها نهاية خط السكة الحديدية القادم من الشمال الشرقي يمر ببسكرة تضم مؤسسات مصغرة وقاعدة لوجستيكية وإمداد لسوناطراك. كما يبقى النشاط الفلاحي التقليدي بزراعة النخيل حاضرا كنشاط إقتصادي في التوسع عبر

[1] الديوان الوطني للإحصاء، الإحصاء العام للسكن والسكان RGPH سنة 1998.

[2] مصلحة الجباية، تقرت 2008.

محيطات فلاحية جديدة نتيجة تدعيم الدولة في السنوات الأخيرة لكنه يعني من عزوف اليد العاملة الشابة على الإنخراط فيه.

مع تحول هيكلة النشاطات المأجورة و الاقتصادية، تتشكل مجموعات اجتماعية هامة العدد تتموقع بين النخب الاقتصادية للقطاع الخاص و بقية المجتمع، إنها الطبقات الوسطى التي تجمع الإطارات المتوسطة والعليا و التي مصدر رزقها قطاع الدولة و التي احتلت مكانة حقيقية و هامة في المظهرية الاجتماعية الجديدة. ينتمي هؤلاء إلى النخب الاجتماعية الجديدة من خلال أهمية و ضعيتهم الاجتماعية السياسية والرمزية و الثقافية التي تعوض لهم المداخيل الاقتصادية، إن مداخيلهم المؤمنة برأسمال ثقافي و شهاداتي، من 14 إلى 20 % من السكان النشطين في المنطقة، تتمتع بمستوى دراسي وتعليمي وخبرة مهنية من 2 إلى 4 % منهم مستوى جامعي هذه الأنواع الجديدة من المجتمع تساهم و بدرجة كبيرة في إدخال أنماط جديدة من الحياة.

إن التأطير الذي تم تأمينه من أفراد قادمين من الشمال في السنوات الأولى من الاستقلال عوض تدريجيا بنخبة محلية و إطارات ولدت بالمدينة نتيجة الجهد الكبيرللدولة في مجال التعليم والتكوين باستثناء بعض العائلات من النخب

المحلية التقليدية و التي اكتسب أبناؤها التعلــيم ضــمن المــدارس الفرنســية و استطاعوا التموقع في الإدارة المحلية و الوظائف الحرة مبكرا، معوضين بــذلك النقص الكبير الذي شهدته مدن الواحات من الإطارات المتكونــة فــي ســنوات الإستقلال الأولى. وأيضا بعض النخب التي تكونت نتيجة نشاط المدارس العربية الحرة والتعليم القرآني التقليدي، هؤلاء كانوا المصدر الأول الذي اعتمــد عليــه النظام التعليمي في الستينيات والسبعينيات، إتجه معظم هؤلاء المتعلمين بالعربيــة أصلا إلى التعليم خاصة في مراحله الأولى، كما تم تعيمهم بمعلمين وأساتذة عــن طريق التعون الدولي. أما أبناء البرجوازية القديمة (المجاهرية) نتيجة تكــوينهم المبكر وإطلاعهم على اللغة الفرنسية توجهوا وبقوة نحو الإدارة و المهن الحــرة التي تحتاج إلى الإطارات العليا (مكاتب الدراســات، عيــادات طبيــة خاصــة، صيادلة...).

إن حركية النخب والطبقات الوسطى لم تحجب أعداد كبيرة من السكان مــن الوسط الشعبي وأنماط الفقر الجديدة. إن الأجور وحجم العائلات الكبير والنســبة الضعيفة للتشغيل والنشاط والأمية المتجذرة خاصة في أوساط البدو الذين تثبتــوا حديثا تجعل في كثير من الأحيان وهو الغالب عائلة من 6 إلى 7 أفراد تعتمد في معيشتها على أجرة واحدة لعامل بسيط أو عون خدمات أو موظف إدارة أو معلم.

إن اقتصاد البترول القريب من المنطقة وإن كان يلعب مهم في توزيع حجم نقدي مهم، لكن وظائفه في أغلب الأحيان مؤقتة (80% من الوظائف في هذا القطـــاع مؤقتة) وتعني وبصفة كبيرة وظائف لا تشترط نوعي من التكوين (نوعية التكوين والشهادات) أما التقنيين والمختصين يأتون في أغلب الحالات من الشمال. بالرغم من حركية القطاع الاقتصادي بالمنطقة والمدينة بالخصوص، فإن نسبة البطالـــة مرتفعة 30% في المتوسط. وهو العامل الذي يغذي وضعية الفقر والـــذي لـــم ينجح قطاع التهريب و" الطرابندو" والعمل غيـــر الرســـمي المتعـــدد الأشـــكال والمستويات أن يمتصها. هذه الوضعية المتشابهة في كل الوطن تضعف مجموعة كبرى من السكان ينعكس هذا مباشرة إلى اللجوء إلى التضامن العائلي والتعـــايش في نفس المسكن لعدد كبير من الأسر والاعتماد على الأبناء وفي أغلب الحـــالات على الابن الوحيد الموظف باقتسام مداخيله وهي حلول أقامها الوســـط الشـــعبي لتوصل إلى تغطية جزء من الحاجيات الأساسية وبصعوبة كبيرة. وبهذا نشأ إلـــى جانب الهيكلة الاجتماعية العمودية أي المعتمدة على التدرج الاقتصادي العمـــودي هيكلة أفقية مصدرها التضامن العائلي الأفقي منطق ذو مصـــلحة اقتصـــادية. إن الحقيقة الحضرية والتي تطمح إلى إذابة أو التخفيف من الروابط السلالية وإعـــادة تركيب النسيج الاجتماعي، (نظريا) فمن المؤكد آن التضامن والتـــآزر العـــائلي والقبلي يخفض بالكثير من فعاليته وديمومته وتأكيـــد وجـــوده، ويتمفصـــل مـــع

تدرجات اقتصادية بشكل ذكي، خلق تمايزات في الثروة وطـرق أنمـاط الحيـاة ومسارات لهويات اجتماعية مركبة ومعقدة.

2.3. المدينة التجارية، إقتصاد النخب الجديدة.

إذ أن الملاحظ في المنطقة أن المصدر الرئيسـي للثـروة بالمنطقـة يرتبط أساسا بالتراكم في المجال التجاري[1] . المجال التجاري الذي ينشـط فـي المواد الغذائية، مواد البناء، الألبسة، أو الأدوات الكهرومنزلية، شـبكات كبيـرة تضمن تموين الأسواق الأسبوعية متصلة بمصادر تموين وطنية ودولية، كانـت السبب في تراكم ثروات ضخمة الأصحابها، خاصة التجار " السـوافة " و" بنـي مزاب"، بالإضافة إلى بعض من الأرستقراطية المحلية القديمة. في الغالب نجد أن تجارة الجملة تمثل من 8إلى 25 بالمائة من النشاط التجاري في مدن الصـحراء المنخفظة، وتشغل من 1 إلى 5 بالمائة من الفئة النشطة[2].

---

[1] **Said BELGUIDOUM** *<u>(les groupes sociaux dans la ville</u>)* in: **Marc COTE** (sous la direction de) *« <u>la ville et le désert le Bas-Sahara algérien</u>* » Karthala et IREMAM Paris 2005. P 216.

[2] [2] **Said BELGUIDOUM** : idem.p 216.

من التجارة الصغيرة إلى الشبكات الجهوية الكبـــرى وحتـــى الوطنيـــة، وظاهرة التهريب الحدودي عبر حدود ليبيا وتونس، مع نهاية التجارة التقليديـــة، الحركة التجارية عرفت إعادة تفعيل بإدخال حركية تجارية تتأقلم والواقع الجديـــد للإقتصاد العام تميزت بمستويات، تجارة صغيرة تتوزع على الأنسجة الحضرية، الساحات التجارية الجهوية، والشبكة التجارية ذات المقياس الكبير، بالإضافة إلى قطاع كبير غير رسمي لا يمكن تحديد أبعاده، يمكن إحصاء تجارة واحدة صغيرة لكل 23 ساكن بمدينة تقرت (حسب مصالح الجباية) ممـــا يضـــاعف النشـــاط الخدماتي والفعالية الإستقطابية للمدينة، المستوى الثاني المتميز بالنشاط التقليـــدي للسوق الأسبوعي الجهوي بالمدينة تطور بإنعاشه بواسطة تجار كبار مـــن وادي سوف وبني مزاب الذين يسيطرون على شبكات واسعة من التجارة في الصحراء.

هذه الشبكات التجارية الناجحة، كانت نتائجها في مدينة تقـــرت واضـــحة حسب تحليلنا على عدة مستويات:

- أولا على المستوى الاجتماعي حيث ساهمت في تدعيم وخلق نخب اجتماعية جديدة، ترقت اجتماعيا بواسطة الكسب التجاري، السوافة مثلا، ثم تبعهم بعض العائلات من الطيبات، نلاحظ ذلك في تغير أنماط ســكنها وتحركهـــا فـــي المجال الإقامتي وأيضا تحول شبكات المصاهرات.

- ثانيا على المستوى المجالي للمدينة حيث دعمت هذه الشبكات التجارية تحول المدينة من الإنغلاق نحو المركز الذي طالما عرفته المدينة والقصور المجاورة لها، إلى الشكل الخطي المتواصل الذي يتبع الشوارع الممتدة المليئة على جوانبها بأنواع المحلات التجارية، وخلق مراكز مدينة متتابعة تتوازى مع إمتداد المدينة شملا /جنوبا. كما أستثمر أصحابها في المضاربة العقارية.

- ثالثا على المستوى الإقتصادي، إذ جعلت من مجموعات اجتماعية معينة نتيجة النشاط التجاري تتحكم في ثروات هامة، تم تحويل جزء كبير منها إما للصناعات الصغيرة، حيث تكونت بفضلها نوع من البرجزوازية الصناعية الصغيرة، نلاحظها عند السوافة مثلا تركزت في منطقة النشاط في المخرج الشمالي للمدينة، تخصصت في صناعة مواد البناء، بعض الصناعات الاستهلاكية تمثل الأن نسبة 14% من القطاع الخاص في تقرت بحوالي (350) مؤسسة.

المقاولين في مجال البناء والمرقين العقاريين، يمثلون مركبا آخر لهذه البرجوازية الحضرية الجديدة، تمكنوا من جمع ثروات معتبرة من جراء السوق العقاري العمومي والبناء والإنجاز، حيث أخذوا على عاتقهم إنجاز العديد من برامج السكن الجماعي والتجهيزات العمومية المختلفة، إذ ومنذ التسعينيات ومع

تطور سوق الترقية العقارية فتحت لهم آفاق جديدة للعمل ومراكمة ثروات ضخمة مستفيدين من انسحاب الدولة من مجال الانجاز، أيضا مقاولات أخرى تخصص أصحابها في التنقيب عن الماء وحفر الآبار ومد شبكات السقي للمحيطات الفلاحية.

3.3. الريف والمدينة وآليات تحول النشاط الفلاحي الجديد.

زراعة النخيل إنها تعيش تحولات، بجانب إنتاج التمور الذي يبقى نشاطا رئيسيا (بالرغم من تدهور النخيل المرتبط بتوسع البناء) وبالرغم من أن النشاط الزراعي لم يعد يحتل مكانا أساسيا في سلم النشاطات إذ أصبح في عموم الحالات نشاطا مكملا للمداخيل، إلا أن الزراعة تلعب دورا مهما في تدعيم المداخيل وأيضا في وظيفة هوية هذه المنطقة.

نلاحظ في واقع الحال أن نظاما عائليا للنشاط المتعدد يؤسس ضمن الأسرة تواصل فيه الزراعة الموروثة من الآباء الإمداد بالمداخيل السنوية المتداخلة مع النشاطات الأخرى تجارية أجور كراء محلات، توسع من مداخيل العائلة، بالإضافة إلى الإستصلاحات الجديدة التي أتت في مراحل مشاريع حكومية مختلفة والتي تعد بإعلان نوع جديد من الزراعة. بصفة عامة فإن النشاط الزراعي

مرتبط بالاقتصاد وبالمجتمع في المدينة، تغذي الأسواق الحضرية، وتسمح ببقـاء صناعة تقليدية وتجارة خاصة وبصفة أخص البقاء القوى للقروية فـي المسـكن الحضري، السكان خاصة في الأنسجة التقليدية وما حولها هم ريفيـون بالدرجـة الأولى في لباس حضر.

4.3. أنشطة جديدة، نخب اجتماعية جديدة.

النخب الاجتماعية القديمة والجديدة، في خضم التحولات الجاريـة تغيـر منطق البناء الاجتماعي في المجتمعات الصحراوية التقليدية والتي اعتمد تنظيمها على تمفصلية بين الروابط الاقتصادية والولاءات والانتماءات السلالية. في النخبة الاجتماعية القديمة والتي تتركب بين القوة و القدرة السياسية (نظام من الـولاءات والتحالف ذو طبيعة سلالية بحتة). وقوة اقتصادية (الملكية العقارية والرقابة على تجارة القوافل) والشرعية الدينية والتي تضاف أو تتهيكل مع مجموعـات جديـدة التي استفادت من الحركية الاجتماعية الجديدة.

حسب المناطق وخصوصياتها التاريخية وأشكال اندماجها في المجتمع العام تبرز أشكال جديدة من المحليات في الصحراء، مجموعات مهنية تستطيع التـأقلم وأخرى كانت ذات شأن ووجاهة يأفل نجمها، وأيضا التحولات الهيكلية للمجتمـع

ساهمت في الترقية الاجتماعية لعائلات وأسر جديدة، إعادة تنشيط الزوايا الـــديني (التيجانية مثلا) تساهم في هذه الرهانات.

إن تجنب السقوط الاجتماعي يجبر النخب المحلية علـــى إعـــادة ترتيـــب علاقتها مع الحكم المركزي بطريقة أو بأخرى للتأقلم مـــع التحـــولات الهيكليـــة، المساهمة و المشاركة في الجهاز الإداري المحلي و الـــوطني و الانخـــراط فـــي استراتيجيته. كثيرة هي العائلات من الملاكين خاصة التي لها أعضـــاء يحتلـــون وظائف هامة في جهاز الدولة.

المصدر الرئيسي للثراء الاقتصادي لا يزال مرتبطا بالنشاط التجـــاري الرسمي و أيضا غير الرسمي العائلات من وادي سوف و المزاب المستقرة قديما و التي نشطت الحقل التجاري بالمدينة و المنطقة هذا النشاط نجـــح فـــي إغنـــاء شبكات من التجار النافذين و الذي سمح لهم جزء من التراكم بتمويـــل نشـــاطات صناعية خاصة السوافة بالمنطقة الصـــناعية بالمدينـــة و التـــي تعتبـــر حـــالتهم الاقتصادية مفاجأة إذ أن منطقتهم قد كانت مهمشة و لمـــدة طويلـــة اجتماعيـــا و جغرافيا، أما المزاب فقد اعتمدوا على تقليـــد طويـــل مـــن الشـــبكات التجاريـــة والمقاولات التي تربطهم بالمنطقة.

في المدينة أيضا النشاطات التجارية و الحرفية الجديـدة بنـاءون، صـياغة، صناعة الخبز والحلويات... منتعشة بالفئات التي هاجرت من الشـمال خاصـة ولايات الشرق القريبة. القطاع الخاص هنا غيـر متماثـل إذ بجانـب التجـارة الصغيرة جانب كبير من القطاع الخاص بالمدينة، تتعاون مع نشـاط مكمـل ذو مدخول ضعيف، يتطور قطاع من المقاولات الصغيرة و المتوسـطة ذو أهميـة متزايدة نشطة السوافة و مجموعات من منطقة الطيبـات وسـعيد أولاد عمـر. يضاف إليها نشاطات متعلقة بالتوزيع والنقل خاصة باستغلال خطوط النقل البري هذه النشاطات المربحة تطورت بفضلها برجوازية تجارية و مقـاولات بنـاء و أرباب مؤسسات صناعية صغيرة. و التي تطبع النخبة الاقتصادية الجديـدة دون إغفال دور النخبة التي مارست التهريب و الذين كانوا في عهد قريب من عائلات فقيرة بفضل نشاط التهريب عبر الحدود الغربية من ليبيا أو تونس، وحاليا دبي و بلدان الشرق الأوسط أصبحت طبقة مهمة تستثمر أموالها في النشاط العقـاري أو النشاط التجاري الرسمي.

خلاصة الفصل:

إن المرور من المدينة التاريخية أو القصر إلى المدينة " الحديثة " يطـــرح العديد من التساؤلات حول النتائج التي يحدثها على أنماط الحياة الاجتماعية وعلى الممارسات الحضرية في هذه المنطقة المطبوعة بالخصوصية الصـــحراوية، إن المرور المفاجئ بعد الاستقلال إلى تنظيم ذو نظرة وطنية باندماج المنطقة ضمن المجتمع الوطني العام وتساوي معدلات ومؤشرات النمو مع المعــدلات الوطنيــة مثلما أفاد المنطقة في تجاوز مرحلة طويلة من المحلية والحرمان، كـــان أيضـــا سببا في كثير من الإنقطاعات مع النسق المتكامل لمفهوم تنظيم المجال المتناغم.

إن تدهور السكن التقليدي في القصور والتطور المتسارع لهذه المدينة التي كانت مطبوعة بالمحلية قبل بضع سنوات، هذا التطور المرتبط بالنمو الديمغرافي تأثر و أثر في التحولات في الهيكلة الأسرية والاجتماعية. إن التوســع المجـــالي لهذه المحليات بعد أن خرجت المدينة عن أسوارها والقصور عن أزقتها الضـــيقة المغطاة أدخل أساليب جديدة للحياة وشروط جديدة ومتطلبات جديدة على المجـــال تحث على التفكير في مستقبلها حول أي مشروع مدني أو حضري هو في طـــور الإنجاز.

الفصل السادس

التحول الإجتماعي في المدينة وآلياته

مقدمة الفصل

1. **المجموعات في المدينة بين التمايز والذوبان: إعادة تشكيل البنيات الاجتماعية.**
2. **الإستراتيجيات الاجتماعية(الملكية، التعليم، السلطة).**
3. **المجال الحضري، تمثله والمخيال الذي يحمله عند سكان المدينة**

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

سكان تقرت والذين يقاربون 150000 ساكن الآن[1]، هذا العدد يظـم فـي تركيبته الاجتماعية عدة مجموعات اجتماعية متباينة فـي الانتمـاءات والأصـول والنشاطات، وتاريخ اتصالها بالواحة، وحتى في لون البشرة ، لكـن الميـزة التـي تجعلها ضمن مجال واحد هي التعايش، هذا التعايش الذي ميزهـا طـوال تـاريخ استمرارية الواحات والمدن التاريخية في الصحراء، وكان التكامل سر هذا التعـايش المستمر، والذي أثمر الواحة. مجموعات اجتماعية تعبر عن الفسيفساء البشرية التي يتركب سكان الواحات منها والتي شكلتها ظروف تاريخية مختلفة.

إن التوسع المجالي العمراني للمدينة تقرت اليوم، والمدن فـي وادي ريـغ بصفة عامة، والذي يتوافق تماما مع التوزيع المجـالي للمجموعـات الاجتماعيـة المشكلة لسكان المدينة، بداية من الحشاشنة ذوي البشـرة السـوداء الـذين سـكنوا القصرور القديمة، إلى توطنات البدو وأنصاف البدو الأوائل ابتداء مـن ثلاثينيـات القرن العشرين، إلى التنثبيت النهائي للبدو في حـدود نهايـة السـبعينيات وبدايـة الثمانينيات وانتهاء بأحياء التوسعات الجديدة.

[1] 5ème Recensement général de la population et de l'habitat 2008 .Wilaya de Ouargla N°527/30.

إن جوهر هذه الدراسة في الحقيقة هو التأكد من مدى الإندماج الاجتماعي بين المجموعات الاجتماعية من خلال التحـــول الاجتمـــاعي فـــي مجـــال "المدينـــة الحضرية"، هل هو في اتجاه حضرية أو مدينية حقيقية ؟ أم مجرد إعـــادة تشـــكيل للمجموعات الاجتماعية، واستمرار التعايش والتجاور في المجال، مع إبقـــاء لـــروح الروابط السلالية التقليدية لكل مجموعة اجتماعية من مجتمع الواحات؟

1. المجموعات في المدينة بين التمايز والذوبان: إعادة تشكيل البنيات الاجتماعية.

إن التحولات الاجتماعية، التي هي في الواقع وحسب التأكيدات التي أمكننـــا الوصول إليها من خلال العمل الميداني، ما زالت في طور التشكل، حتى أنه فـــي قناعتنا، أنه لا يمكننا في الوقت الراهن وبصفة استعجالية التحـــدث عـــن " بنيـــات إجتماعية مكتملة "، كون البنية في جوهرها شيء متكامل ونهائي، "*أن الإجتمـــاعي لا يكون اجتماعيا إلا إذا انتمى إلى بنية*"[1] (ليفي ستروش).أو كما أكـــد (مارســـيل موس) في نصه الشهير " *لا معنى للجزء إلا من خـــلال الكـــل*"[2]. إذ يعتبـــر مـــن المؤسسين للعلوم الأنثروبولوجية، فهو الذي اكتشف مفهوم الكليـــة الـــذي يعنـــي أنّ

---

[1] **Claude LEVI-STRAUS** : « *Anthropologie structurale »* PLON Paris, 1974.

[2] **Mauss Marcel** ; *Sociologie et Anthropologie*.9éme éd. Paris ; Presse universitaire de France. 1950.

الظاهرة الإجتماعية لا يمكن أن تكتسب معناها إلا بإرجاعها إلى النّظـــام، أي إلـــى البنية التي تنتمي إليها، إذ أن الكلّ هو الذي يعطي المعنى للجزء ولـــيس العكـــس[1]. بهذه القناعة فإننا في الواقع أمام مشكلة منهجية عويصة، كوننا فـــي حقيقـــة الأمـــر بصدد الحديث عن " تشكلات " اجتماعية لا تزال في طور عملية التحول والتشـــكل في ميدان دراستنا تقرت ووادي ريغ وقد ينطبق هذا بحكـــم التعمـــيم علـــى مـــدن الصحراء الجزائرية مع بعض الخصوصيات التي لا يتسع مجال الدراســـة للتـــدقيق فيها بالتفصيل.

من هذا المنطلق الذي يفرضه الواقع الميداني، كمـــا تدعمـــه الإرتكـــازات النظرية، وبالنظر إلى (بورديو وصياد)، وتحليلهما عما عناه المجتمـــع الجزائـــري عموما في الفترة الكولونيالية من "إجتثاث"، فهل يمكن الحديث الآن في الجزائر عن "بنيات" اجتماعية في "مدن"؟ فلا البنيات مكتملة وواضحة المعالم ولا المدن ينطبـــق عليها ما هو متعارف عليه دوليا من تعريف للمدينة. في حالتنا الراهنـــة لا يمكـــن الحديث سوى عن حالات من التحول، من إعادة التشكل الاجتماعي، من ممارســـات

[1] **البشير التليلي**، *البداوة المُطاردة: ملاحظات أولية للبحث في أثر فعل الحداثة في البداوة*. في إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومركز دراسات الوحدة العربية.العدد الثاني ربيع 2008. ص213.

يومية وحياتية، من تمثلات مليئة بحالات الإغتراب و(الأنوميا) أو الـــلا معياريـــة[1].
هذه القناعات لم يكن بالإمكان التأكد من إنطباقها على ميدان دراستنا إلا من خـــلال التعمق فيه، وذلك بتعبئة الأدوات المنهجية النوعية، ومحاولة تحليل الخطاب، خطاب المعنيين، والتي قادتنا عبر المعايشة، عبر المحادثات، إلى تلمس واقع المجموعـــات الاجتماعية لدراسة تحولاتها الإجتماعية، مجموعة بمجموعة من خـــلال علاقاتهـــا بمجالها الحضري أولا والإقاماتي ثانيا وحتى السكني، بتتبع إستراتيجياتها الاجتماعية وتمثلاتها، ثم علاقاتها فيما بينها، كمجموعات متعايشة أم مجتمع حضري في طـــور التكوين.

1.1. نسق الحشاشنة من العائلة الكبيرة إلى الأسر النووية.

بالرغم من انعدام الدراسات تقريبا التي أُنجزت حـــول مجتمـــع الحشاشـــنة وهياكله الإجتماعية وتنظيماته، حسب حدود علمنا طبعا، المعلومات التي جمعناهـــا بخصوص هؤلاء السكان قليلة جدا ، المعطيات التي جمعناها من السكان باســـتخدام المحادثات غير الموجهة، سمحت لنا برسم خطوط عريضة فقط، لهذه الفئة المنتشرة

1 يستخدم مصطلح الأنوميا للدلالة على الموقف الاجتماعي الذي يشهد صراعا بين المعايير وبين الجهود التي يبذلها الفرد للإمتثال معها، أو الموقف الاجتماعي الذي تنعدم فيه المعايير نتيجة لتغيرات اجتماعية وثقافية تقلب التوقعات السلوكية العادية للفرد. **محمد عاطف غيث**: "*قاموس علم الاجتماع*"، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة الإسكندرية، 1995. ص 23.

في وادي ريغ في قصوره القديمة التي هي في طور تحولات عميقة تحتاج إلى دراسة أشمل وأكثر وقتاً.

هؤلاء السكان من أبناء الرواغة، حسب الروايات التاريخية من خليط من البربر الزناتيين ومن الزنوج الأفارقة، وحتى من بقايا أبناء العبيد القدامى الذين عمروا واحات النخيل وكونوا مجتمعا محليا متميزا بملامحه المظهرية في البشرة السوداء، لكن الملاحظ أن الملامح تختلط بين البشرة السوداء والخطوط الدقيقة للوجه مما يوحي بتهجين قديم أصبح الحشاشنة يختلفون كثيرا عن السكان المعروفين " الحرطن " أو " الحرطانيين" المعروفين في الواحات الجنوبية أوفي الجنوب الكبير فقدْ فقدَ الحشاشنة منذ زمن اللهجة البربرية " الشلحية " بقيت بعض الفئات المحدودة في القصور " بلدة عمر" 25 كلم إلى الجنوب من تقرت يتكلمون لهجة شلحية بربرية قديمة.

الهيكلة الاجتماعية عند الحشاشنة تختلف كثيرا عن هيكلة البدو من جيرانهم المعروف عندهم العائلات الكبيرة الممتدة والمتشابكة فيما بينها بنظام من المصاهرات والقرابات، في أحاديثنا معهم لا يحددون تسميات القرابة بشكل واضح ولا يحسن الشخص منهم تفصيلها مثلما يحسنه البدو المتمدنين، فيما عدا القرابات

المباشرة في الأسرة الكبيرة، كل شخص تربطه به نوع من القرابة البعيدة يقول لك: " ... *ولد عمي* ... " أو"...*لافامي*...".

هذه اللفظة تطلق على كل قريب لا يحدد نوع ودرجة قرابته. الهيكلة الأكبر هي العائلة الكبيرة، حتى أسماء العائلات لا توحي بانتماء خاص أو بمنطقة، وكثير من ألقاب العائلات هي نفس ألقاب عائلات المجاهرية من البيض، انتسبوا لها في تاريخ سابق.

الهيكلة الاجتماعية البارزة عند الحشاشنة هو عائلات كبيرة تتفرع إلى أسر مركبة أو نووية. بالرغم من أن لدى الحشاشنة ميل واضح نحو إحياء روايات وأساطير وإثباتات تربطهم بالأصول العربية. تجد من يحثك عن قدومهم من الساقية الحمراء ووادي الذهب، لكنهم لا يحسنون هواية الشجرة مثل جيرانهم البدو.

2.1. الحشاشنة، لم يعودوا فلاحين!.

بتحول هيكل النشاطات والمهن في المدينة كما في باقي مدن الجنوب الشرقي لم تعد الفلاحة هي الحرفة الرئيسية لسكان الواحات هؤلاء، التي طالما كانت سبب وجودهم، في أحسن الأحوال أصبحت مجرد نشاط مكمل لميزانيات الأسر، هذا إن بقيت لبعضها ملكيات بساتين النخيل. إن تحول هيكل الأنشطة الإقتصادية غير كثيرا هذا المجتمع في ظرف عقود قليلة، بتأثير التحولات الإقتصادية والسياسية، أهمها

إكتشاف النفط بمنطقة حاسي مسعود سنة 1956 إذ توجه كثيرٌ مِمَن كانوا فلاحــين أباً عن جدٍ إلى العمل في شركات النفط، مما سبب نزيفا كبيرا فــي اليــد العاملــة والخبرة الفلاحية إستقطبتها هذه الشركات وغيرها من الوضائف الجديدة، لقد غيّــر هذا كثيرا في نمط حياة الحشاشنة خاصة وفي تركيبة الأسرة ودور المرأة والعلاقات الإقتصادية والإجتماعية، نجد نسبة كبيرة من العمال الصناعيين في تحقيقنا الميداني بالإستجواب الذي قمنا به كان عدد من أجابوا بصفة عامل تمثل نســبة 18.5% . الفلاحة لم يبق لها نصيب سوى نسبة 3.6% من الفئة المشغولة في أحسن الظروف، يمتهنها بعض كبار السن من الذين لم يسمح لهم سنهم أو ظروفهم آنذاك التوجه إلى شركات النفط أو الشركات الوطنية.

إن التحولات في إطار الإندماج الفعلي لهذه المنطقة في المجتمــع الــوطني العام أيضا كان لها دور في توجه الحشاشنة بالخصوص نحو مهن ووظائف القطاع العام والخدماتي، نسبة الموظفين والمعلمين والعاملين في قطــاع الأشــغال العامــة والبناء وصلت في إستجوابنا مجتمعة إلى نســبة 21.5% . كمــا أن البطالــة فــي السنوات الأخيرة أصبحت الطابع السائد في هذا المجتمع التي وصلت إلــى 34.9% مع العلم أنها تمس جميع المجموعات الاجتماعية الأخرى. هــذه الأرقــام تؤكــدها الإحصائيات الرسمية المعتمدة الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 وأيضــا

الإحصاء السنوي لولاية ورقلة 2001 واحصاء مصالح البلديات التي قارنا معها هذه النتائج التي تحصلنا عليها من خلال الإستجواب الميداني المدعم للمحادثات النوعية.

إذا ما حاولنا توزيع السكان المشتغلين على الأحياء، نلاحظ ما يلي: نسبة المشتغلين من مجموع السكان في أحياء تقرت القديمة(القصور) التي غالبيتها من الحشاشنة تمثل 15.1% أما في التوسعات الجديدة التي هي في الغالب خليط من المجموعات الاجتماعية 13.8% أما أحياء تمدن البدو نجد نسبة التشغيل لا تتعدى 8.3% و حي "عاسو" مثلا الذي يضم أساسا البدو المتمدنين من أولاد السايح ومنطقة الطيبات 9.6% . هذه الوضعيات، يمكن تفسيرها بالتطور المختلف للأحياء والمجموعات الإجتماعية يصبح فيها العمل والوظيفة نطاق آخر للتعبئة بين الأحياء والمجموعات الاجتماعية المتمايزة والمختلفة.

التحول المهني نستطيع رسمه من خلال تتبع بعض المسارات من خلال التحقيق النوعي التي تدلنا على التحولات العميقة التي طبعت المجموعات الاجتماعية. من مسار أسرة من الحشاشنة والتي تعطينا فكرة عن التحولات في مدة جيلين أو ثلاثة:

عادة وفي معظم إن لم نقل كل المحادثات التي مرت معنا نجد الجد كان فلاحا إما يملك بعض النخيل أو خماسا عند عائلات أخرى، أو الإثنين معا، في بداية السبعينيات، الأب قد ترك الفلاحة وتوجه إلى حاسي مسعود أوشركات النقل البري، في حالات أخرى يحدث أن يبقى الإبن الأكبر للأسرة لممارسة الفلاحة تاركا المجال للأبناء الباقين بالتنقل أو العمل في الشركات، في المراحل الأخرى والتي تبدأ منذ نهاية السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي نجد الأبناء في الأسرة وقد تحصلوا على نصيب من التعليم، يتوزعون على الوظائف الجديدة، نجد عدد كبير من أبناء الحشاشنة خريجي جامعات ومعاهد وفي الجيش كمتعاقدين ومنهم الضباط. ولم تعد النخيل والتي يرثون القليل منها في العادة بسبب تفتيت ملكيات الحشاشنة نتيجة التوارث، إلا مصدرا إضافيا مكملا يعهد به الآن إلى بقية فلاحين في الأغلب فقراء وكبار السن بقوا في ممارسة الفلاحة، الفلاح اليوم أصبح يتحصل على الثلث من المحصول وليس الخمس كما كان في عهد الخماسة.

النشاطات الجديدة التي اكتسبها السكان الحشاشنة كان لها انعكاس مباشر على طريقة حياتهم ومستواهم الاجتماعي يظهر ذلك جليا في نوعية المنازل التي يبنيها الناس إذ نلاحظ على طول الشوارع في التجزيئات الجديدة منازل فردية متتابعة في مراحل مختلفة من الانجاز من ملاحظة مستوى البناء وطريقة صقل واجهات

المنازل واستعمال طرق ومواد جديدة في ابراز المستوى الاجتماعي الجديد للأســـر نلاحظ بنايات ذات طابقين أوأكثر أصحابها من العمال أوالموظفين فـــي الشـــركات البترولية في حاسي مسعود أو موظفين في قطاعات مختلفة أخرى أوتجار، المداخيل النقدية الهامة نسبيا التي أصبحت تتحصل عليها العائلات تم توظيف جزء كبيـــر إن لم نقل الأكبر منها في بناء المنـــازل ومراعـــات إظهـــار المســـتوى الاجتمـــاعي والاقتصادي للأسرة في الواجهة وفي الهندسة وفي تأثيث قاعة الإستقبال خاصة.

إن التقاليد الحضرية القديمة للحشاشنة، كونهم أصلا مجموعة اجتماعية قروية مستقرة، هذا الوضع سهل لأبنائهم بالإندماج وبطريقة أســـرع وأيســـر مـــن البـــدو المتمدنين، نلاحظ ذلك، في مجال النشاطات الإقتصادية الإندماج في التعليم ومختلف المؤسسات المدينية والحضرية، وأيضا حتى في الزواج والإستراتيجيات الاجتماعية، هذه الظروف سمحت للحشاشنة بأن يكونوا أولى المجموعات التي تندمج وبســـرعة ضمن النطاق الحضري للمدينة.

3.1. تحول المجموعات النخبوية التقليدية(المجاهرية).

من أهم التحولات الاجتماعية أيضا والتي طرأت على المجتمع المحلي في تقرت، النخبة المحلية التقليدية التي يطلق عليها في العادة " المجاهرية" وكما رأينا في الفصول السابقة، أنهم شكّلو مايمكن أن يطلق عليه " أرستقراطية محلية"، بفضل ملكيات النخيل الواسعة والملكيات العقارية التي كانت في حوزتهم، إضافة إلى مشاركتهم الفعالة في حركة التجارة والبناء والحرف منذ الفترة الجلابية التي تعود إلى القرن السابع عشر، كانوا يشكلون السكان الأهم داخل المدينة التاريخية مستاوة، بخلاف الحشاشنة الذين كانوا يسكنون القصور، جزء كبير من المدينة التاريخية مستاوة كان يسمى " حي المجاهرية" من المحادثات مع قدمائهم قدر عدد العائلات من المجاهرية التي كانت تسكن مستاوة حوالي 12 عائلة وذلك في العهد الإستعماري، تمكنوا بفضل حظهم في التعليم وانخراط أبنائهم في المدارس الفرنسية في الزيبان وقسنطينة والعاصمة، من اكتساب مكانة هامة ضمن الإدارة الفرنسية، حيث إعتمد عليهم المعمرون في تسيير شؤونهم، إضافة إلى اكتسابهم وتوارثهم تقاليد حضرية قديمة بفضا استقرارهم وعائدات ملكياتهم العقارية الكبيرة وإشراف بعضهم على التجارة البعيدة.

تمكن المجاهرية بفضل ملكياتهم من المحافظة على مستوى إقتصادي واجتماعي وإداري هام في المدينة. يشتغل في مزارعهم الواسعة أبناء الحشاشنة بنظام الخماسة. إن سبب التمييز بين الحشاشنة والمجاهرية في نظرمحدثنا من المجاهرية "... *ليس في لون البشرة بقدر ما هو نتاج من علاقات الفترة الإقطاعية هذه التي تميزت بالإستغلال...*" أي نظام الخماسة الذي كان سائدا في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين المجموعات الاجتماعية التي تملك واحات النخيل والأخرى الفقيرة التي كانت تعتمد على العمل في مزارع هؤلاء.

نتيجة التوسعات الكولونيالية الأولى للمدينة إنطلاقا من المدينة التاريخية مستاوة في اتجاه الشمال تم بناء حي " سيدي عبد السلام" (المهندس جوفرو) باتجاه شارع الإستقلال وصولا إلى " حي لاقار" أي قرب محطة القطار. تنقل المجاهرية واستوطنوا هذه الأحياء الجديدة آنذاك، بالقرب من سكن الإداريين الفرنسيين والمعمرين. يسيطرون على واحات هامة إلى جانب مستودعات كبيرة لفرز التمور وتصنيفها، يقوم بالعمل الفلاحي طيلة السنة الحشاشنة أما عمليات الجني والتصنيف يقوم بها بدو أولاد نائل كعمال موسميين، نظرا للحاجة إلى المزيد من اليد العاملة مما يعطينا فكرة عن حجم المنتوج من التمور ومقدار الثروة الزراعية التي كانت تتحكم فيها هذه العائلات التي تصدر إلى مدن الشمال أو دول ساحل الصحراء.

إن ما أحدث التحول الكبير والزلزال الأكبر في حياة هــذه المجموعــة كمــا يجمع عليه جميع محدثينا هو قانون الثورة الزراعية سنة 1971. الذي أحدث انقلابا عميقا في الحياة الإقتصادية والاجتماعية لهذه الفئة، بعد أن إستثمر المجاهرية كــل ثروتهم في غابات النخيل، والتي انتزعت منهم بموجب هذا القانون. فجأة عــائلات كانت تعد من العائلات الكبيرة تجد نفسها على حافة الفقر أو على الأقل وقد صنفت متوسطة.

نتيجة هذا التحول اعتمد المجاهرية على مابقي لهم من رصيد، هــو التعلــيم والإدارة، وبذلك تمكن أبناؤهم من الحصول على وظائف هامة في الإدارة الجزائرية الناشئة والمهن الحرة كون أبنائهم من أهم حاملي الشهادات العليــا (فــي الطــب، الهندسة، الإدارة، القضاء...). وتزوج أبنائهم نتيجة وضــعهم التعليمــي والمهنــي المريح عادة من بنات عائلات كبيرة من الشمال (قسنطينة، باتنــة، العاصــمة...). محافظين بذلك على " بقايا" وضعهم التقليــدي كمجموعــة اجتماعيــة ذات تقاليــد حضرية عريقة، وطالما شكلوا مثالا في الحضرية وتقمص المدينية في تقرت لبقيــة المجموعات المجاورة لهم، الحشاشنة خاصة الذين تبدل وضعهم، وعــائلات البــدو المتمدنين.

في الوضع الحالي المجاهرية هم عائلات متعددة تقطن أحياء لاقار، شارع الإستقلال، سيدي عبد السلام، ومنهم من انتقلوا إلى الأحياء الجديدة (حي النخيل، حي الرمال) البعض استفاد من سكنات جماعية أو فيلات في بعض الأحياء الجديدة. بالنسبة للزواج يفضل أبناؤهم الزواج إما الداخلي أو الزواج من عائلات من الشمال، الزواج مع الفئات الأخرة كاحشاشنة والبدو المتمدنين نادر جدا إن لم نقل منعدم. لهذ السبب يعاني مجتمع المجاهرية كثيرا من ظاهرة عنوسة بناتهم كونهم لا يقبلون الزواج من فئات اجتماعية كانت تعتبر في نظرهم أقل شأنا. وأيظا يعانون الزواج المتأخر نسبيا بإختلاف عادات جيرانهم من المجموعات الأخرى.

نتيجة المداخيل المتوسطة والمتناقصة لبعض الأسر في المجاهرية الآن عدد كبير من هذه الأسر تحولت إلى عائلات وسطى، خاصة بعض العائلات التي امتهن أربابها وظائف متدنية، بدأ أبناء المجاهرية يتعلمون حرفا كانوا في ماض قريب يعزفون عنها(البناء، الحدادة، النجارة ...).

4.1. أصول بدوية متمدنة، (بين النظام السلالي وظروف التمدن).

من الذين حللوا البداوة ونظام القبيلة بصفة خاصة (جاك بيرك)[1] في نصه المميز حول البداوة، عرف جاك بيرك القبيلة بالإسم، معتبرا التعريفات والتصنيفات التي نظرت للقبيلة وكأنها كيان مستقل بذاته عفوية لا طائل من ورائها، ففي نظره القبيلة ليست سوى:

" *أسماء وتصنيفات وهويات تُصنع لرفع أذًّ ورد هيمنة ومواجهة خطر خارجي، فكلما كانت الهيمنة قاسية والضربة موجعة والتصدع كبير، لجأت القبيلة لزرع أسماء الأولياء الصالحين في كل مكان من تواجدها عله يحميها بطريقة أو أخرى*"[2].

من منطلق تحليل (جاك بيرك) وملاحظات (التليلي) الذي حاول تحليل وضع القبيلة في مواجهة الحداثة، مطلقا عليها " البداوة المُطاردَة ". استلهمنا عملنا الميداني في التحقق من حالات مواجهة المجموعات الاجتماعية ذات الأصول

[1] **Berque Jacques**. « Qu'est ce qu'une « Tribu » nord-africaine. » dans : **Jacques Berque. «** Maghreb,Histoire et société ».Gembloux : Duculot.(Sociologie nouvelle,situation ;7),1974.

[2] **البشير التليلي**: المرجع السابق، ص 214.

البدوية، كأولاد نايل، وأنصاف البدو(سعيد، طيبات، سوافة، فتايت..)، للحضرية والمدينية وظروف الحداثة بصفة عامة.

إن علاقة عالم البداوة مع الحداثة كانت منذ البداية(القرن التاسع عشر، و بداية تبلور مفهوم الحداثة) علاقة صراع ومواجهة، ليست مواجهة بين التخلف والتقدم كما قد يترائى للبعض، بين الرجل الأبيض الأوربي والرجل البدائي أو المتوحش. إن هذا الصراع لهو في الحقيقة صراع جوهر، منشأه التناقض في جوهر الثقافة نفسها.

من المعلوم أن الحداثة ومنها المدينية الحديثة التي يحاول إبن البدوي المتمدن أن يندمج فيها " مجبراً "، هذه الحداثة بنيت في الأصل على أساس الفردية L'individualité والإستقلالية L'indépendance، ومفهوم الحرية والديمقراطية[1].

1 **البشير التليلي**: المرجع السابق، ص215.

في حين يناقض هذا جوهر البداوة وحقيقتها، فإن القبيلة في الأساس مبـــدأها هو خلق" الجماعة"، الجماعة المتضامنة[1]، التي يذوب فيها الفرد فلا تصبح له قيمـــة خارج جماعته. ومبدأ التبادل عند هذه الجماعة قائم على فعل" الكرم"، الذي ينـــتج بدوره الزعامة الساسية، إضافة إلى مفاهيم وميكانيزمات "الشرف"،"النيـــف" "العفـــة" الثأر" وهي مفاهيم تجعلها القبيلة في الخط الأول من وجودهـــا، إن هـــذه المفـــاهيم المغروسة في اللاوعي الجماعي لأفراد القبيلة. ولذا تتعارض القبيلة مع كل مشروع حداثة يهدف إلى نسف وجودها. وهو ما قصده (بورديو) عندما كان يتكلم التفكيـــك الذي تعرض له المجتمع الجزائري التقليدي على يد مشروع كولونيالي استيطاني.

أما نتائجه في الوقت الراهن نجدها جلية وواضحة الملاحظة في مدن الجنوب الجزائري مع حركة تمدين البدو، إن حالـــة الإجتثـــاث، والإغتـــراب والترقـــب والإنتظار، هي حالات إجتماعية ونفسية عاشها أبناء البدو المتمـــدنين ولا تـــزال أثارها موجودة في الذهميات والسلوكات، إنها حالة إخترقت جميع خطابات الـــذين استجوبناهم من أبناء البدو في مدينة تقرت. نجد خلاصتها في كل اســـتجواب مـــع البدوي المتمدن، في الإشارة إلى الآخر أي الحشاشـــنة أو المجاهريـــة، يســـميهم: "..*ناس البلاد*..."، وكأنه هو ليس من هؤلاء، حتى بعد عشريات من التمدن.

[1] **Berque Jacques** : ibid.

1.4.1 القبيلة في المدينة.

عند المجموعات ذات الأصول البدوية سواء من الذين أطلقنا عليهم عبارة أنصاف البدو (semi – nomades) أو البدو الحقيقيين من أولاد نايل، التنظيم السائد والواضح هو "بقايا" البناء القبلي، بالرغم من سنوات التمدن والتثبيت إلا أن الشعور بالروابط ودراية كل أفراد المجموعات بالأنساق القرابية وتفرعاتها والشعور بوحدة تلك القبيلة أو العرش أو الفرقة مهما كان تباعدها الجغرافي[1] .

الإحساس القوي بوحدة القبيلة عند البدو المتمدنين يبقى موجودا رغم سنوات من التمدن والتثبيت، هذه الهيكلة الاجتماعية لا تزال فاعلة عند المجموعات الاجتماعية وحتى تلك التي كان تمدنها يمتد إلى الثلاثينات مثل ما هو بارز في مجموعات عروش منطقة الطيبات ومنطقة الحجيرة، أبرز دلالة لمسناها على بقاء هذه الروابط واستمرارها تجمعهم في أحياء معينة في أحياء المدينة في شكل تجمع من العائلات من عرش واحد أو فرقة واحدة أو أبناء عمومة في حي واحد.

[1] **فاروق مصطفى إسماعيل"** _التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي_ " دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1990 ص 64.

الروابط التي تجمعهم بمناطقهم الأصلية الجغرافية بقيت قائمة بالرغم من البعد الجغرافي تبقى وحدة القبيلة والعرش هي الهيكل الاجتماعي القائم بمؤسساته التقليدية والرقابة القبلية التي يمارسها كبار السن، هذه الروابط بالمنطقة الأصلية لاحظناها من خلال الجولات الميدانية في حي عين الصحراء وبالخصوص في السوق اليومي الذي يقيمه أولاد نايل في مكان قريب من تجمعاتهم السكنية، هو سوق صغير يمثل مكان تجمع اجتماعي أكثر منه سوقا بمعنى الكلمة، الملاحظات قادتنا إلى تقسيم رواد هذا السوق الذي يقام بعد صلاة العصر في عشية كل يوم إلى الرجال من سكان عين الصحراء من أولاد نايل خاصة، مع مجموعة من الذين قدموا من البادية يبدو ذلك من ملابسهم إضافة إلى مجموعة من أولاد نايل الذين يسكنون في تقرت، اللقاءات التي تجري بين هؤلاء ذات دلالة على الروابط الإجتماعية التي لا تزال تربط أولاد نايل سواء من سكان النزلة أو الذين تمدنوا في تقرت في شكل عائلات انفصلت عن الكتلة القبلية، أو الذين لا يزالون يسكنون البادية، تتعزز هذه الروابط بمبادلات علة مستوى الزواج وأيضا المبادلات الإقتصادية.

يتضح لنا أن الروابط ما زالت قائمة بين أولاد نايل المتمدنين ومناطق البادية التي قدموا منها يتضح هذا من الحركة الكثيفة التي تتم كل أسبوع بين أحياء توطنهم والمسالك التي تربط مناطقهم، قد تم تأسيس نقطة تجارية في منتصف الطريق بين العروش التي تقطن ما بين مسعد وتقرت تسمى " الباقلة " يتجمع بها سوق أسبوعي يقام يوم الاثنين يتم فيه التبادل بين التجار أو بقايا البدو من أولاد نايل سلع من المدينة يحتاجها البدو من مواد غذائية أو ألبسة أو إسمنت لبناء الأحواض المائية ... يبيع البدو فيه منتوجاتهم من أغنام وصوف وغيرها ...، لم يفقد البدو المتمدنون الخطوط التي تربطهم بمناطقهم وهم مصرون على المحافظة عليها وتعزيزها بمبادلات تجارية هامة، لقد أحصينا في رحلة قمنا بها إلى هذا السوق الأسبوعي في الباقلة ما يقرب من 20 شاحنة قادمة من تقرت وحوالي 10 من مسعد وعدد آخر من مناطق توطن أولاد نايل وقطارة والقرارة ... شاحنات من حمولة 2.5 إلى 5 طن تحمل السلع والمواشي والأشخاص. من البدوي الذي ما يزال موجود في البادية والذي ينسج الروابط الجديدة مع المدينة، إلى المتمدن بعين الصحراء بالنزلة إلى العائلات التي حققت درجة متقدمة من التمدن هي في الحقيقة حسب تفسيرنا مراحل لعملية طويلة من تمدن البدو.

في نص المحادثة التالي نفهم مدى صلابة الروابط السلالية القائمة، وأيضا الإرتباطات الإقتصادية والإجتماعية، بأماكن الأصول التي قدم منها البدو المتمدنين عند أولاد نايل مثلا:

"... إني أملك مع إخوتي ضاية تركها والدنا نقوم بحرثها كل سنة أو نكري عليها من يحرثها لنا من أبناء عمومتنا هناك، وفي الصيف نذهب للحصاد ونجلب محصولها لبيعه في البلاد، ولدينا أيضا مجموعة أغنام يقوم برعيها أبناء عمنا مع أغنامهم، عندما يأتون إلى هنا نوفر لهم ما يحتاجونه من البلاد أونبعث إليهم باحتياجاتهم مع الشاحنات التي تذهب كل أسبوع إلى هناك، أنا إبنتي متزوجة في البادية عند إبن عم لي، وبهذه الطريقة نتمكن من دعم مداخيلنا القليلة إذ أننا لا نعمل في المدينة وأبناؤنا لم يجدوا عملا ولم ينجحوا في الدراسة...".

من هذا النص هل نفهم أن هذه الإرتباطات لها مغزى إستراتيجي أي وظفته هذه المجموعات من أجل تلبية حاجات أساسية في الإندماج والعمل والسكن لم توفرها لهم المدينة طيلة سنوات من تواجدهم، أم هو لا وعي جماعي يجعل سلوك أبناء القبيلة يتمسكون بهوية اجتماعية مهما كانت الظروف.

حسب قول (التليلي)" *لا أحد، فيما يبدو، يطالب اليوم بالرجوع إلى البداوة، ولا يوجد بحث واحد في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يندد بعملية توطين البدو، رغم أنه لا يخفى على أحد كون هذه العملية مفروضة فرضاً... وإن بدت في الظاهر وكأنها عفوية...إن الإستقرار كان نتيجة الهيمنة الإستعمارية... إن البدوي الذي استقر ... يطالب مثل المهاجر في بلد المهجر، بإدماجه في المجتمع أكثر فأكثر... ولن يطالب بأن يمد من جديد خيمته في الصحراء ... البداوة في طريقها إلى الإستقالة... إن مشكلة البطالة والتفكك والإنبتات "الإجتثاث" والشعور بالضياع والوحدة وغيرها من القضايا التي يعيشها أبناء البدو والمزارعون، لا يمكن أن تحل إلا بالإنتماء الفعلي إلى الحداثة والمشاركة في صياغتها..* [1] " .

إن القراءة المتمعنة في هذه الخلاصات التي قدمها علماء وباحثي علم الإجتماع والأنثروبولوجيا ابتداء من دوركايم، موس، ليفي ستروس، بورديو، في الجانب النظري وجاك بيرك، والتليلي...، ومن خلال المعيش والملاحظة الميدانية الملاحظة التي لم تكن ظرفية البتة واعتباطية كون الباحث بشكل من الأشكال عايش هذا الواقع، يؤكد الميدان والمحادثات التي أجريت وحللت موضوعاتيا، تشكل لنا القناعة، أنه في غياب سياسة عمرانية وحضرية اجتماعية، إنبرى البدو المتمدنين

[1] **البشير التليلي:** المرجع السابق، ص 221.

أنفسهم والمزارعون القدامى أيضا من خلال ممارساتهم من خـــلال اســـتراتيجياتهم الإجتماعية من خلال تمثلاتهم، تعايشهم هم الذين يصنعون مدينيتهم اليوم في مـــدن الصحراء الجزائرية.

ولهذ فإن في دراستنا الميدانية في مدينة تقرت، إنطلقنا من هذه الإفتراضـــات بالذات[1]. لتحيلنا مباشرة إلـــى تحليـــل الممارســـات، الإســـتراتيجيات الاجتماعيـــة، التمثلات، من خلال التحليل النوعي (أي تحليل الخطاب، تحليل المحتوى).لنســـتنتج الواقع اليومي والمعاش. قد يكون هذا الطريق في نظرنا أكثر مصداقية في فهم واقع مدننا في الصحراء الجزائرية اليوم.

2.4.1 البدو المتمدنين والمهن الجديدة.

بالنسبة لمجموعات البدو يختلف المسار المهنـــي والتوزيـــع علـــى الأنشـــطة الإقتصادية. بالنسبةلمجموعات سعيد أولاد عمر والفتايت من البدو الذين اســـتوطنوا المدينة مبكرا وكانت لهم علاقات قديمة مع المدينة تقرت نجدهم قـــد تمكنـــوا مـــن الإنخراط في شبكة الوظائف والمهن التي توفرها المدينـــة نجـــد مـــنهم المـــوظفين والمعلمين والتجار، كان ذلك متوازيا مع توزيعهم في الأنسجة العمرانية للمدينة.

[1] أنظر فرضيات الدراسة في الجانب المنهجي للدراسة ص18(الباحث).

بالنسبة لمجموعة أولاد السايح و القـادمين مـن منطقـة الطيبـات المهـن والممارسات التي لاحظنا أنهم يفضلونها هي أكثرها المهن غير الرسمية من تجارة، يشتهر الكثيرمنهم بنشاط الطراباندو عبر حدود تونس وليبيا هذه القبائل التي كانـت تجوب الصحراء بين الوادي سوف والحدود التونسية والليبية اكتسب أبناؤها خبـرة في مسالك الصحراء وقدرة على تحمل مشاق الصحراء استعملوها في التجارة عبر الحدود ، سوق " ليبيا" في تقرت على شاكلة سوق الوادي سوف أكبر دلالـة علـى هذه الشبكات المنظمة من أبناء هؤلاء البدو، الذين يتنقلـون بسـهولة بـين المـدن والحدود.

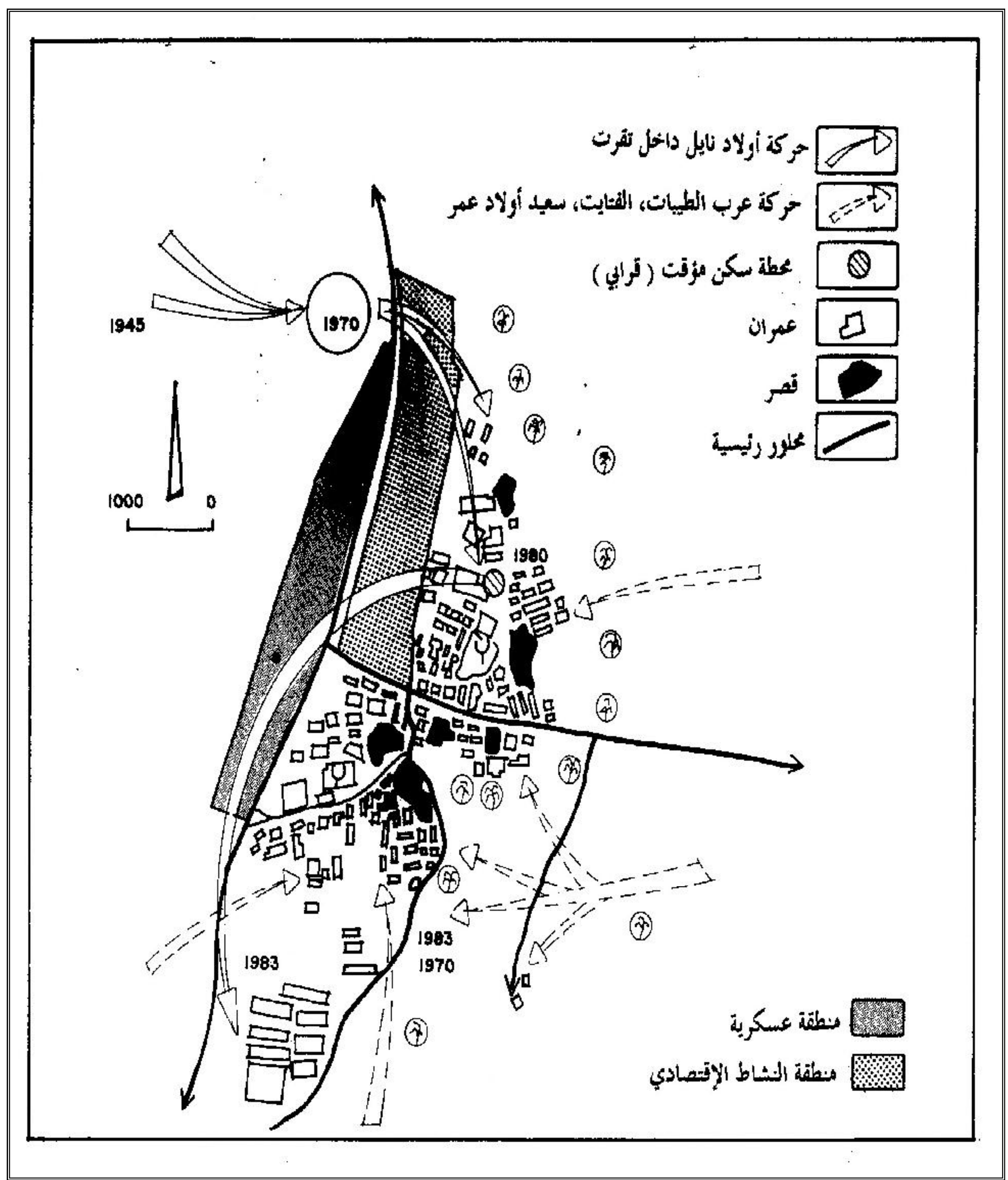
أما البدو من أولاد نايل وهم آخرالبدو الذين تمدنوا في تقرت، أبنـاؤهم لـم يكتسبوا بعد حرفا أو خبرات المدينة، إنخراطهم في حياة المدينة دون مؤهلات مهنية عمق من عزلتهم، طالما اشتغل أولاد نايل النازحين نحو تقرت بجني التمور والعمل الموسمي وعاشوا حياة الترحال متتبعين أغنامهم أو الغلال التي تنضج في الواحـات حسب المحادثات التي أجريناها مع الكثير منهم يصرحون أن الشغل هـو مشـكلتهم الأساسية في المدينة، كان استقرار هؤلاء البدو مرتبطـا بـبعض الشـركات التـي وظفتهم كحراس لقواعدها المنتشرة في الصحراء أو حمالين وفي أحسـن الأحـوال تمكن بعضهم من العمل كسائقي شاحنات يجوبون الصحراء شركات النقـل البـري

وظفت الكثير منهم كسائقين أو مرافقين للشاحنات، هذا الجيل الأول من المحظوظين بمناصب العمل هم الذين أغروا مجموعات كبيرة من أولاد نايل بالإستقرار، لم يعودوا يجدون شيئا من حياتهم الماضية في تتبع قطعان صغيرة من الماشية أغنام وماعز على هوامش الصحراء الجافة، خبرة الرعي ومعرفة الصحراء لم تعد تغني عنهم شيء في حياة المدينة.

في هذا الصدد قمنا بتتبع مجموعة من أولاد نايل وأين يمارسون نشاطهم لاحظنا مجموعات صغيرة من الرجال يخرجون من بيوتهم مبكرين في ثياب بالية ينتظرون حافلة المدينة للتوجه إلى شركة توزيع الإسمنت في الطرف الآخر من مدينة تقرت بالقرب من محطة السكة الحديدية يقومون بملئ الشاحنات بأكياس الإسمنت ثم تفريغها من جديد في ورشات البناء، بعضهم يتوجه إلى سوق تقرت لممارسة بعض النشاطات التجارية الصغيرة أوالبسيطة، منهم الكثيرون الذين يمارسون النقل بواسطة العربات التي تجرها الحمير هي وسيلة النقل التي أدخلوها للمدينة ولاتزال إلى اليوم هي الوسيلة الفعالة في نقل البضائع في تقرت وهي حرفتهم الأساسية، الذين استطاعوا تكوين بعض الثروة منهم يملكون جرار أو شاحنة صغيرة لنقل مواد البناء. هي الممارسات التي يقوم بها هؤلاء في مدينة تقرت أساسا. في ظل غياب التأهيل للقيام بأنشطة أخرى، وضياع حرفتهم الأساسية في

تربية الأغنام التي أصبح بعضهم يمارسها في بيوتهم، او يعهد ببعض الأغنام لقريب له لا يزال في البادية، وأيضا التسرب الكبير الذي يشهده أبناؤهم من مقاعد الدراسة تبقى البطالة هي الطابع السائد تدل عليه مجموعا من الرجال يتحلقون طوال اليوم في شوارع حيهم عين الصحراء أمام بيوتهم مجموعات تترصف على طول الشوارع أعدادها قد يصل إلى عشرة من الرجال أوالشيوخ، في " *إنتظار المدينة* ".

هذه الأنواع من المهن التي اكتسبها البدو المتمدنون خاصة من أولاد نايل واستقرارهم في مناطق قرب المدينة المناطق التي تحولت إلى أحياء لتمدن البدو، قد كيف البدو حياتهم مع مهنهم الجديدة، لانجد منازلهم فيها من طرق الإهتمام بالواجهات أو إبراز أي نوع من المكانة الاجتماعية أوالإقتصادية وبالتالي تبدو تجمعات مساكنهم على درجة بسيطة من الانجاز والتهيئة يكتفون فقط بما هو ضروري من السكن أمام المسكن تبدو بقايا هياكل الشاحنات القديمة أو أكوام من الحديد والخردة وبعض الزرائب من أغصان النخيل غير مرتبة كما توضع أمامها وسيلة النقل التقليدية عربة بغل أوحمار. نلاحظ أيضا كثيرا ركام من الأخشاب أو أنابيب الحديد أو الأكياس الكبير وهي البقايا المجلوبة من شركات حاسي مسعود والتي مآلها لتجهيز زرائب أوالبيع في أسواق الخردة المحلية.



المصدر: إنجاز الباحث

الخريطة (12) حركة إقامة البدو وأنصاف البدو في مدينة تقرت

3.4.1. الوافدون من الشمال: إندماج أم إنتماء؟

منذ القديم والواحة تستقبل الوافدين من مناطق مختلفة، من الجنوب كما من الشمال وحتى من خارج الحدود الساسية، بما أن المدينة التاريخية تطورت في الأصل نتيجة نشاط قوافل التجارة، فإن المدن الصحراوية بطبيعة تكوينها كانت تستقطب وافدين من مناطق مختلفة حتى أضحى مجتمع الواحات مركب من مجموعات وفدت في مراحل تاريخية مختلفة.

إن أغلب المناطق التي وفدت منها عائلات من الشمال تتمثل أساسا في الشرق الجزائري، في مرحلة بعد الإستقلال وتنامي حركية التنمية بالمنطقة وقربها من منطقة حاسي مسعود وفدت إلى المدينة أعداد كبيرة من مناطق الزيبان والشرق الجزائري (تبسة، خنشلة، باتنة...) عمل هؤلاء في البداية في ورشات البناء أو بعض الشركات الوطنية. سكن معظمهم مع عائلاتهم في الأحياء الهامشية، وبمرور الزمن نتيجة فعاليتهم في النشاط الإقتصادي الجديد بدأت عديد العائلات تأخذ مكانة إجتماعية ضمن المجموعات الإجتماعية التقليدية، خاصة وأن مجتمع الواحات مجتمع منفتح على المجموعات الأخرى سرعان ما تمكنت العائلات الوافدة من الشمال من الإندماج ضمن التركيبة الاجتماعية للمدينة يظهر ذلك من خلال تملك العقار السكني في معظم الأحياء وحتى الأحياء التي تعد راقية.

المظهر الثاني والذي لاحضنا من خلاله مدى إندماج هذه الفئات هو نظام الزواج والمصاهرات التي جعلت من هذه الأسر تندمج ونهائيا في المدينة الصحراوية. هذا إذا إستثنينا مرحلة التسعينيات والتي شهدت توافد العديد من الأسر من الشمال على مدن الجنوب نتيجة الوضع الأمني في البلاد لكن الكثير منهم عادو مع تحسن الأوضاع الأمنية.

التحولات الإقتصادية لا سيما البطالة لا تزال تدفع بالعديد من الشباب في مناطق التل إلى مدن الصحراء بحثا عن العمل، في الشركات البترولية وورشات البناء وورشات الحرف، هناك ظاهرة ملفتة للنظر في مدن الجنوب وهي أنه من النادر أن تجد مقهى أو مخبزة أو حلاقا مثلا في أيام الأعياد لتكتشف أن هذه الوضائف يقوم بها في الأغلب شباب قادمون من الشمال. ما عدا محلات تجارة المواد الغذائية التي تكفل بها السوافة.

يتبين من خلال الملاحضات والمحادثات أن هذه الظاهرة ليست غريبة ولا مستجدة عن الواحات ومدن الصحراء ، فطالما أن المدن في الجنوب تتوسع تستقطب يد عاملة من الشمال بعضها يتمكن من الإندماج الإجتماعي بعد المهني، ليعيد انتمائه من جديد عن طريق الحصول على السكن والزواج لكن دون قطع الصلة مع مناطق القدوم الأصلية.

2. الإستراتيجيات الاجتماعية(الملكية، التعليم، السلطة).

2.1. عناصر التحول الإجتماعي الملكية، التعليم، السلطة.

إن التحولات في المجال الإجتماعي كما في المجال الإقتصادي، والتي هي في طور الحدوث، غيرت من البنية الإجتماعية، في منطقها وأيضا في مركباتها[1]، إنهـا في الحقيقة إعادة تشكل في طور الحدوث، المجموعات الاجتماعية التقليديـة وكمـا وقفنا عليه سابقا تتحول، مجموعات جديدة تتشكل، وإعادة توزيع إجتماعو-مجـالي إقتصادي معقدة تأخذ مكانها في هذا المجال المتحول هو الآخر المدينة الصجراوية.

لكن الملاحظ، بعد التحليل وتتبع مختلف الإسـتراتيجيات الإجتماعيـة، يمكـن استنتاج، أن التنظيم الإجتماعي الجديد يرتكز في جوهره على مفصلية بين العلاقات الإقتصادية، تحالفات سياسية وانتماءات سلالية وقاراباتية[2]، سـواء موجـودة فعـلا وفاعلة أم وهمية، إن الترقي الاجتماعي المرتكز على العائدات والمسيطر عليه مـن طرف مجموعة التجار ومجموعة من الملاك الكبار لواحات النخيل، العلم إن صـح القول والمهيمن عليه من طرف " إكليركية" (clercs) قديمة متجددة تتمثل في أإمـة وشيوخ و"طُلبة"، وتأثير الزوايا.

---

[1] **Said belguidoum**; *les groupes sociaux dans la ville : avoir, savoir et pouvoir* **in Marc Cote** (sous la direction de*) la Ville et le desert le Bas-Sahara algérien*,IRMAM KHARTALA Paris 2005.P245.

[2] **Said belguidoum :** Ibib,p254.

هذه المجموعات المهيمنة الجديدة، تتعايش مع بقية الشرائح التي تحولت بفعل التغيرات الشرائح البسيطة المؤلفة من صغار التجار، الحرفيين، والقرويين كملاك صغار للنخيل عمال يوميين...).

بعد أفول عالم القوافل التجارية التاريخية، وتراجع قيمة الإنتاج الفلاحي. والإندماج ضمن سلطة وطنية مركزية، غيرت هذه التحولات وبعمق الأسس التي طالما قام عليها التنظيم الإجتماعي. تعدد الأنشطة الإقتصادية وتحول أنماط التجارة وظهور نظام العمل المأجور، هي المميزات الأساسية التي ترسم معالم التشكل الإجتماعي الحالي. إن صعوبة رسم معالم بنية إجتماعية للمدينة اليوم يكمن في أن هذه التحولات لا تزال في طور التشكل من العناصر السالفة الذكر، كما أن مجال المدينة وإعتبارا من الفصل السابق والذي خصصناه للتحولات المجالية هو أيضا في طور الإنجاز والتشكل.

إن تحليل توزيع العناصر الأساسية (الملكية، التعليم، والسلطة) في التشكيل الاجتماعي يمر حتما من خلال دراسة الحقول الأساسية التي تشكل البنية الاجتماعية:

أولا: الحقل الإقتصادي الذي يتضمن الإنتاج وتوزيع الثروة.

ثانيا: الحقل الاجتماعي الذي يتضمن توزيع الـــروابط الاجتماعيـــة وعلاقـــات السلطة

ثالثا وأخيرا: الحقل الديني والرمزي أين تنتج من خلاله الشرعية الإجتماعية.

إن داخ كل حقل من هذه الحقول المترابطة ومن خـــلال الممارســـة والحيـــاة اليومية تنتج تدرجات تدفعها مجموعة من الرهانات، ولعـــل أهـــم رهـــان حســـب موضوعنا هو الرهان المجالي الـــذي يرمـــز إلـــى الرقـــي الأجتمـــاعي والنجـــاح الاجتماعي.

2.2. الإستراتيجيات الاجتماعية الجديدة من خلال الممارسات.

إن الإستراتيجيات المطبقة من طرف الأسر و المجموعات الاجتماعية في مجال دراستنا الميدانية في تقرت يمكن فهمها من خلال تتبع مثالين هامين- في نظرنا على الأقل - قادتنا إليهما الدراسة الميدانية النوعية مدعمة بالملاحظة والمحادثات وتحليلها.

الإستراتيجيات أولا في إطار قراباتي متعلق بالأسرة والمجموعة الاجتماعية من خلال الروابط القرابية والهوياتية تتم فيه التضامنات بدرجة عميقة وواضحة ضمن الأسرة الواحدة، أو العائلة الكبيرة، حتى وإن بدت متفجرة مجاليا واقتصاديا، مع التأكيد على أن ذلك لا ينطبق على كل المجموعات الاجتماعية بنفس الدرجة فكلما كان الأمر يتعلق بالبدو المتمدنين تكون هذه الروابط أوضح وأقوى وأكثر فعالية. تبقى التضامنات في شكلها المادي والمعنوي سواء كانت الأسرة تحتل مسكنا واحدا أو مساكن متفرقة، إذ يبقى التظامن بين أفراد الأسرة الواحدة فعالا يتعداه إلى التظامن القرابي في المجموعة الاجتماعية يتخذ شكل حلقات دائرية تضعف كلما إبتعدت عن المركز أي قوة نواة القرابة، مركز العائلة أو العشيرة

يظهر هذا التظامن القرابي في أوجه لدى المجموعات حديثة التمـــدن لتظهـــر فيـــه المجموعة في شكل شبه جسم متكامل حتى وإن إبتعدت أطرافه مجاليا وتشتتت بحكم ظروف السكن.

أما التظامن العمودي والذي يتقاطع مع الأول في مستويات مختلفة يعتمد علـــى وضع الأفراد في المجموعة، الإقتصادي والوطيفي ودرجة السلطة التي يحتلونهـــا، بهذا يتشكل نوع من النسق الفعال الذي يسمح لكل مجموعة بتوظيف كل أرصـــدتها من الروابط الاجتماعية وأرصدة أفرادها الاقتصادية، من خلال هذا التقاطع يمكـــن تفسير وتحديد مستوى الأسر والمجموعات الاجتماعية ودرجة فعاليتها في احـــتلال المجال كرمز لفعالية هذا التركيب.

لكن يبقى السؤال هو من يوظف من؟ هل هـــو اللاوعـــي الجمـــاعي لكـــل مجموعة، بهدف إعادة إنتـــاج روابطهـــا وبقائهـــا ومقاومـــة التحـــولات؟ أم هـــي إستراتيجيات أفراد تستخدم كل المقومات والأرصدة الاجتماعية الإقتصادية بهـــدف الترقي الاجتماعي؟ إذا غلّبنا الإفتراض الثاني، فنجد دلـــيلا مـــن خـــلال السـلوك الإنتخابي خاصة فيما يتعلق بالإنتخابات المحلية، إذ يهم الكثير من المترشحين إلـــى توظيف هذه الأرصدة الاجتماعية والقرابية أو بقاياها على الأقل. قد يتعلـــق الأمـــر

بخلاصة الطرحين معاً لتفسير معنى التحولات الاجتماعية في المدينة اليوم. يمكن إستنتاج ذلك من خلال نتائج العمل الميداني التالي:

كنا بصدد القيام بمقابلة مع أسرة من حي النزلة من أكبر أحياء مدينة تقرت يضم في الأصل أكبر مجموعات الحشاشنة، من جملة المقابلات الخاصة بالبحث اخترنا أسرة على أساس أنها أسرة معروفة في النزلة بنشاط رب الأسرة السياسي وتمثيله في المجالس المحلية فقد رحب بنا في منزله ليعرض لنا منزله وشكل تخطيطه ويحدثنا حول ظروف حيه ومدينته. دخلنا برفقته إلى منزله الكبير في حي المستقبل الجديد(إمتداد للنزلة القديمة) منزل ذو طابقين لاحظنا المدخل الخاص بالضيوف يؤدي إلى صالون واسع أثاث رفيع، عدد الأرائك والكراسي الموجودة توحي بأن هذا المكان يستقبل العديد من الناس، وقد وجدنا قبلنا مجموعة من الرجال كانوا في انتظاره لجملة من المسائل تتعلق بالانتخابات التي كانت على الأبواب علما بأنه أي صاحبنا كان يتهيأ للترشح لمنصب هام في التمثيل السياسي. اختلط شعورنا بين وجودنا في منزل عائلي أو في مقر حزب من الأحزاب، وقد سمح لنا بالحضور إلى الحديث الذي كان يدور حول التحضيرات، في الوقت الذي كان فيه الأبناء الكبار بتوزيع الشاي والحلوى على الحضور الذين يألفونهم جيدا. كل الحضور كانوا من الحشاشنة لاحظنا وجود شخص واحد من السوافة وكان مدير مدرسة حسب ما

عرفنا . معظم الحضور تربطهم قرابات من درجات مختلفة، الإبن الأكبـــر والـــذي جلس قربي كونه طالب جامعي يدرس الحقوق بين لي درجة القرابات بين الحضور الذي بلغ عددهم حوالي 12 فردا ثم سألته عن وظائف هؤلاء الأشـــخاص تبـــين أن أحدهم رئيس بلدية سابق وآخر مسؤول في البريد عدد من المعلمين وبعض المسنين من الأعيان. ومدير دار شباب . دار الحديث حول التجنيد في الحملة الانتخابية وما يستطيع كل عضو أن يقوم به، من العبارات التي لفتت انتباهنا هي اســتعمال كلمــة " ... هذا لينا ... وهذا خاطينا ... " كررت كثيرا ومن تتبعنا لطريقة استعمالها ومــن هم المقصودين بهذا التصنيف تبين أن هذه التصنيفات تبنى على أساس معقــد بــين الوظائف و المسؤوليات وأيضا القرابات الأسرية والاجتماعية فــي مركــب واحــد جاهز للتعبئة من أجل هدف واحد وهو ضمان توزيع من المنافع والمكنات المتناسب مع هذه التركيبة وبينت كيفية تنســيق الــروابط الاجتماعيــة لخدمــة المجموعــة الاجتماعية ومصالحها وبالضرورة مصالح الأفراد والعائلات التي تتشــكل منهــا. تجدر الإشارة أنه طيلة الحديث لم يشر إلى الحزب أو برنامجه. يصبح الحزب فــي هذه الحالة مجرد وعاء تنظيمي يحتوي هذه الاستراتيجيات الاجتماعية [1].

---

[1] خلاصة عمل ميداني، يوم الجمعة 09 فيفري 2007. النزلة تقرت (الباحث).

بالنسبة لأحياء أخرى رأينا أن نتعرف على موضوع الإستراتيجيات من خلال جولتنا في السوق المسائي الذي تعود أولاد نايل على إقامته في حيهم (عين الصحراء) وهو حي مثالي لتمدن البدو، أنشئ في بداية الثمانينيات لتثبيت بدو أولاد نايل بعد معاناتهم الطويلة في سكنهم القرابي على هامش مدينة تقرت وتم ترحيلهم مرارا وتكرارا حتى تم تثبيتهم النهائي في هذا الحي الذي كان أرضا مهملة تبعد عن المدينة بحوالي 03كم، أثار إنتباهنا ما يجري في السوق اليومي الذي يقيمه أولاد نايل قرب حيهم.

هو سوق صغير جدا في ساحة خارج السكنات يعقد كل مساء عادة بعد صلاة العصر – الصلاة لا تزال هي التوقيت الذي يظبط به السكان نشاطاتهم اليومية– ملاحظتنا الأولى هي التجمع الذي تم بين سكان الحي وآخرين قدموا من تقرت أي بعض من أولاد نايل الذين يسكنون داخل مدينة تقرت وأخرين قدموا من البادية تدل عليهم طريقة لباسهم وبعض الشاحنات العسكرية القديمة من نوع (ماجيريس الألمانية الصنع) المرقعة التي تضمن النقل من وإلى مناطق الهضاب المكانالأصلي لبدو أولاد نايل، السوق لا يحتوى على تبادل وسلع بل مجرد بعض الخضر أو اللحم المذبوح في المنازل رخيص الثمن في الأغلب لحم ماعز، نظرا لفقر السكان، وحتى إهتمام الرجال وهم الوحيدون في السوق مع بعض الأطفال

يدور حول التجمع والحديث وتلقي الأخبار. التفسير الوحيد الذي يفرض نفسه أن هذا المكان ليس سوقا بالمفهوم الإقتصادي بقدر ما هو مكان تجمع إجتمـاعي (lieu de socialisations) لهذه المجموعة الإجتماعية تبدو الروابط متينة بين سـكان عـين الصحراء وأبناء عمومتهم من سكان " البلاد " حسب تعبيرهم و سكان " الصحرة " . هي نقاط من السكن توحي بمراحل من التمدن المرن أو دخول المدينة على مراحـل والإندماج داخلها لكن دون التخلي عن الخطوط الخلفيـة التـي لا تـزال تـربطهم بأوطانهم وأراضيهم ، تدور الأحاديث التي استمعنا إليها عن أخبار المطر في البادية والمواشي وأسعارها – تبين أن كثير من سكان عين الصحراء يملكون مواشي يتكفل بها أقربائهم الذين بقوا في حياة البادية والعكس كثير من أثريـاء المواشـي البـدو يشترون قطع أرض أو منازل يسمحون للفقراء من أقربائهم في حي عين الصحراء بالسكن فيها مؤقتا. الأقرباء من سكان تقرت يأتي بعضهم كل مساء ليس للشراء بل لتوطيد العلاقات القرابية الضيقة والواسعة . أكبر إهانة يمكن أن توجـه إلـى رب أسرة يسكن المدينة هي أنه نسي أبناء عمومته وأصبح يتكبر عنهم أو بدأ في الحديث بلهجة سكان المدينة الحشاشنة . الموضوع الذي يستهوي الأحاديـث هـو الطريـق الجديدة التي تربط بين تقرت ومسعد، يعلق عليها أولاد نايل آمالا كبيرة فـي أنهـا ستعزز الروابط وتمنح للعاطلين والفقراء والذين لا يملكون مهنة تؤهلهم للاندماج في المدينة في أن تفتح لهؤلاء الذين طالما انتظروا المدينة أن تحسن أحوالهم الاقتصادية

لكنها عزلتهم في نظرهم أن هذه الطريق سوف يستعيدون بها مكانتهم وتمكنهم من زراعة أراضيهم التي خلفوها ورائهم أو غير ذلك من الأعمال[1].

من خلال المثالين الذين أدرجناهما بخصوص الحشاشنة في النزلة وكيف يحضرون للإنتخابات وأولاد نايل في حي عين الصحراء والروابط القبلية النشيطة والتي لاحظنا فعاليتها في السوق المسائي الذي فسرناه على أنه مكان إجتماعي بالدرجة الأولى، نفهم الكثير من الإستراتيجيات التي تطبقها هاتين المجموعتين الاجتماعيتين البارزتين الأولى في مواجهة تحولات تشهدها المدينة في محاولة ترسيخ مكانتها ومكانة أفرادها، والثانية في تعزيز الروابط القرابية للمحافظة على كيان قبلي تهدد المدينة بتفكيكه، ومحاولة ربط هذه المجموعة بخطوطها الجغرافية والهوياتية للتعويض عن فشل تجربة تمدن مروا بها منذ الإستقلال في بقائهم منعزلين عن المدينة خاصة في مجال الوظائف والأنشطة التي لم تهيء لهم المدينة أسبابها، وعزلهم المجالي في حي وضع أصلا كمنطقة على هامش المدينة وبقي دون توسع حتى حوصر بالتوسعات الجديدة.

[1] ملاحظات ميدانية 2007.

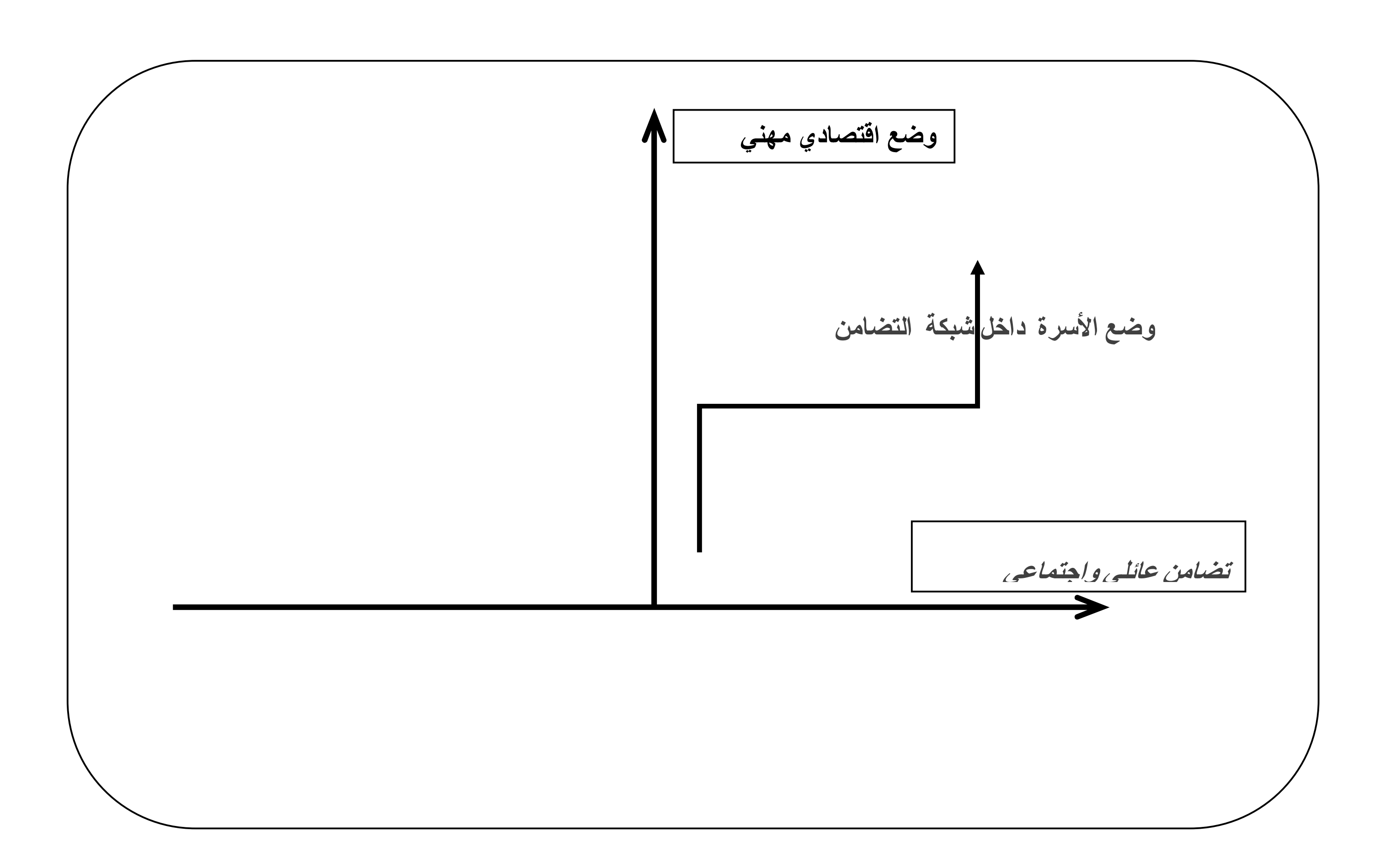
في نظرهم وحسب تصريحاتهم قد إنتهى ذلك العهد الذي كان فيه أهل المدينة يستقبلونهم فيه كل خريف بالترحاب عندما كانوا يخيمون على أطراف الواحة ليشتغلوا في جني التمور، اليوم المدينة تعاملهم على أساس أنهم يقتسمون المجال معهم ولم يستطيعوا الذوبان ضمنهم، كثير من العوائق الاجتماعية والنفسية ، ولذلك فهذه المجموعات الاجتماعية الآن تتقاسم المجال أكثر من كونها تتعايش وتتكامل كما كان في الماضي، هذه المواجهة غذتها دون قصد ربما طريقة تخطيط وتسيير المدينة المؤلفة أصلا من مركبات إجتماعية مختلفة تحاول التمسك بهوياتها، يمكن أن تتكامل والتاريخ أثبت ذلك لكن هل يمكن تؤدي هذه الإستراتيجيات إلى ذوبان هذه المجموعات الاجتماعية المتمايزة في الأصل في بعضها من خلال المدينية الجديدة، أم تصنع لنفسها تمايزات جديدة وهويات جديدة، هي خلاصة هذه الإستراتيجيات.

3.2. الروابط السلالية التقليدية بين الرمزية والواقع.

إن توزيع المجموعات الحالي والقائم أساسا على قواعد سوسيو-إقتصـــادية، يبقى غير كاف لوحده في حقيقة الأمر لفهم حقيقة البنيات الاجتماعية التي تتشكل في هذه المدن. فمنذ قرون عديدة والعلاقات والبنيات الإجتماعية لمجتمعات الصـــحراء كانت منظمة من خلال الروابط القرابية التي هي في الأساس تشكل بنية الأســـرة ، العائلة، العرش، أين أعضاء كل تشكيل من هذا يدعون الإنتماء لجد مشترك (ســـواء كان حقيقي أم رمزي)، من خلال قاعدة سلالية أبوية، والمصاهرات القائمـــة علـــى الزواج وانضمام الأنثى إلى مجموعة جديدة تشكل التحالفات التي تشـــكل بـــدورها "الفدرالية القبلية"، من خلال زواجية داخلية endogamie قوية، أين تصبح العـــائلات الكبرى هي المنظمة لهذه الرمزية.

في الوضع الحالي هذه التنظيمات الاجتماعية تجد نفسها فـــي المدينـــة، فـــي الأحياء الحضرية، في مساكن فردية وجماعية. إن العلاقات السلالية لاتزال تحـــدد المسار العمراني والفعل الإجتماعي في المدينة وفي الواحات، التملك والسلطة يمران حتماً عبر الإنتماءات القرابية التي لا تزال تشكل الحامي للبنية الاجتماعية، ولا تزال تشكل رأسمال اجتماعي فاعل وواقعي. هذه الروابط الإجتماعية هي ليست في الواقع مجمدة. إن التفاعلات بين المجموعات الاجتماعية داخل المدينة، المدن فيما بينهـــا،

الحضريين القدامى والبدو المتمدنين، تؤدي إلى تحالفات جديدة من خلال مصاهرات جديدة، إنها تشكلات جديدة تخترق البنيات التقليدية إستجابة لحتميات المدينية الجديدة تعيد تعريف الروابط السلالية من جديد من خلال تعقيدها أكثر فأكثر.



المصدر: إنجاز الباحث

الشكل (13) مخطط يوضح شبكة التضامنات الأفقية والعموديةعند المجموعات الاجتماعية في تقرت.

3. المجال الحضري، تمثله والمخيال الذي يحمله عند سكان المدينة.

التمثلات هي أنساق من المرجعيات تسمح للفرد والمجتمع بتفسير ما يحدث حوله[1]، إن التمثلات متعلقة بالموقع الذي يأخذه المتحدث في المجتمع، الموقع الاقتصادي أو الاجتماعي، الفرد ينشأ لنفسه تمثلا لمحيطه وتحولاته من خلال حياته ويومياته ومعارفه، في الميدان، الأنثروبولوجي يقوم بعمل مضاعف، إنه يلتقط معطيات ويشارك في حياة المدروسين من أجل الفهم أكثر، ويفسر السلوكيات خاصة الكلامية منها يعزز فهمه بأنساق ثقافية أودينية لبناء تمثلات ذهنية وعامة لهؤلاء[2] ، وما يهمنا منها هو تمثلهم للمجال الذي يعيشونه، إن محاولة معرفة الطريقة التي يعيش بها الأفراد والمجموعات مسكنهم وحيهم ومدينتهم، ويرون بها انتمائهم خصصنا لها جانب هام في محادثاتنا مع السكان في ميدان دراستنا باختلاف المجموعات الاجتماعية التي ينتمون إليها والأحياء التي يقطنونها من المدينة.

الملاحظات في الميدان قادتنا إلى اتباع وجهة النظر النفسية الاجتماعية psycho-sociale للحضرية، مجال / مجتمع، في تحليلها المجال espace يمكن أن يكون عاملا لإحداث الرابطة الاجتماعية، مع تحولاته أيضا إذن ومن وحي التحليل بين

---

[1] **Dan SPERDER** « *L'étude anthropologique des representations : problèmes et perspectives »* in Les représentations sociales sous la direction de Denise Jodelet, sociologie d'aujourd'hui PUF Paris 1989. pp 115-130.

[2] **Dan SPERDER** ibid, p 122.

الأسر والمجموعات الاجتماعية، فان السكن والاقامة في حي من الاحياء يتحول إلى رهان اجتماعي للمجموعة المحلية، ناقل(vecteur) لرمز لترقي الاجتماعي. هناك الرابط العاطفي بين الساكن ومسكنه، هذا المكان المشحون بالرمزية فالتمثل الاجتماعي يتكون من خلال رمزية بعد تحليلها يمكن أن تقودنا إلى معرفة معنى هذا الشيء الذي هو المجال عند سكانه، وعلاقتهم به وميكانيزمات إنتاج تعريفهم لهويتهم من خلال احتلاله وتملكه.

ننطلق في تصورنا من فرضية أن ما يوجه تمثلات السكان هو مكان قدومهم من خلال أقدميتهم في الحي والمدينة .و من خلال تدخلاتهم في منزلهم وبنائه أو تهيئته تحدد مصالحهم وأهدافهم. للرمزية أيضا دور هام في تفسير طريقة التفكير والعلاقة العاطفية مع المجال سواء كانت المدينة، الحي، أو السكن، من خلال مجموعة من الطقوس الممارسة يمكن الولوج إليها بمعايشة السكان أثناء تأدية هذه الطقوس ومحاولة الوصول إلى تصوراتهم المتعلقة بالمجال والسكن بدرجة أخص...

1.3. تمثل المجال الحضري في خطاب سكان المدينة.

1.1.3. تمثل المجال عند الحشاشنة.

نظرة السكان في المدينة لمجالهم وتصوراتهم حوله هي التي تحدد ممارساتهم واستراتيجياتهم، السؤال الذي حاولنا طرحه في مسار محادثاتنا مع السكان، بهـدف استجلاء تصورهم لإنتمائهم لهذا المجال الذي يحتلونه ويعيشونه؟ نصه: ما معنـى أن تكون (تقرتيا) في نظرك؟

إنطلاقا من فرضيتنا الأولى حول إختلاف التصور للمجال وتمثله إنما يختلـف في مجال دراستنا حسب إختلاف المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد فمثلا إذا ما وجهت السؤال لشخص من " الحشاشنة " حول انتمائه وعلاقته بمدينتـه[1] ، إذا كان الأمر يتعلق بتمييزه عن مناطق أخرى من تقرت، مثلا في محادثـة مـع أحـد الحشاشنة:

[1] قمنا بتوجيه السؤال ضمن تقصياتنا النوعية والمقابلات الميدانية في النزلة على العديد من السكان بمختلف المستويات التعليمية، وفئات الأعمار (الطالب).

" أنا من تقرت... نسكن في النزلة...تقرت تخلطت اليوم، والتقارته هم الرواغة بكري... رجال الحشّان، صُلاّحْ البلاد هم أُمّاليها، ناس تقرت يقبلوا البراني..."

المقصود بهذا الجواب قد يفسر على كونه تصريحا بالانتماء أو بهوية ، تميزه عن غيره من سكان المدينة، كونه حشاني يسكن في النزلة (يعزز ذلك لون بشـــرته السوداء)، فهذا بالنسبة إليه الدليل على إنتمائه للحي وللمدينة، وأن آبائه هـــم أهـــل المنطقة، ونظرا لتقبلهم الآخر مما جعل المدينة تحتوي على مجموعـــات اجتماعيـــة مختلفة وهذا طبيعي بالنسبة إليه.

أما إذا كان الأمر يتعلق بتمييزه عن آخرين من خارج المدينة يجيب *"... أنـــا من تقرت...* "، المحادثات التي أجريناها تحمل الكثير من الدلالات حول مسألة تمثل الحشاني لمجاله في الحي وفي المدينة. منذ جيل واحد أوجيلين في فترة الاســـتقلال تحول هذا التمثل كثيرا من الروابط المحلية الضيقة إلى مجال واسع بفضل المدرسة والجامعة والخدمة الوطنية وأيضا الشركات الوطنية والبترولية جعلت هذه المجموعة الاجتماعية في ظرف قصير تمدد مـــن روابطهـــا ســـواء الأســـرية والاجتماعيـــة

والإقتصادية إلى مستوى الوطنية، لم يعد ذلك الشعور بمشكلة لون البشـــرة يشـــكل عائقا ولا الحرفة في وجه أبناء الحشاشنة اليوم.

"... أنا أشتغل موظف في التعليم متحصل على ليسانس درست في العاصـــمة وأخي الأصغر مني ضابط في الجيش، الوالد إشتغل سائق شاحنة في شركة وطنية، ولدي إخوة منهم في الجامعة خاصة البنات اللواتي نجحن في الدراسة، تزوجت منذ عامين وزوجتي من مدينة قسنطينة ولدي ثلاثة أبناء، كنا نعيش في المنزل القديم في النزلة أما الآن نحن نبني مسكنا جديدا كبيرا ... ".

الجزء من المحادثة هذه مع أحد أبناء الحشاشنة توحي أن الأسرة الحشانية اليوم هي أسرة من النموذج الوطني إنفتحت أمام الأبناء آفاق التعليم والوظيفة والـــروابط الاجتماعية المنفتحة وإمكانيات الترقي الاجتماعي وبالتالي فـــإن تصـــور المجـــال الاجتماعي خاصة تمدد ليشمل كل هذه الروابط والنشاطات النزلة لم تعد تعني لهـــم سوى محل إقامة بالدرجة الأولة ثم مصدر لإستمداد الهوية المربوطة " بالصالحين " الذين زرعوا النخيل وبنو القصور.

2.1.3. تمثل المجال عند البدو المتمدنين.

أولاد نايل وعلاقاتهم بالمجال الذي يعيشون فيه في المدينة، كونها تبرز وإلى حد بعيد قضايا التمدن في مدن الصحراء، وتحول مجتمع قبلي إلى حياة المدينة بشكل منعزل عن المدينة تشكل تجربتهم مرحلة حية لما شهدته مجموعات أخرى قبلهم من قضايا التحولات وقضايا تمدن البدو في واحات الصحراء.

من خلال تجربة العمل الميداني في المدينة تقرت بمختلف أحيائها، خاصة الأحياء التي تسكنها أغلبية هامة من البدو القدامى، قصدنا السوق المسائي الذي يقام كل يوم وسبق أن لاحضنا بأنه مكان للربط الاجتماعي لهذه المجموعة بين مراحل متعددة من التمدن أكثر من كونه سوقا لتبادل السلع، بحضورنا في مجموعة أثرنا حركة كبيرة من الفضول خاصة عند مجموعة كبيرة من الأطفال التي تجمعت حولنا في منظر أحسسنا من خلاله أننا كنا نبدوا كجسم غريب عن هذا الجسم الاجتماعي المتماسك في مجاله المحدد، ولما كنا نتجول في الحي ونسجل ملاحضاتنا متوجهين صوب النزلة القديمة تبعنا الأطفال في جلبة كبيرة لكن الملفت للإنتباه عندما توقف الأطفال عن السير معنا في نقطة معينة بين الحيين النزلة القديمة وحي عين الصحراء مسجلين بذلك حدود مجالهم في تصورهم ودون أن يكون ذلك مميزا بإشارة مادية معينة فقد فهم الأطفال النقطة التي يجب أن يتوقفوا عندها وهي في

نظرهم مجالهم الخاص، قد نقل هولاء الأطفال بصورة ما في نظرنا تصور الكبار لهذا المجال الذي يعيشون فيه وأن حدودا معينة تفصلهم عن باقي سكان النزلة " ... ناس البلاد..." كما لايزالوا يسمونهم منذ أن كان أولاد نايل ينصبون الخيام بالقرب من المدينة منذ عقود مضت.

الزيارات الميدانية التي قمنا بها لمجموعة هامة من المنازل في الأحياء المختلفة من المدينة تؤكد وبدرجة هامة الاختلافات بين المجموعات الاجتماعية المكونة للسكان من جهة ومن جهة أخرى تجعلنا نلج إلى عالم مليء بالطقوس والرمزية " *الدار* " كما يسميها سكان المنطقة هذا الفضاء المغلق ... بصورة عامة يعني المكان، المحيط، الرقعة الجغرافية التي تحتوي الحركات والأشياء ، وإذا كانت " الدار " شكلا فضائيا جغرافيا وهندسيا وثقافيا واجتماعيا متميزا بتميز الإنسان الذي بناه تلبية لرغباته المعاشية...[1] ، كما هو الحي ممثلا للإنتماء والهوية الإجتماعية ، المنزل يعبر عن العائلة وعن شخصيتها ومميزاتها والصورة التي تود إيصالها لمحيطها، كلمة يستعملها الحشاشنة " حنومة " والمقصود بها نحن، أو كلمة " دارنا " ويختلط هذا المعنى بين الدلالة على المنزل أو الأسرة أو المرأة، العناصر التي

[1] **محمد سعيدي** ، "*الدار- المرأة " رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية*، **في إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ، عدد 2 خريف 1997 ص 07.

تذوب في بعضها للدلالة على مسمى واحد، هو المجـال البيتـي الملـيء بالـدلات والمعاني الهوياتية والرمزية.

خلاصة الفصل

المجال ليس محايدا، إن المجال الإقاماتي والسكني في قناعتنا بعد هذا العمل الميداني كنموذج عن المدينة الصحراوية اليـوم، مـاهو إلا تعبيـر عـن الهيكـل الاجتماعي والتمثل الاجتماعي لساكنيه، إذ هو تعبير عن العالم السوسيو- ثقافي لهذا المجتمع في التحول، يعد عالما للتعبئة والرهانات والهوية، عاكسا للهيكلة الاجتماعية والأسرية الجديدة.

التخطيط الرسمي والمؤسساتي المطبوع بالعقلانية العصرانية والـذي يفـرض نماذج وحلول مصدرها الدراسات والتخطيط والذي تم في معظمه علـى مسـتويات رسمية ووطنية لم تطلع بصفة كافية على نمط حيـاة هـؤلاء السـكان وحاجـاتهم المعنوية والكيفية وعلاقاتهم الاجتماعية وحدود مجالاتهم التي يرسمونها ويحـددونها فيما بينهم كمجموعات تحتل فضائات هي تعبير على هويات اجتماعية وثقافية نلاحظ أنها تترسخ وتزداد كلما إشتدت حركة العولمة، في بحث كل مجموعة وكل فرد عن

ذاته وكيانه، هذه المخططات التي جلبت العمارات ذات الطوابق والسكنات الضيقة إلى الصحراء الواسعة، كان لابد لها أن تصدم مع المنطق الاجتماعي والثقافي المحلي لتنتج عنها تركيبة جديدة هي المحصلة للتمازج بين المنطقين.

إن التحولات المجالية التي شهدتها منطقة الدراسة هي تحولات عميقة، غيرت في فترة وجيزة نسبيا نسقا دام قرونا طويلة، الممارسات المهنية الجديدة أعادت تصنيف المجموعات والنخب في هذه المنطقة، الحشاشنة تحولوا من فلاحين إلى وضائف وأنشطة جديدة سمحت بها ظروف الإندماج في المجتمع الوطني العام، أما البدو المتمدنين فقد كانت مراحل تمدنهم هي محطات إكتساب وظائف جديدة، هذه الوظائف والأنشطة ساهمت أيظا في التوزيع المجالي الجديد، المجموعات مستفيدة من الوضع التقليدي والتضامنات الاجتماعية والأسرية وتركيبها في شبكة فاعلة مع الوضع المادي والسلطوي للتمركز في المجال وتملكه بطريقة ليست محايدة هي الأخرى، إنها تعبير واضح ومتعمد عن الهوية الاجتماعية والإقتصادية الجديدة، من خلال تمثلات السكان لمجالهم وما يعنيه لهم المنزل، الحي، المدينة، تصنع الأسرة والمجموعة لنفسها إنتماء وبالتالي هوية.

الفصل السابع:

السكن والبنية الأسرية والزواج، الرهان العقاري والهوياتي

مقدمة الفصل

1.الأسرة في تقرت وتغير نمط السكن والتساكن.

2.الممارسات المتعلقة بالمجال السكني في المدينة ومسألة التحولات.

3.الزواج عند المجموعات الإجتماعية، بين انفتاح الامكانيات وترسيخ الشبكات التقليدية.

خلاصة الفصل

مقدمة الفصل

إن دراسة كهذه، تتعلق بالتحولات الاجتماعية و علاقتها بالمجال في مدينة من مدن الصحراء الجزائرية (تقرت)، لا بد وأن يكون موضوع السكن والتساكن من فصولها الأساسية، نوعه وشكل بنيته وتطورها، وأيضا طرق احتلاله وتملكه والعيش فيه. وبما أن السكن هو مجال العائلة ومقرها، فإن هذه الأسرة تبنيه و/أو تحتله على منوالها، وتشكله على طريقتها، وتعيشه حسب ثقافتها. إذن وللتمعن في تحولات بنية هذه العائلة ودراسة وضعها الواقعي يجب دراسة السكن والتساكن أي صيغ التعايش ضمن هذا المجال السكني، في هذه المدينة وتحولاته المختلفة للوقوف على عمق الواقع الإجتماعي المجالي واستكشاف الإستراتيجيات المجالية الإجتماعية والأسرية والتمثلات والممارسات المتعلقة بالمجال السكني داخل المجال الحضري في مدن الصحراء اليوم.

الزواج وعلاقات المصاهرة الجديدة هي بدورها عامل هام في نظرنا وذلك لتتبع الميكانيزمات الجديدة التي تحكمها، والزواج كمؤسسة ثابتة في المجتمع تنجر عنها وضعيات اجتماعية وعلاقات اجتماعية جديدة، وحتى حقوقية ومجالية لا بد من المرور عبر دراستها لقياس مدى حضرية هذه المجموعات ومدى

ترسيخها في مدينية حضرية. كون الزواج لا يزال مؤسسة تتعلق بالدرجة الأولى بالعائلات واستراتيجياتها الاجتماعية.

1. الأسرة في تقرت وتغير نمط السكن والتساكن.

1.1. الأسرة في المجال السكني.

إن هيكلة أو بنية الأسرة هي التي تؤثر بشكل مباشر على المجال السكني من حيث شكله ومنوال شغله والعيش فيه، إذ بتحول هيكل النشاطات بالاندماج في هيكلة اقتصادية وطنية شاملة ضمن المجموعة الوطنية العامة، الذي حول بدرجة كبيرة منطقة الصحراء في العشريات الأخيرة، خاصة مجال دراستنا إذ شهدت هيكلة الأسرة في هذه المنطقة كغيرها من مناطق الوطن تحولات عميقة أثرت على نوع السكن من حيث هندسته أو من حيث وظائفه وتمثله.

بين الأسرة التقليدية الممتدة في مجتمع الحشاشنة، والأسرة داخل العرش والقبيلة بالنسبة لعالم البدو الذين تثبتو "حديثا"، أو الأسر والعائلات القادمة من مناطق الشمال في فترات تاريخية مختلفة، هناك إعادة لتركيب الروابط الأسرية والاجتماعية و تغير في الممارسات وفي التمثلات والإستراتيجيات، نحاول تتبعها والكشف عنها من خلال مقاربات متنوعة (كمية ونوعية) مركزين على النوعية منها، لاكتشاف وضع الهياكل الأسرية داخل مختلف المجموعات والأوساط

الاجتماعية التي تؤلف المجموعات الاجتماعية، التي تشكل أوساطا اجتماعية متميزة لكل منها علاقاتها مع المجال السكني والإقاماتي.

منهج ومجال المقاربة التقصيات النوعية التي تركز على المحادثات والملاحظات المباشرة مدعمينها بالإحصائيات المتوفرة خاصة الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 و 2008 على سبيل المقارنة، و بتدعيم معطياتنا بنتائج الاستجواب الميداني الذي مس ما يقارب 550 أسرة من المدينة وزع على مختلف سكان الأحياء المختلفة. بالإضافة إلى ذلك رأينا أنه من الضروري الاستفادة من سجلات عقود الزواج في الحالة المدنية للبلديات ومقارنة عقود الزواج لعدة سنوات في مواضيع أنواع الزيجات وحركيتها وتطورها.

إن هذه الأدوات المتنوعة وفرت كمية هامة من المعطيات الكمية والنوعية Qualitative بتحليل دلالاتها يمكن أن ترسم لنا صورة أكثر وضوحا للهياكل الأسرية في مجال الدراسة وعلاقاتها بمجالها السكني والإقاماتي أي الأحياء وبالمدينة بشكل عام وبالمجموعات الاجتماعية المشكلة للنسيج الاجتماعي في المنطقة، كل ذلك قصد الوصول إلى تحديد أنواع التعايش داخل المجال العمراني والتحولات التي طرأت عليه، ومنه استكشاف ممارسات الحياة اليومية المتعلقة بالمجال العمراني في هذه المنطقة من الصحراء الجزائرية حاليا.

كمعطيات أولية إنطلقنا من الجدول التالي الـذي يبـين توزيـع السـكان والسكنات في مدينة تقرت وأيضا عدد الأسر ونسبة التشغيل، معطيات من شـأنها أن تعطينا فكرة عن مستوى المؤشرات السكنية ومقارنتها بالنسب الوطنية وأيضا مقارنة الأحياء ببعضها في المدينة، هذه الأحياء في حقيقة الأمر تمثـل أوسـاط اجتماعية:

جدول(**10**) **توزيع السكان والمساكن في بلديات مدينة تقرت.**

الأحياء أو البلديات	المساكن المشغولة	عدد الأسر	عدد السكان	السكان المشتغلين	نسبة المشتغلين	عدد الأفراد في السكن
النزلة	6777	7695	51674	14895	%44.4	7.6
تقرت	5782	6389	40378	11299	%41.9	7
تبسبست	4760	5513	35032	11165	%48.1	7.4
الزاوية العابدية	2506	2982	19993	5191	%39.5	8
مجموع	19825	22579	147077	42550	%43.4	7.5

المصـدر : 5ème Recensement general de la population et de l'habitat 2008 .Wilaya de Ouargla N°527/30

من هذه المعطيات الإحصائية الرسمية الأولية، نلاحظ أولا مـــدى تطـــور الديناميكية العمرانية في هذه المدينة ببلدياتها الأربع والتي تتقاسم نفـــس النســـيج العمراني الحضري إذ بلغ عدد المساكن المشغولة مايقارب 20 ألف دون احتساب غير المشغولة فعلا أو الموجهة لنشاط آخر غير السكن تحوز بلدية النزلة العـــدد الأهم بحكم عدد السكان الأكثر بين البلديات. مقارنة بإحصاء ســـنة 1998 التـــي بلغت 15073 وبعد عشر سنوات كانت الزيادة حوالي 5000 مســـكن مشـــغول. والتي تتناسب مع زيادة عدد الأسر من 17037 سنة 1998 إلـــى 22579 ســـنة 2008 بزيادة قدرت 5542، بالرغم من ذلك تبقى مشكلة السكن حاضرة كـــون مهما كانت طبيعة الديناميكية العمرانية فالزيادة السكانية لا تزال مرتفعـــة كـــون الزيادات الكبيرة التي شهدتها البلاد في العشريات السابقة أفرزت الآن من هم في سن الزواج والطلب على السكن. أما عدد الأفراد في السكن فمحصل 7.5 يقترب من التقدير في الولاية ورقلة ككل 7 أفراد لكنه يبقى أكثر من المعـــدل الـــوطني الذي سجل 6.4 سنة 2008. أما بالنسبة للفئة من الســـكان المشـــغولين 43.4 % فهي أثر من المعدل الوطني 31.9 %. هذه الأرقام والمتصفة أساسا بالرسمية[1] قد تعطينا فكرة عامة عن وضع الأسر وعلاقتها بالمجال السكني، والتي لا تختلـــف كثيرا عن ماهوواقع على المستوى الوطني الذي يبرز أولا الديناميكية والحركيـــة الكبيرة التي تشهدها البلاد في هذا المجال. لكنه يبقى ناقصا فـــي إبـــراز الواقـــع

[1] 5éme Recensement général de la population et de l’habitat 2008 .Wilaya de Ouargla N°527/30 (ONS).

الاجتماعي والأسري من خلال الممارسات اليومية والحياتية لهؤلاء السكان كيف يعيشون مدينتهم اليوم.

أما من حيث النوعي فيمكن تتبع حالة من الحالات التي أجريت معها الدراسة النوعية من خلال المحادثات لتحديد مسارها السكني والإقاماتي ، هي أسرة من الحشاشنة سكنت حي النصر الجديد (بالنزلة) سنة 1999، رب الأسرة أستاذ في التعليم الثانوي عمره 57 سنة زوجته وأبنائه السبعة أربع ذكور وثلاث بنات وأمه وأخته غير المتزوجة الإبن الأكبر عمره 17 سنة والبنت الصغرى عمرها سنتين، يقول لنا:

" ... أسرتنا الكبيرة من الحشاشنة ، الجد كان فلاحا يملك مجموعة قليلة من النخيل ويعمل خماسا في نخيل أحد الملاك ، يسكن في النزلة القديمة في منزل كبير من النمط التقليدي بالطين والجبس... الجد كان له زوجتين والدي كان الإبن الثالث من الزوجة الأولى تزوج من أمي التي هي بنت عمه حسب التقاليد ... كانت أسرة جدي التي تربينا فيها متعددة الأفراد كلهم يعيشون من الفلاحة ...في سنوات السبعينيات والدي يتوظف في شركة للمياه كبناء الوظيفة التي جعلته يتحصل على أرض للبناء بحي بومرداس ويبني لنا بيتا مستقلا عن أعمامي في هذا الحي وبقينا به حتى تقاعد الوالد ثم وفاته في سنة 1991 وكنت

آنذاك أشتغل بالتعليم مع أخي الذي يشتغل في البريد ...تزوجت سنة 1981 من فتاة من النزلة بعد ذهاب أخي للعمل في حاسي مسعود ، تحصلت على قطعة أرض بحي المستقبل في النزلة وشرعت في بنائه بعد أن بعت حصتي من البيت القديم واستعملت مداخيلي الشخصية في بنائه ... أخذت الولدة للعيش معي وأختي غير المتزوجة ... هذا السكن الجديد الذي بنيته في مكان ملائم مقابل الشارع الرئيسي هو مستقبل العائلة إني أبنيه من أجل أولادي حتى يكونون في أمان ... هو كبير يسع الجميع ويمكن لهم الزواج فيه مستقبلا..."

في هذا الجزء من المحادثة التي تمثل بالتقريب مسارا نموذجيا يتكرر كثيرا بالنسبة لعائلات الحشاشنة في النزلة وفي الأغلب بالنسبة للبلديات التي كانت في الأصل قصور مجاورة لتقرت. المسار السكني المتبع يبدأ من الدار التقليدية التي ضمت أسرة الجد المركبة المرتبطة بواحة النخيل في الحي العتيق، التحولات الأولى بدأت لهذا المجتمع في السبعينيات عندما انفتحت الوظائف لتستقطب عدد كبير من الرجال القادرين على العمل نحو الشركات الوطنية في الجهة أو في حاسي مسعود هذه الهجرة التي غيرت كثيرا من ثقافتهم المحلية ومن نوع علاقاتهم بالمجال ، تتوافق هذه التحولات مع التوسعات العمرانية في الأحياء التي بنيت كتوسيع للنزلة القديمة والقصور الأخرى (تبسبست، الزاوية) سجلت التحول عن النسق القديم ، هذه المرحلة التي أسست لجيل آخر من الحشاشنة الذي يتوسع

بدوره في الأحياء الجديدة ، هذا المنزل الكبير الذي يؤسس له محاورنا " ... *دار المستقبل*..." حسب تعبيره والذي يعبأ من أجله جل مداخيلــه بــالرغم مــن أن أسرته صغيرة وبسيطة لكن المشروع الذي هو بصدده إنما هو بالتأكيد أكبر مــن الواقع الحالي لهذه الأسرة فهو يفكر عندما يتم تزويج الأبناء الأربعــة والتوســع عموديا ، المنزل ذو الطابق الأرضي والقاراج و" البهو " والحــوش والصــالون وصالون النساء، ومكتب عمله والحمام هي عناصر مركبة بين عناصــر البيــت القديم والعناصر الحديثة، وحديد البناء البارز على السطح هو في انتظار زيجات المستقبل ليتم بناؤه كطابق آخر.

من دراسة حالة أخرى تمثلت في محادثة مع رب أسرة مقاعد كان يعمــل في شركة بترولية في حاسي مسعود عمره 62 سنة يسكن بيت كبير فــي حــي ببلدية تبسبست.

"... أنجزت مسكني عام 1989 بعد أن عملت سنوات كثيــرة فــي حاســي مسعود، كافحت كثيرا من أجل الأسرة ومن أجل بناء المنزل الذي كلفني الجهــد والوقت، تحصلت عليه قطعة أرض من البلدية عام 1986 الآن والحمد لله البيت كبير نعيش كلنا فيه في مكان جيد، لي سبعة أبناء وبنت واحدة، لما تزوج أبنــائي

الكبار قمنا ببناء الطابق الأول وأخذ كل منهم جناح خاص به مع زوجته، أحدهما تاجر والثاني موظف..."

إن محاولة إعادة تشكيل " العائلة" الكبيرة تظهر ملامحه واضحة، بالنظر أيضا لظروف أزمة السكن التي سهلت هذا التوجه، رب الأسرة يقرر من البداية إنشاء منزل كبير مركب من عدة شقق أو أجنحة للأبناء بالزواج فيها لتتكون العائلات بتفرعات (En souche) ، كل زوج يحتل جناح بدرجة من الإستقلال يكون تناول الوجبات معا هو العامل المحدد لدرجة الإستقلالية النسبية ، هو نمط ثقافي يسمح بنسبة معينة من الاستقلاية للأسرة الصغيرة المحتواة في الأسرة الكبيرة ، أما في الخارج فينظر لهذه الأسرة على أنه وحدة عائلة كبيرة. حالات متعددة تمت مسائلتها حول الموضوع ، يتوقف هذا الإنجاز على نوع الوظيفة والمداخيل الإقتصادية التي تجعل المشروع العائلي ممكنا، ،أيضا دور المرأة وبدرجة أهم في ترتيب الزيجات المستقبلية للأبناء، معظم العائلات التي قابلناها والتي هي بصدد مشروع من هذا النوع تولي أهمية كبيرة لقضايا اختيار الزوجة " *المناسبة* " وبالضرورة المناسبة لهذا المشروع الاجتماعي المجالي.

أما بالنسبة للبدو المتمدنين فالتغير الذي لحق بهذه المجموعات الاجتماعية منذ الخمسينيات على الأقل قد أثر على جانب كبير من نسق حياتهم وطريقة حياتهم، إن نظام القبيلة الذي يقوم على عدد من الوحدات القرابية. عوامل التغيير والتحول التي بدأت مع عمليات التمدن والتثبيت في واحات الجنوب وتغير العلاقات الاقتصادية واندماج هذه الفئات في اقتصاد المدينة تقرت طرأت عليه تحولات في البنية الاجتماعية وفي العلاقات الأسرية والعلاقة مع المجال سوف نستعرض بعض الأمثلة عن مسار مجموعات من البدو المتمدنين عبر محادثات معهم.

أسرة من البدو المتمدنين متكونة من ستة عشر فردا يعيشون في منزل واحد بحي (عين الصحراء النزلة) زوجته وخمسة أبناء وثلاث بنات وزوجات أبنائه الثلاثة المتزوجون. استقبلنا كعادة البدو أمام منزله المتواضع وجلسنا بالخارج على فناجين من القهوة، وكان يظننا من الحكومة جئنا بغرض إحصاء أسرته لكننا وضحنا له الأمر وبعد تجاوبه مع موضوعنا. تركناه يتحدث مليا على قضايا الحي والبلدية والمدينة وأن أبنائه يعانون من البطالة. لما أثرنا موضوع الأسرة لم يفهم هذا الرجل معنى أن يخرج أبناؤه ويستقلون بأسرهم بعيدا عنه فلا حاجة لذلك فالدار كبيرة ولماذا يذهب أبنائي حتى وإن وجد سكن آخر وأكد أنه

في عاداتهم حتى وإن كان أبناؤه يعملون بعيدا فلابد وأن يتركوا زوجاتهم وأبنائهم معنا"

إن وحدة العائلة حتى وإن كبر عددها تبقى هي الرمز الذي يدل على استمرار تأثير الروابط السلالية لدى المجموعات البدوية المتمدنة هذه الوحدة المعبر عنها مجاليا باستغلال العائلة لنفس بيت السكن واحتلال المجموعة البدوية المتقاربة في المجال لتعبر به عن درجات القرابة. إن الذي وقع في أحياء تمدن البدو لهو إعادة إنتاج طريقة استغلال المجال البدوي « campement bédouin » في المجال الحضري، إن حضرية تمدن البدو في أغلب مدن الصحراء الجزائرية تمت على هذا الأساس.

2.1. أنواع التعايش في المجال السكني.

انطلاقا من المعطيات النوعية و الإحصائية بالنسبة للأسـرة، سواء بالنسبة لمجتمع الحشاشنة أو البدو المتمدنين أو غيرهم في المدينـة، وإعـادة التركيـب أظهرت أنواعا جديدة من التعايش داخل المجال السكني ساهمت في رسم ملامحه أزمة السكن بدرجة كبيرة التي أصبحت تمس المنطقة كغيرها من مناطق الوطن، نستنتجها من تطور عدد السكان من(27187) سنة 1987 إلى (40524) سـنة 1998 و (147077) سنة 2008 . الشيء الذي لم يصاحبـه تطور في حظيرة السكـن الذي كـان سنة (4147) سنة 1987 بمعدل إشـغال السـكن(5.8) ليصل إلى (4988) بمعـدل إشـغال(8.1) سـنة 1998، إلـى (19825) سنة 2008 بمعدل إشغال (7.5). بسبب هذه الأزمة فإن مبـدأ التعـايش لأسـر متعددة أو مركبة ليس دائما مسألة اختيارية، فقد لعبت الأسرة دورا كبيـرا فـي تسيير أزمة السكن، مما يجبرنا في الأخير على التساؤل عن حقيقـة التركيبـات الأسرية المتعددة والتي نلاحظها، عند العائلات. هل هي أنـواع مـن التعاضـد الأسري كتسيير لأزمة السكن أم هي اختيارات في هيكلة الأسرة تقود إلى رسـم ملامح تركيبة أسرية جديدة في مدن الصحراء اليوم؟

إن التركيبات الأسرية التي وقفنا عليها في مجال دراستنا، بعــد اضــمحلال الأسرة التقليدية الممتدة. عند الحشاشنة أو الأسرة البدوية في عالم البدو المتمدنين تفجرت الأسرة إلى إمكانيات عديدة من التعايش داخل المجال الســكني الجــدول الذي استخرجناه من الاستجواب الميداني خرج بتركيبات التعايش التالية:

جدول (11) **أنواع الأسر وأشكال التعايش في المجال السكني في مدينة تقرت**

نوع الأسرة أو شكل التعايش في المجال السكني	عدد الأسر	نسبة %
أسرة بسيطة أو نووية (أب، أم+ أبناء)	271	%49.2
أسرة مركبة (أب، أم+ أبناء متزوجون) مع مطبخ واحد مشترك	163	% 29.6
أسرة مركبة (أب، أم+ أبناء متزوجون) مع أكثرمن مطبخ واحد مستقل	75	%13.6
تعايش إخوة متزوجين دون الوالدين	21	%3.8
غير محدد	20	%3.6
مجموع	550	%100

المصدر: استجواب ميداني 2007

إن هذه الأنواع من التركيبات وإمكانيات التعايش في المجال السكني والتي تولدت عن انفجار العائلة الأبوية التقليدية سـواء عنـد الحضـريين القـدامى أم المتمدنين من البدو وأنصاف البدو . تتضمن تركيبات جزئيـة أخـرى متعـددة ومعقدة في دلالاتها، قمنا بجمع التركيبات الأساسية والتي نحتاجها في استنتاجات بحثنا. اعتمدنا على الملامح الأساسية من حيث بساطة الأسـرة وتركيبهـا فـي الأسرة المركبة لاحظنا بروز التمييز بين الأسرة المركبـة فـي مسـألة تنـاول الوجبات والطبخ كونه عامل هام يمكن أن يوضح واقع التعايش في عـدة أسـر ودلالته وأيضا، بقاء الأبناء المتزوجين بعد وفاة الأب أو الأم أو كليهما يعيشـون في نفس المنزل ودلالة هذا أيضا.

إذا كانت الأسرة البسيطة أي النووية التي تتكون من الأب والأم وأبنائهمـا وهي النموذج العالمي الغالب الآن نتيجة التطور الحضري، تمثل هذه النسبة فـي مجال دراستنا تقرت 49.2%، وهي النسبة الغالبة حسب معطيات العمل الميداني والإحصائيات الرسمية، لكن يبقى السؤال الذي يجب أن يطرح : هذه الأسر مـا هي حقيقتها؟ هل هي اختيار حضري يمكننا أن نقيس به درجة تنامي الحضـرية في هذه المناطق، أم هو نتيجة فرضتها السياسة العمرانية المطبقـة مـن خـلال توزيع الدولة لسكنات لا تحتمل إلى هذا النوع من الأسـرة (F2 ، F3) أم هـي بداية لدورة أسرية مركبة جديدة ؟

النوع الثاني الملاحظ وهو الأسر المركبة من أب وأم وأبناء متــزوجين فـــي منزل، قمنا بتصنيفه إلى فئتين الأولى تضم هذا المركب مع الاشتراك في تنـــاول الوجبات التي تمثـــل حســـب الاستجــواب نســـبة(29.6 %) والثانية نسبة (13.6%) أي الذين يتوفر لديهم في المنزل مطبخ مستقل لكل أسرة نووية، هذا التمييز فرضته الحالات الموجودة، ويبدوا أنه مسألة هامة لدى السكان يحددون به درجة التماسك في الأسرة المركبة. بالنسبة للفئة الأولى والتي تثير الاهتمام مـــن حيث نوع هذا الترابط وإمكانيات ديمومته كاختيار أم هو شكل مفـــروض بفعـــل أزمة معينة حاولنا التأكد من ذلك بواسطة معرفة من هن زوجات الأبناء للـــواتي يعشن هذا النوع من طريقة الحياة لاحظنا أن فترضنا أن هناك نوع من القرابـــة بين الزوج والزوجة حتى يتم هذا التعايش وفعلا عندما نطلع على جداول أنـــواع الزيجات وهو الدافع الذي كان وراء قيامنا بالإطلاع على عقود الـــزواج، نجـــد معدل الزيجات داخل القرابة يصل إلى نسبة أكثـــر من(23%) وعند أولاد نايل وغيرهم ذوي الأصول البدوية أكثر من ذلك بكثير وهو ما يفسر هذه التعايشـــات في رأينا.

الأمر الثاني والهام في هذا الموضوع هو دور المرأة عند المجموعات الاجتماعية والدور الذي تلعبه في هذه الهيكلة الأسرية، من الملاحظ أن عند الحشاشنة تبدو للمرأة دور أكبر في الحياة الاجتماعية من وجهة نظر أن هذه المجموعة ذات تقاليد حضرية. الزيارات التي قمنا بها لبعض المنازل التي تأوي أسر مركبة ويتم فيها التعايش ضمن مطبخ واحد للأسرة جميعها وجدنا أن هناك قرابة ما تجمع زوجات الأبناء والأسرة من الحالات التي تكررت معنا بنت الخالة أي بنت أخت الأم وهي حالات يمكن تفسيرها بتعاظم دور المرأة في الهيكلة الأسرية هذا النوع نجده مكررا وقد تتفادى بواسطته الأسر ما يجري عادة من مشاجرات بيت الأم وزوجة ابنها ويسمح بالتعايش لأسرة محدودة الدخل الملاحظة الأخرى قد نربطها بنوع وضيفة الأب خاصة الآباء الذين عملوا فترات طويلة بعيدا في شركات البترول أو كسائقي شاحنات غيابهم الطويل عن المنزل سمح أو دفع المرأة أن تحتل مكانة في تسيير أمور الأبناء والأسرة.

من جهة البدو المتمدنين هذه الأسر المركبة تأخذ تفسيرات أخرى غير التي تتم على أساسها تركيبات أسر الحشاشنة، النظام الأبوي والقبلي السائد يفرض أنواعا من التعايشات تفرضها نظم الزواج والقرابة والرقابة الجماعية وأيضا إنعزال معظم مجموعات البدو في مجالات عمرانية محدودة ومحدودية

الإمكانيات وصعوبة الحصول على المجال هي عوامل تساهم في ترسيخ هذه التعايشات المركبة.

جدول(12) **سن أرباب الأسر.**

السن	من 20- 34 سنة	35- 44	45-54	أكثرمن 55	غير محدد	مجموع
عدد	13	123	237	165	3	550
نسبة %	%2.3	%24	%43	%30	%0.5	%100

المصدر: استجواب ميداني 2008

إن التوسعات الجديدة في المدينة ذات السكن الفردي التي أنشئت في السنوات الأخيرة (بداية من التسعينيات) في أحياء (العرقوب، المستقبل وتبسبست، والزاوية...) تألف سكانها من الأسر الجديدة بعد إنفصالها عن الأسرة الكبيرة في الأحياء التقليدية، تتم فيها تهيئة المنازل الفردية بالدرجة الأولى من طرف أرباب الأسر" الجدد"، من خلال الجدول السابق يمكن أخذ فكرة عن سن أرباب الأسرنسبة 43% منهم بين 45إلى 54 سنة وهي الفئة التي يقوم أعضاؤها أساسا ببناء المساكن الفردية، هذه المنازل الفردية التي انتشرت في الأحياء الجديدة للمدينة، ومدن الصحراء على العموم من الملاحظات التي وقفنا عليها عند التمعن في

شكلها ونمط بنيانها الملاحظ أن رب الأسرة حتى وإن كان متوسط الحال يحاول بناء سكن كبير الحجم كثير الغرف ويحرص على إنجاز المرآب أو عدة مرائب، وحتى وإن عجزت قدرته المادية على إتمام مشروعه، فالملاحظ في كل المنازل من هذا النوع، ترك حديد البناء بارزا على السطوح وذلك تحضيرا لتوسيع عمودي جديد للبناء، جدول أعمار أرباب الأسر في المدينة المستقى من الاستجواب الميداني يوحي بأن نسبة الأسرة البسيطة التي لاحظناها في الجدول الأول قد تكون فقط مرحلة انتقالية لتحضير بداية لدورة أسرية جديدة، إذ أن أغلب الذين استجوبناهم من أرباب الأسر الذين بنو مساكن فردية يؤكدون على أنهم يحضرون الطوابق العلوية إستعداد لتزويج أبنائهم الذكور مستقبلا، لكن هل هذا الموقف يفسر على أنه اختيار وتتبني لنوع من التعايش لأسرة مركبة جديدة ذات طابع عمودي، أم هي ضغوطات أزمة السكن؟

حسب الملاحظات فإن بناء المنازل هي الأخرى تحتاج إلى تمويل كبير بالنسبة إلى المداخيل المتوسطة لمعظم الأسر، يتعلق الأمر بتمويل شراء الأرض إذا كانت من البيع بين السكان أنفسهم، ثم الحصول على مواد البناء التي تتطلب هي الأخرى مجهودا من العلاقات أثمان مواد البناء في السوق الحرة تقدر ب3 أضعاف الثمن الرسمي المعلن عنه في مخطط الإنجاز، زيادة على أثمان النقل واليد العاملة التي تحاول الأسر تخفيفها قدر الإمكان، الناتج هو أن يستمر مشروع البناء مفتوحا إلى

عدة سنوات حسب مراحل يخلق هذا نوع من الأحياء تطبع كل مدن الجنوب أحياء مشاريع لا تنتهي، الحل الثاني يكمن في توظيف مصادر متنوعة لاستكمال المشروع الادخار العائلي أو الشخصي لرب الأسرة ثم يوظف جزء كبير من الدخل الشهري لرب الأسرة مما يؤثر بصورة كبيرة على ميزانية استهلاك الأسرة لعدة سنوات متواصلة، يتم في الغالب تعاون أفراد الأسرة جميعهم خاصة الموظفين منهم، وبيع ممتلكات الأسرة كالسكن القديم أو الجزء الموروث منه، أو بيع السكن الجماعي الذي كان سكنا مؤقتا يستعمل في عملية التمويل، كما تساهم المرأة بصورة واضحة في هذا التمويل ببيع مصوغاتها التي احتفظت بها لمثل هذه الشدائد لتعزز دورها في الحياة الأسرية في هذه العملية اللجوء إلى القروض يمثل نسبة ضعيفة جدا حسب السكان عملية الاقتراض من الصناديق والمؤسسات عملية معقدة الإجراءات البيروقراطية وأيضا لا يطمئنون إليها من وجهة نظر الدين خاصة وأنهم مقبلون على مشروع حياتهم ومقدس يتعلق " بعتبة الدار".

مشاركة العائلة في البناء يصبح أيضا مصدرا مهما لتخفيض النفقات ولإبراز مساهمة الأسرة الجماعية في البناء والإنجاز تدعم الممارسات الرسمية وغير الرسمية في الوصول إلى تجسيد مشروع الأسرة.

جدول (13) **طرق إنجازالسكن الفردي في المدينة.**

طريقة البناء	عدد	نسبة
من إنجاز مقاولات	81	14.7%
من إنجاز حرفيي بناء دون عمل الأسرة	237	43%
بنائين مع مشاركة الأسرة في العمل	219	39.8%
تعاون بطرق تقليدية (تويزة ، عوانة)	07	1.2%
غير محدد	06	1%
مجموع	550	100%

المصدر :تحقيق شخصي 2007

يمكن ومن خلال الجدول إظهار درجة مشاركة الأسرة في إنجاز السكن بنسبة 39.8 % هذه النسبة المعتبرة والتي هي في تنامي بالنظر إلى محدودية المصـــادر التمويلية الأخرى هذا العمل الذي يعطي بالضرورة الصفة الأسرية للسكن نســتنتج منها أن السكن هو قضية الأسرة بأكملها وحتـــى للمـــرأة دور فـــي ذلـــك حســـب المحادثات، هذه الطرق على حساب إضعاف الطرق التقليدية التي كانت تـــتم فـــي القصور القديمة في التعاون الجماعي بين أفراد المجموعة أو الحي المســـماة فـــي المنطقة التويزة أو العوانة بالنسبة لقبائل بدو الطيبات هذه الطرق التقليدية حســـب

تقصياتنا لم تعد تمارس إلا بنسب قليلة نتيجة التفكك الاجتماعي التقليـــدي لحســـاب التعاضد الأسري الأضيق .أسلوب المقاولات هو الآخر في النمو هذه النســـبة 14.7 % قد تخص بعض الفئات من ذوي الدخول المرتفعة خاصة من إطارت الشركات البترولية.

إن نتيجة هذا المركب الأساسية تجعل من الصعوبة تعبئة المصادر التمويلية ومدة العمل الطويلة من أجل إنجاز السكن الفردي من النوع الشائع في كل ربـــوع الوطن الآن المؤلف من الطابق الأرضي وطوابق أخرى حسب القدرة وحسب توسع الأسرة لكن السمة البارزة وذات الدلالة هي ترك الأسلاك الحديدية تنبـــئ بتوســـع عمودي آخر في الحسبان.

جدول(14) **حالة إنجاز السكنات**

نوع البناية	عدد	نسبة	منزل كامل الإنجاز	لا يزال في طور الإنجاز
أرضي	320	58.1%	54	266
أرضي + طابق	163	29.6%	26	137
أرضي + طابقين	45	8.1%	15	30
فيلا	19	3.4%	07	12
غير محدد	3	0.5%	/	/
مجموع	550	100%	102	445

المصدر : تحقيق شخصي 2007

الملاحظ أنها بنايات في حالة من استحالة إنهاء الأشغال، كثير من السكان يسكنونها بغير اكتمال العائلة تحتل السكن الأرضي المنجز في عناصره الداخلية الأساسية أما الواجهة فتبقى في الانتظار مع الطوابق الأخرى في انتظار التمويل مشاريع أخرى لم تشهد البداية أبدا مما يعطل كثيرا أشغال البلدية في إنجاز الطرق والشبكات .

3.1. مسار إقامة الأسرة: الحركية المجالية رهان عقاري وهوية.

إن الممارسات الاجتماعية في عالم السكن واحتلال المجال و تملكه من طرف المجموعات الاجتماعية هي عالم غني مليء بالدلالات، ابتداء من الممارسات الداخلية في السكن والممارسات الاجتماعية المتعلقة بالتعبئة من أجل تملك السكن والمجال، إلى الممارسات في الأحياء والمدينة. إن تشكيل المجال من طرف المجموعات الاجتماعية التي تثبت في مسعاها الميل نحو ممارسات ترسخ الهوية الاجتماعية وهوية الأسرة، بين نظرة الدولة من خلال أدواتها التنظيمية المركزية والمحلية من جهة وممارسات الفاعلين المحليين الاجتماعيين من جهة أخرى بين المنطق المؤسساتي والمنطق الاجتماعي نحاول تتبع الممارسات الاجتماعية المتمثلة في مسارات الإقامة، لفهم تحولات المنطقة والاستراتيجيات الاجتماعية في منطقة دراستنا.

إن تحليل الطرق التي تحصل الفئات الاجتماعية بها على سكن جديد ضمن التوسعات الجديدة، أو تحويل سكن قديم، والممارسات المتعلقة بهذا المسعى مع تأقلمها مع الحياة الجديدة التي فرضتها المدينة، هذه الممارسات تدخل في إطار إستراتيجيات أسرية واجتماعية نقرأها من خلال وسائل تملك المجال السكني وطرق احتلاله من خلال رهان عقاري وسكني، محاولين تتبع طريقة الأسر في الحصول على سكن وبنائه والحياة فيه، وفي الحي المتموقع فيه هذا السكن، من خلال قراءة إحصائية أولا بواسطة نتائج الاستجواب الذي دعم تحليل المقابلات والمحادثات مع السكان .

ابتداء من مستوى مداخيل الأسر وميزانياتها في مواجهة استراتيجيات مجالية وكيفيات التعبئة المادية والمعنوية لتملك السكن بالنظر إلى أن تكليف بناء السكن من النوع الفردي الشائع في نطاق الدراسة يكلف ملايين الدينارات(السكن الفردي من طابق واحد مساحته حوالي 200 م^2، متوسط الإنجاز يكلف من مليون ونصف إلى ثلاثة ملايين دينار) هذا المبلغ المكلف بالنسبة لرب أسرة متوسطة المداخيل لهذا تبدأ تعبئة عائلية واجتماعية من أجل الحصول على السكن.

في عملية البناء وإنجاز المشروع وطريقتها والطابع الهندسي المطبق تبدأ المسألة بطلب الحصول على قطعة أرض، هذه المسألة التي تدوم عدة سنوات تطلب هي الأخرى استراتيجيات وتوظيف إمكانيات وعلاقات وضغوطا يلعب فيها التكافل الاجتماعي والمتعلق بالمجموعات الاجتماعية كوننا بصدد مجموعات متمايزة في النسق الاجتماعي والنشاط الاقتصادي ما استخلصناه من المحادثات أن المجموعات والعائلات ليست متساوية في إمكانيات الحصول على المجال بالرغم من تصريحات المسؤولين الرسميين القائمين على عملية التوزيع والعمران في البلدية يؤكدون على طريقة توزيع الأراضي بطرق فردية حسب مقاييس محددة هي الإحتياج ووضعية الأسر وعدد أفرادها ولم يسبق لها الاستفادة، بغض النظر عن انتمائها الجغرافي في خطاب الممثلين للبلدية والهيئات القائمة على التوزيع، ثم يبرز بعد ذلك السوق الموازي إذ أن مسألة العقار هي في الواقع مسألة هوية جديدة للأسر بهذا تبلغ المضاربة مداها في هذا المجال، نتيجتها المباشرة أنك لا تجد إلا نادرا من المنازل التي تسكنها الأسر لديها عقود موثقة لملكيتها، في معضمها نلاحظ أن المسكن يبقى لعدة سنوات وهو مسجل رسميا باسم المستفيد الأول من قطعة الأرض التي ربما بيعت مرارا في سوق العقار الموازي الذي تتحكم به ميكانيزمات اجتماعية متعلقة بالحركية المجالية التي تحركها اعتبارات هوية إقاماتية جديدة.

جدول(**15) بعض طرق الحصول على السكن في أحياء المدينة الجديدة**

طريقة الحصول على السكن	عدد الأسر	**نسبة%**
استفادة من هيئة رسمية وبناء	265	48.1%
شراء أرض من فرد وبناء	148	26.9%
شراء منزل من فرد مبني	124	22.5%
غير محدد	13	2.3 %
مجموع	550	100%

المصدر : تحقيق شخصي 2007

يتبين أن الحصول على المجال مسألة تخضع هي الأخرى لمجموعـــة مـــن الإعتبارات الاجتماعيـــة، الحشاشـــنة وبفعـــل التقســـيم الإداري لســـنة 1984 وتقسيممدينة تقرت الكبرى إلى بلديات هذا الوضع الذي هو في الأصـــل إداري وسياسين منحهم نوع من القدرة على الرقابة على مجالهم في النزلـــة وتبسبســـت والزاوية العابدية كمجموعة إجتماعية سكنت هذه القصور منذ القـــديم، حتـــى وإن تجاورت معهم مجموعات كبيرة العدد من البدو المتمدنين، فـــي نفـــس الوقتهـــذا الترتيب حرمهم من إمكانية الرقابة على مجال المدينة ككل الذي يدخل فـــي حيـــز بلدية تقرت لصالح مجموعا ت أخرى (المجاهرية وغيرهم من الوافـــدين علـــى المدينة).

في هذا الجو تخضع المجالات المخصصة للبناء لشبكة مـن الضـغوطات والإستراتيجياتالاجتماعية والممارسات التي توظف فيها شبكات مـن التضـامنات الإجتماعية والمستوى الاقتصادي للأسرة . بالنسبة للفئة التي قد تعوزها الوسائل الإدارية بسبب طبيعتهم التجارية مثل السوافة والتي نجحت في مراكمـة الثـروة التجارية فلجأت لإستغلال إمكانياتها المالية من أجل التموقع في المجال. بـالرغم من أن الحصول على المجال تتحكم فيه أجهزة إدارية أكثر مركزية من البلديات لكن الواقع الذي لاحظناه بالنسبة لتوزيع المجال يخضع لكثيـر مـن التوازنـات الإدارية والاجتماعية والإقتصادية في نفس الوقت ومن خلالـه تفسـر عمليـات الحركية الأجتماعية والأسرية داخل مجال المدينة.

في هذه الظروف تقوم الأسر بتغيير مكان إقامتها من خـلال شـبكة مـن المسارات المعقدة، لكن تحليلها يفضي إلى فهم استراتيجيات اجتماعية، هي ليست اعتباطية بل تحمل دلالات اجتماعية واقتصادية بالغة الأهمية في إعـادة تشـكيل الهوية الاجتماعية لسكان المدينة في إطار التحولات، فملاحظة مكان قدوم الأسر التي استجوبناها نلاحظ النتائج التالية:

جدول (**16**) **مكان قدوم الأسر حسب مكان السكن الأخير.**

السكن السابق أو الأصل الجغرافي	عدد الأسر	النسبة%
من الأحياء القديمة في المدينة	403	73.2%
من قرى ومدن وادي ريغ	66	12%
من خارج إقليم المدينة	72	13%
غير محدد	09	1.6%
المجموع	550	100%

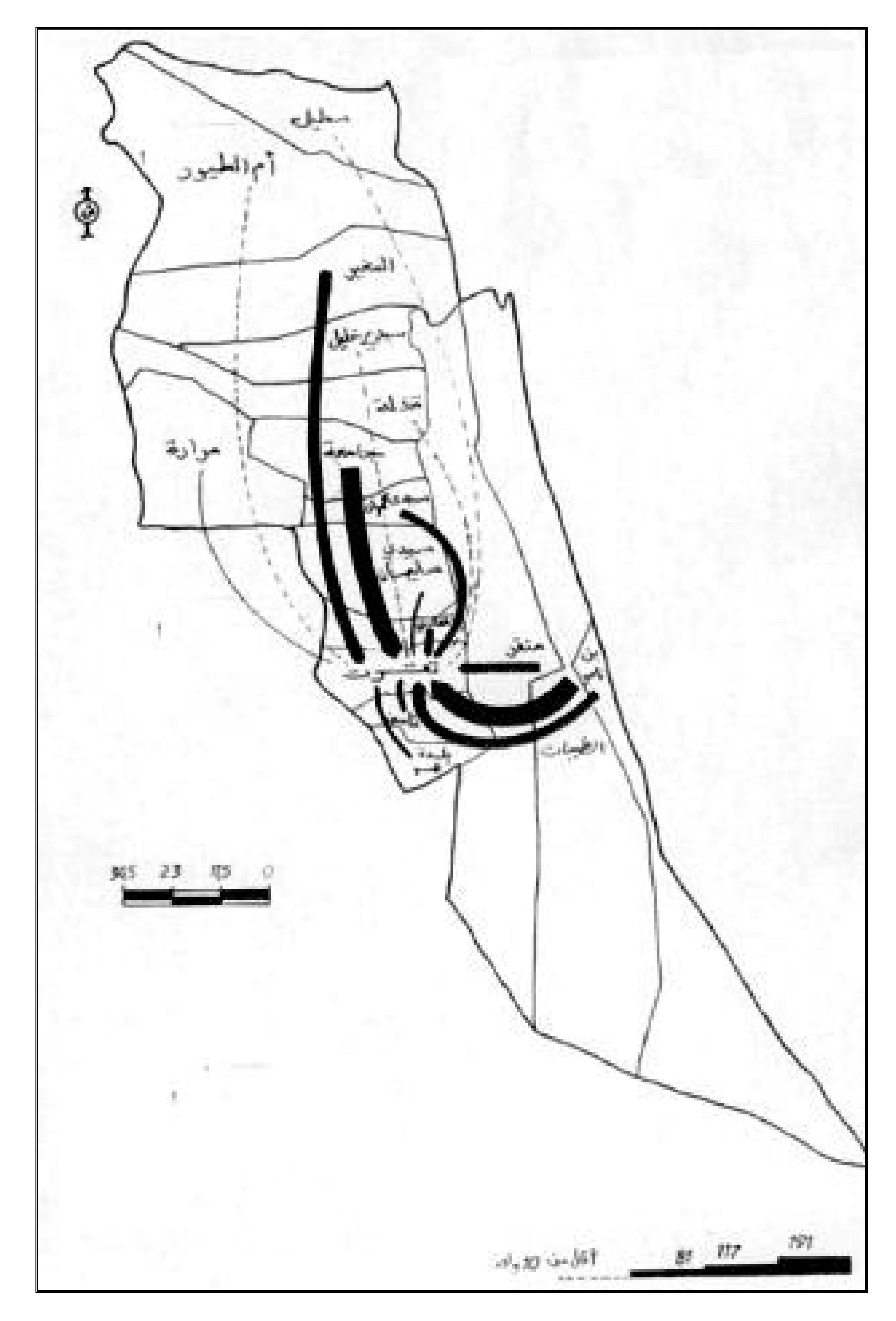
المصدر : استجواب ميداني 2007

الملاحظ أن النسبة الأكبر من السكان يتبعون الفئة الأولى أي القادمين من الأحياء القديمة 73.2%، وهذه النسبة لها دلالتها في كون الحركية المجالية تتم داخل المدينة من الأحياء التي تسمى "التقليدية" إلى الأحياء الجديدة، وفي الغالب تمر الأسرة من الحي القديم نحو السكن الجماعي، الذي يساهم في تفتيت الأسرة المركبة، والذي يعتبر كمرحلة مؤقتة لتلتحق الأسرة بالسكن الفردي في الأحياء الجديدة. هذه النسبة تتضمن أيضا الأسر المتمدنة حديثا من البدو وأنصاف البدو الذين تم تحويلهم من الأحياء القصديرية إلى أراضي جديدة في النزلة والزاوية العابدية في الثمانينيات (حي عين الصحراء وعاسو وخمسة جويلية). لكن الملاحظ أن هذه " الهجرة " الداخلية في المدينة لا تخلف ورائها فراغا في الأحياء

القديمة، بل تتجدد الدورة من خلال ترك الأسر المتنقلة لمساكنها القديمة لأسر أخرى أكثر فقرا أو قادمة من خارج المدينة في شكل كراء زهيد الثمن. هذا الوضع في نظرنا هو الذي أدى إلى تدهور السكن التقليدي في القصور القديمة لتبدأ دورة جديدة من الهجرة داخل المدينة.

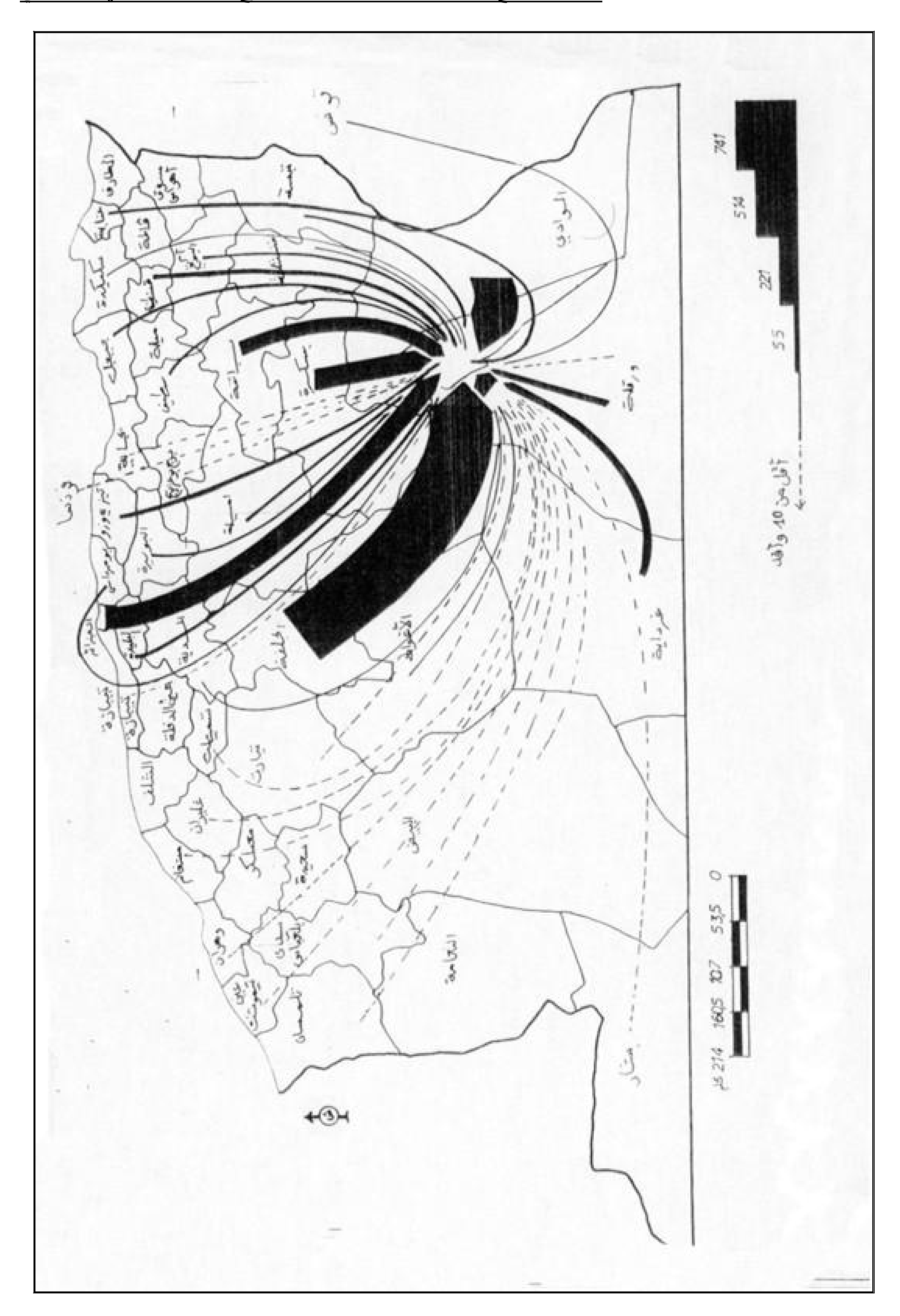
أما الفئة الثانية والثالثة نلاحظ أنها متقاربة، فحركية الأسر من قرى وادي ريغ يثبت جذب المدينة التي تمارسه على محيطها المباشر، مرتبط أساسا بالوظائف التي توفرها المدينة، لكن الجذب الهام أيضا يتم على مستوى مناطق مجاورة خارج إقليم وادي ريغ (كالطيبات 40 كم، الحجيرة 70 كم الوادي 95 كم). في الفئة الثالثة التي قدمت من ولايات أخرى فضمن الجدول السابق نلاحظ أن البدو النتمدنين القادمين من ولاية الجلفة ومنذ الأربعينيات مصنفين ضمن التنقل الداخلي، لكن في الخريطة (ص322) نجد مكان القدوم من الجلفة وهو العدد الأكبر، هذا يفسر بمسألة تسوية الوضعية الإدارية التي لم تتم إلا في سنوات متأخرة بالنسبة لهؤلاء، فبالرغم من إستقرارهم في المدينة منذ عشريات إلا أن الظروف الجديدة إضطرتهم إلى تحويل تسجيلهم في السنوات الأخيرة من أجل الحصول على إثبات إداري للحصول على المجال السكني.

كما كانت المدينة ومنذ عهود قديمة مكان جذب هام لأعداد متتالية من الأفراد والأسر من الشمال خاصة مناطق الشمال الشرقي القريب(بسكرة، باتنة، تبسة...) لتوفر فرص الشغل الرسمي وغير الرسمي وأيضا الحرف التي لا يحسنها في الأغلب أبناء سكان المدينة.



المصدر: السجلات الانتخابية لبلديات دائرة تقرت

الخريطة (14) الأصل الجغرافي للوافدين على مدينة تقرت من داخل الأقليم



المصدر: السجلات الانتخابية لبلديات دائرة تقرت

الخريطة (15) الأصل الجغرافي للوافدين على مدينة تقرت من خارج الأقليم

4.1. هندسة السكن الجديدة.

من الشكل الهندسي التقليدي في القصور إلى السكن الفردي الجديد هنـــاك اختلافات وتنوعات تعبر عن رغبات جديدة ومتنوعة، في السكن الجديـــد أغلـــب السكنات لم تحترم المخطط الهندسي الذي يسلم مع ملف الاستفادة من قطعة الأرض يمكن إيجاد مخططات جديدة بعيدة عن الهندسة التقليدية فـــي المنطقـــة .عناصـــر هندسية فرضتها عوامل طبيعية وأخرى أضيفت تأثرا بإنفتاح هذا المجتمع على ما يجري على الصعيد الوطني، يمكن تصنيف السكنات في الأحياء الجديدة إلى ثلاثـــة أصناف حسب درجة إنجازها ونوع الهندسة المستعملة.

صنف بسيط مصغر : له علاقة بصعوبات التمويل والانجاز نظرا لبساطة مداخيل أصحابها، يكتفـــي بطـــابق أرضـــي واحـــد الواجهات غير معالجة، غياب الصقل والداخل غير مكتمـــل الإنجاز ينتظر فرص التمويل، هذا السكن هـــو الغالـــب فـــي الأحياء الجديدة للسكن الفردي.

– صنف متوسط : يحتوي علـــى طـــابق واحـــد أو أكثـــر تبـــرز خصوصياته في التوزيع الداخلي، وفي تهيئة المرآب القاراج "يمكن لهذا القاراج أن يحتل مساحة معتبرة مـــن مســـاحة

الأرضية، تبقى هذه المنازل مفتوحة على توسع عمودي مرتقب مع توسع العائلة والزيجات الجديدة.

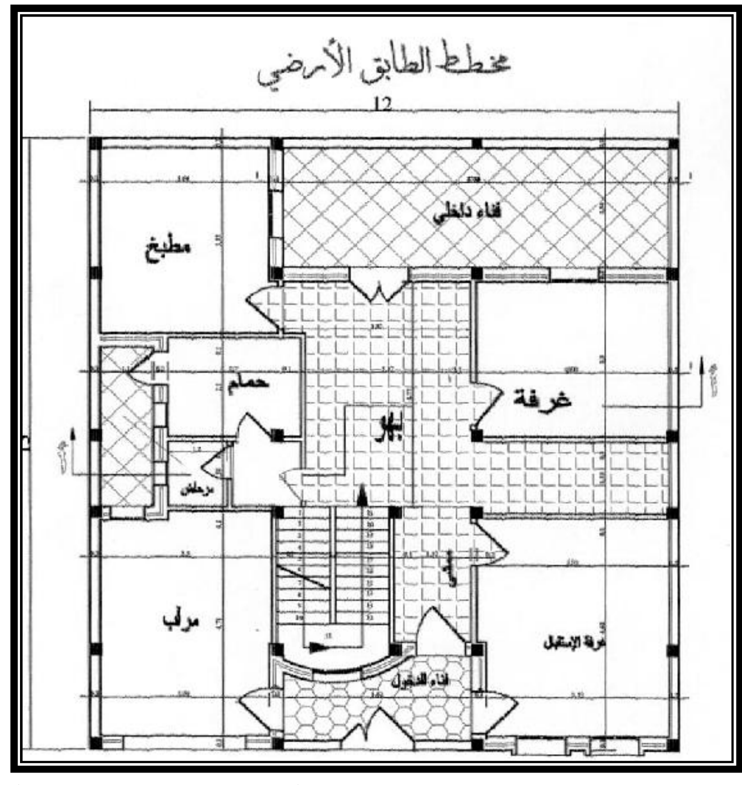
- صنف مميز : تظهر فيه المعالجة المتقدمة للواجهات خاص بالأثرياء الجدد يأخذ جهة أو حي خاص لكنه بين السكنات الأخرى يبدوا مميزا ويدل على أهمية الأسرة التي تقطنه ونجاحها المادي.

في إنجاز المخططات تتعدد الرغبات وتتنوع الأشكال الجديدة المستوحاة من عدة مشارب ثقافية، لكن الطابع التقليدي الذي طمست معظم ملامحه الظاهرة قد أحتفظ منه بعدة عناصر بتأثير الثوابت الثقافية الاجتماعية وأيضا العوامل المناخية خاصة الحرارة في فصل الصيف التي يحسب حسابها في معظم الأشكال الهندسية الجديدة، الحوش الداخلي يبقى هو العنصر الأساسي الموجود والمحافظ عليه وأيضا فصله عن الفضاء الخارجي .عناصر جديدة نجدها قد أدخلت وأصبحت من الطابع الهندسي المتداول في هذه الأحياء الصالون أو غرفة المعيشة التي عوضت" بيت الضياف"التقليدية، كما قد يضاف صالون خاص بالنساء، هذه العناصر تأخذ الكثير من التهيئة والاعتناء والتأثيث كونها تعكس مستوى العائلة.

في مقابلة مع مكتب دراسات هندسية في المدينة تكلم حول تقييمـــه لهندســـة المنازل والعناصر التي يطلبها السكان بمختلف مجموعاتهم الاجتماعية:

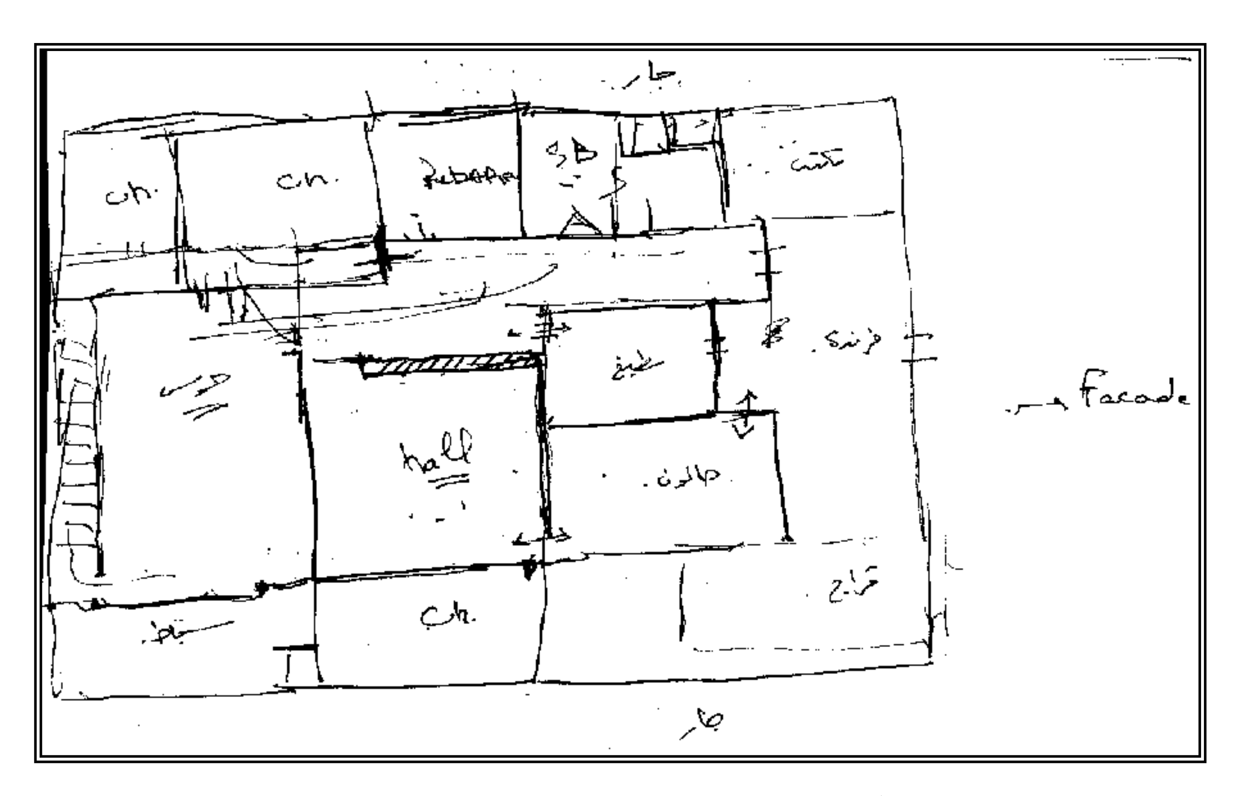
"... يمكن أن أقيم على العموم الطلبات التي يعبر عنها التي تعاملت معهـــا كثيرا، أن معظمهم يطلبون المخططات فقط من أجل الحصول على مواد البناء من الدولة، لا علاقة للمخططات التي ننجزها بما يطبق في الواقع، من الذين يرغبـــون في تطبيق المخططات يشاركوننا في مناقشة مخططهم ويشترطون بعض العناصر كما أن المرأة أصبحت تفرض رأيها في نوع المخطط إما أن تصاحب زوجها عندنا أو تتم المشورة في المنزل ثم يعود صاحب المنزل إلى المكتب مزودا بملاحظاتهـــا نلاحظ تأثير نمط الهندسة المعمارية التي يشاهدها النساء في المسلسلات والأفـــلام يشترطون صالون ومدرج يؤدي إلى الطابق الأعلى من الصالون، أثناء الإنجـــاز تظهر التعديلات والتغييرات بحث لا يشبه الإنجاز مخطط البناية إلا قليلا، تضـــيف العائلات حمام خاص بالضيوف ومدخل مستقل للضيوف، ومطبخ واسع مع جنـــاح للأكل، يطلب تخطيط الشرفة " البالكون "لكنه لا يســـتعمل إلا كتوســـيع لمســـاحة الطابق الأعلى، بصمات الأسرة ورغباتها لابد أن تنفذ في المخطط القابل للتعـــديل والتغيير أمام كل فكرة جديدة، الشيء المركز عليه كثيرا هو" القاراج" خاصـــة إذا كان السكن في موقع قابلللإستثمار التجاري، كل المخططات التي ننجزهـــا قابلـــة للتوسع الأفقي وهي مسألة هامة بالنسبة لكل الأسر يحتاطون لتوسيع منازلهم مـــع

زواج أبنائهم المستقبلي، التفكير الاجتماعي ، العائلات تمزج بين النمط التقليـــدي والنمط الحديث وتستفيد من مزايا كل نمط، كما يراعى المناخ كلهم يطلبون تهيئـــة السطح للجوء إليه في الليلي الصيفية الحارة ... الرجال الميسورين يطلبون تهيئـــة جناح خاص لكل إبن متزوج مع جناحه الخاص به ... "



المصدر: مكتب دراسات محلي

الشكل (16) نموذج مخطط هندسي لمنزل فردي بني في تقرت



الشكل (17) هندسة منزل حسب ما رسمه صاحبه وقام بإنجازه

ملكية السكن الفردي لما لها من قيمة رمزية كبيرة ، إذ نجد السكن الفـــردي فـــي قمة الهرم السكني في حظيرة السكن بالنسبة للنزلة، حتـــى وإن وجـــدت بعــض الأنواع الأخرى بدرجة قليلة كالسكن الجمــاعي بخـــلاف بلديـــة تقــرت التـــي استحوذت على معظم المشاريع السكنية الجماعية، هذا النوع في الواقع الســكني الصحراوي يصبح كمرحلة انتقالية للأسرة، عدد هام من الأسر وقبـــل أن تصـــل إلى الحصول على قطعة أرض وتمويل بناء السكن الفردي تكون قد مرت بالسكن في العمارة ، هذا السكن الذي يستعمل في الغالب لتمويل عملية بناء السكن الـــذي تملكه الأسرة.

ملكية السكن ليست مسألة إيواء أوإقامة أو مسألة إقتصادية بل تتعداه إلى كونهـــا مسألة رمزية تحدد هوية العائلة التي تسكنه، أحد السكان يؤكد:

" الدار هي " الرسمي[1]" العائلة لا تحس نفسها عائلة إلا بملكية دار... هـــي مستقبل الأولاد،... أما ديار " الباطيمات[2] " هذه ليست ديـــار دائمـــة، العـــائلات تبيعها وتسكن في دار ملك في الأرض، الدار تستر العار، تبيع كل شيء من أجل الدار ، وتجد الإنسان يعمل طول حياته من أجل توفير ثمن داره التي هي ثـــروة الأسرة عندنا... ".

[1] يعني هي الشيئ الأهم . الطالب.
[2] يعني شقق السكن الجماعي بالكراء. الطالب.

جدول(17) **الوضع القانوني للسكن**

كل السكن	ملك	كراء	غير محدد	مجموع
عدد	517	26	7	550
نسبة	%94	%4.7	%1.2	%100

المصدر تحقيق شخصي 2007

الملاحظ من الدراسة الميدانية أن أغلب السكنات الفردية هي ملك لأصحابها وهو الهدف الذي تسعى إليه أغلب العائلات من خلال تجنيد الإمكانيا للحصول على السكن الفردي الذي يضمن للأسرة رمزية التواجد الاجتماعي من خلال تملك المجال السكني، والملاحظ أيضا أن العائلات التي تستفيد من سكنات جماعية في إطار السكن الاجتماعي أو غيره من البرامج تسعى جاهدة للحصول على سكن أرضي، فهو يتوافق مع متطلبات طريقة عيشها من جهة وأيضا فهو تملك للمجال من خلاله تبرز هزية الأسرة الجديدة. وبالتالي يبقى السكن الجماعي في حقيقة الأمر سوى مرحلة عبور للعائلات في سبيل تحقيق المجال السكني الذي يعبر في الأخير عن هوية الأسرة الجديدة ويظهر مدى نجاحها وترتيبها الإجتماعي. لكن واقع الملكية يصدم مع مشكلة التوثيق كون أغلب الملكيات التي لاحضناها خاصة في الأحياء القديمة هي بوثائق عرفية يصعب على أصحابها

الجدد توثيقها في ظل الصعوبات الإدارية البروقراطيـــة وتعقـــد مســـألة العقـــار وامتلاكه.

2. الزواج عند المجموعات الإجتماعية، القرابة والسكن.

موضوع الزواج هو أيظا قضية هامة تتعلق بالهيكلة الاجتماعية والأسرية و بنطاق واسع للتعبئة من أجل المجال، ولتفسير أنواع التعايش داخـــل المجـــال والسكن وأيظا لتحديد درجات ذوبان هذه المجموعات الاجتماعيـــة فـــي المدينـــة وحركة تنقل الزوجات بين المجموعات الإجتماعية وداخل المجموعات نفسها، قد يمدنا هذا بإشارات هامة نطلع من خلالها على الممارسات والإستراتيجيات التـــي تطبقها العائلات من المجموعات الاجتماعية موضوع الـــزواج الـــذي هـــو فـــي الأساس قضية عائلية اجتماعية إستراتيجية لها علاقة مباشرة مع المجال السكني.

باعتبار أن نصف السكان يتنقلون بعد الزواج، نظريا على الأقـــل عنـــدما تتبع الزوجات أزواجهن لأن الذكورية هي القاعدة العامـــة فـــي مجتمـــع نطـــاق دراستنا، عندما يكون التنقل تحويلا من حي إلى حي آخر أو إلى مدينـــة أخـــرى تحدث اندماجا جديدا يوصل إلى علاقات اجتماعيـــة جديـــدة متعـــددة الأشـــكال والأوجه، في نفس الوقت فإن تناقص نسبة الزيجات داخل المجموعة الضيقة (le Clan) المميزة برابطة الدم أي ما يحلو للأنثروبولـــوجيين بتســـميته بـــالزواج

الداخلي (Endogamie) هي إشارة دلالات أكبر لإعادة تشكلات أسرية جديدة ما هي حدودها في الواقع الاجتماعي في مدن الصحراء التي نأخذ عليها الانطباع بكونها مجتمعات محافظة؟ وإلى أي شكل من أشكال التعبئة المجالية تقودنا هذه التشكلات العائلية الجديدة، وعلاقاتها مع السكن والتعايش الاجتماعي في المجال العمراني؟

في مسألة الزواج يظهر إختلاف النسق القبلي للبدو المتمدنين، عن النسق الاجتماعي للسكان المحليين الحضريين الحشاشنة وغيرهم من المجموعات الحضرية القديمة. يظهر هذا في الزواج واستراتيجياته وعاداته في محاولة تقصينا حول الهيكلة الأسرية عند هؤلاء و أولائك لمعرفة تحولات الاستراتيجيات الزواجية وتطورها وعلاقاتها بالمسارات السكنية والإقاماتية ونتائج ذلك على طرق الحياة الجديدة و التشكلات الجديدة.

1.2. العلاقات السلالية، بنية الزواج وممارساته في المدينة.

إن الزواج والممارسة الاجتماعية له هي التي تسمح للأنساق القرابية بإعادة إنتاج نفسها أو تحولها. الزواج المفضل أو الزواج التقليدي الداخلي *le mariage endogame* هو الزواج الذي يتخذ في الحقيقة شكلين أساسيين، الأول والأهم يعني أبناء العمومة أو الأخوال (أو ما يسمى عادة الزواج العربي.

والثاني هو الزواج الذي يتم داخل دائرة القرابة الضيقة المتعلقة بـالعرش، أو العائلات الممتدة من نفس البطن أو الأفخاذ.

إن تحليل ممارسات الزواج في المدينة ميدان الدراسة، تمدنا بإمكانية المقارنة بين مجموعات اجتماعية متجاورة مجاليا ومختلفة في الممارسات الاجتماعية والمتعلقة بالزواج خصوصا. سجلات عقود الزواج في الحالة المدنية لكل البلديات التي تشكل المحيط العمراني الحضري لمدينة تقرت منذ سنة 1984 سنة التقسيم الإداري الذي أسس البلديات الجديدة (النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية) من رحم البلدية الأم تقرت هذه السجلات بعد تحليل شرائح منها وبالخصوص بلدية النزلة[1] تعطينا فكرة حول أنواع الزيجات الممارسة عند هذه المجموعات ومسارات الإقامة وحركة النساء وتحولات نظم المصاهرات ونسب الزواج بين المكونات الاجتماعية سنستعمل نتائج هذه المعطيات التي اخترنا منها عقود لثلاث سنوات متباعدة، 1985 منذ نشأة البلدية ثم سنة1990 بعد 10 سنوات ثم سنة 2000. سوف توجهنا هذه المعطيات إلى ممارسات

[1] إن اختيارنا الإطلاع على سجلات عقود الزواج في بلدية النزلة أساسا جاء لسببين، الأول، كون المسؤولين على البلدية قد سهلو لنا المهمة – مشكورين – بالإطلاع على هذه العقود، بخلاف البلديات الأخرى التي تلقينا صعوبات الإطلاع على السجلات لأسباب قانونية في رأيهم، أما السبب الثاني فهو عدد السكان الذي هو الأكثر في هذه البلدية والتي يمكن أن تكون نموذجا عما هو واقع في بقية بلديات المدينة. أما النقص الحاصل من عدم الإطلاع علة سجلات جميع البلديات فقد عوضناه بالاستجواب الميداني وأيضا المحادثات التي تمت مع السكان.(الباحث).

واستراتيجيات، وأيضا إلى تساؤلات سوف توجهنا عند القيام بالمحادثات مع أسر من مختلف المجموعات الاجتماعية، في هــذا البــاب أيضــا سنضــيف نتــائج الإستجواب الذي قمنا به في نفس الوقت في الأحياء المختلفة الذي مس شــريحة من 550 أسرة من السكان، خاصة نتائج الجزء الأول منه الخــاص بالأســرة [1] والذي يلقي الضوء على كثير من تساؤلاتنا.هذه التقصيات الإحصائية الكمية كانت أساسا بهدف استكمال وتدعيم المحادثات التي أجريناها مع العديد من الأسر.

إن تصنيف السكان ضمن المجموعات والأوساط الاجتماعية تم على أساس الأحياء السكنية أولا باعتبارها مميزة اجتماعيا و أيضا بالنظر إلى الاسم العــائلي الذي يحدد المجموعة المنتمي إليها المعني، بالاستعانة طبعــا بمــوظفي البلديــة العارفين منهم بألقاب العائلات وانتماءاتها الذين قدموا لنا عون كبيرا عن طيــب خاطر.و أيظا الأعيان وكبار السن الذين يميزون جيدا بين العائلات وانتماءاتهــا وتاريخها.

العديد من المؤشرات التي سمحت لنا بتصنيف الزيجات في منطقة الدراسة بالنسبة لكل الأوساط الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع كبيــرة مــن الزيجــات وهــي محددات تشير بدرجة كبيرة إلى نوع الممارسات الاجتماعية داخل كل مجموعــة

[1] نموذج الاستجواب، أنظر الملحق ص: ....

اجتماعية وأيضا درجة انفتاح المجموعات على بعضها. الاسم العائلي للـــزوجين بالنسبة لعقود الزواج وخاصة الأب والأم والانتماء الاجتماعي والســكن تســمح بتحديد درجة الرابطة الأسرية بين الزوجين.

- النوع (1)

قد صنفنا هذه الزيجات ضمن نوع الزواج داخل قرابة الدم القريبة (زواج القرابة) *le mariage endogame* وقســمناه علـــى مختلــف المجموعـــات الاجتماعية، يتضمن حتى الزواج الذي يتم بين الأقرباء من جيلـــين مختلفـــين كأن يتزوج المعني من حفيدة أخ الأب(بنت ابن العم) وغيرها من الزيجـــات المحتملة في هذا النطاق. قد يقسم هذا الصنف إلى فروع أو مستويات نهـــدف منها إبراز مدى تطبيق نسبة الزواج العربي المفضـــل خاصــــة لـــدى البـــدو المتمدنين وتطوراته، وأيضا الإطلاع على مدى ممارسة زواج بنـــت الخالـــة الذي أصبح شائعا مع تطور وتنامي دور المرأة.

نتأكد من هذه الممارسات ودورها في المجال السكني وتعـــدد أشـــكاله وأشكال التعايش بين أفراد الأسرة. نجده في جدول النتـــائج تحـــت نـــوع (زواج 1) بالنسبة لكل مجموعة (أ) تخص الحشاشنة ، (ب) تخص أولاد نايل، أما المجموعة (ج) فتخص المجموعات (سعيد أولاد عمر ، السوافا ، الطيبات) ، أما (د) فتخص مجموعات متنوعة أخرى من السكان الذين استقروا في شكل فـــردي أو عـــائلات صـــغيرة مـــن التـــل أو الأوراس

أوالجنوب .هذا التصنيف يجري على كل بقيـــة الجــدول فـــي الســـنوات المعلمية المختارة.

- النوع(2)

يتضمن الزيجات من درجة قرابة أبعد، أي داخل العرش بالنســبة للبدو المتمدنين وإلى أي مدى يمكن لهم تمديد دائرة الزواج بفعل ســنوات التمدن والتثبيت التي عاشوها في تقرت وفي النزلة، ومقارنة ذلك إن أمكن مع سكان آخرين سكنوا المدينة كأسر منفصلة داخل النسيج العمراني القديم أي انفصلوا عن الكتلة القبلية في عين الصحراء ونرى أنواع الزواج التي يمارسها أبنائهم من الجيل الذي تربى في المدينة ولم يشهد حركـــة التنقــل الموسمي، جيل هو في سن الزواج اليوم، في هذا الصنف تتدرج الزيجات بين العائلات الكبيرة داخل أحياء الحشاشنة، كأن يتــزوج حشـــاني مـــن حشانية لكن من عائلة أخرى في نفس الحي.

- النوع(3)

يتضمن أزواج من خارج درجات القرابة أو القبيلـــة *le mariage exogame* ، في هذا النوع يمكن تتبع تطور الزيجات بـــين المجموعـــات نفسها وقياس درجة انعزاليتها عن بعضها أو اندماجها وتسارعه ويجيبنـــا عن التساؤلات بخصوص حركة النساء في هذا المجال.

جدول (18) **أنواع الزيجات عند المجموعات الاجتماعية**

1- المجمـــوعة (أ) الحشاشنة:

السنـــــــــــــــة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	22	19,5	19	15,1	13	7,1
زواج 2	32	28,3	30	23,8	28	15,3
زواج 3	59	52,2	77	61,1	141	77,4
مجموع العقود (أ)	113	100	126	100	182	100

2- المجموعة (ب) أولاد نايل:

السنة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	6	50	3	30	7	41,1
زواج 2	4	33,3	5	50	7	41,1
زواج 3	2	16,7	2	20	3	17,6
مجموع	12	100	10	100	17	100

3- المجموعة (ج) أولاد السايح ، سعيد ، سوافا والوافدين:

السنة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	12	29,3	7	30,4	14	23.7
زواج 2	10	24,4	6	26,1	24	40,6
زواج 3	19	46,3	10	43,5	21	35,5
مجموع	41	100	23	100	59	100

4- المجموعة (د) آخرون:

السنة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	3	23,1	3	18,8	0	0
زواج 2	2	15,4	3	18,8	4	16
زواج 3	8	61,5	10	62,5	21	84
مجموع	13	100	16	100	25	100
مجمـــوع العقود	179	100	175	100	283	100

المصدر: تحقيق شخصي من سجلات عقود الزواج في بلدية النزلة.

من الجدول يمكن لنا قــراءة الإســتراتيجيات الزواجيــة عنــد المجموعــات الاجتماعية المختلفة التي تشكل مجموع سكان بلدية النزلة:

– أ) بالنسبة **للحشاشنة**، زواج القرابة (1) ينتقل من 19.5% سنة 1985، إلى 15.1% سنة 1990، إلــى 07.14% ســنة 2000. نلاحظ أنها في تناقص واضح حتى وإن كانت قليلة نسبيا منذ ســنة 85. الزواج (2) سنة 85 يمثل 28.3 % ، سنة 90 يمثل 23.8% وسنة 2000 يمثل 15.38% . هذه الأرقام تدل على تنــاقص فــي عدد الزيجات بين الأسر من الحشاشنة داخل النزلــة قــد تعــوض بزيجات بين نفس المجموعة لكن بين أحياء أخرى في مدينة تقرت أو القرى والمدن القريبة خاصة تماسين.الــزواج (3) فــي هــذه المجموعة هو الأهم سنة85 يمثل 52.2%، ليصل ســنة 90 إلــى 61.1% ثم سنة 2000 ليصبح في مستوى 77.47% . هذه النسب بالدرجة الأولى دلالة واضحة على التقاليد الحضرية لهذه المجموعة من القديم، ودلالة واضحة على تحولاتهم في الهيكلة الأسرية، مــع الأخذ بعين الاعتبار أن معظم الزيجات المصنفة ضمن الصنف (3) الخارجية هي أيضا زيجات كما أســلفنا مــن نفــس المجموعــة الحشاشنة تسكن مناطق أخرى في نفس المدينة كبلديات، تبسبســت،

الزاوية، أو قرى وادي ريغ كتماسين أو بلدة عمر وغيرها هذا ما أظهرته المحادثات مع أسر من هذه المجموعة. ويدل أيضا على انهيار الحدود بين هذا المجتمع والخارج بخروجه شيئا فشيئا من محليته بفضل عوامل متعددة منها إضعاف النظام الأبوي، ، أيضا الفردية المتزايدة نتيجة نظام الأجرة الفردي الذي كسر النظام الأسري التقليدي المعروف الذي يرتبط مباشرة بالواحة وفلاحة النخيل و الدراسة خاصة والعمل في مناطق أخرى والجامعة التي التحق بها عدد كبير من أبناء هذا المجتمع، مسارات حياة أصبحت مختلفة كثيرا عما كان يجري قبل 30 سنة.

- ب) فيما يخص عالم البدو المتمدنين من أولاد نايل، الزيجات المسجلة في بلدية النزلة هو قليل لا يمكن تحليله من خلال الأرقام تحليلا شاملا، يتحتم إذن اللجوء إلى معطيات نوعية أخرى، لكنه يعطي بعض المؤشرات، أولا كون تسجيل العقود بالنسبة لهذه المجموعة بهذه الصفة القليلة في بلدية إقامتهم هو مؤشر في حد ذاته لسلوك معين نحاول فهمه من خلال المحادثات، إذ اقتصر تسجيل الزيجات على 12 عقدا في سنة 85 من أصل 179 عقدا مسجلا في هذه السنة قد تكون هذه السنة في عهد مبكر بالنسبة

لتمدنهم واستقرارهم الحديث بالنزلة الذي تم فقط في سـنة 1983 والبلدية نفسها أنشئت سنة 1985، وأيضا بالنسـبة لسـنة 1990 العقود لم تتعدى 10 عقود من أصل 175 عقدا، أي نسبة 5.71% في حين كانوا لا يقلون في هذه السنة عن 47% من عدد سـكان النزلة حسب إحصائيات هذه البلدية ونفس الحـال بالنسـبة لسـنة 2000 . 17 عقدا من أصل 283 ، أي 6% فقط. سألنا حول هذه الظاهرة بعض المعنيين من هذه الفئة ، وحسب التصريحات التـي حصلنا عليها ، إن التعامل بالأوراق الرسمية التي تفرضها البلدية عند تحرير العقود لا تتوفر عند كـل المجموعـة، العديـد مـن الأشخاص منسيين ، عقود الوالدين غير مسـجلة ، كثيـرة هـي الحالات المعقدة بسبب " الوثائق" ، بسبب التعقيدات التـي تواجـه هؤلاء السكان في تسجيل عقودهم يلجأون إما للتسجيل في بلدياتهم السابقة في البلديات الريفية الجنوبية لولاية الجلفـة التـي تـتفهم حالاتهم حسب قولهم ، أو الزواج العرفـي دون التسـجيل مـادام الزوجين أقرباء ويتم تأجيل مشاكل " التوثيق" إلى حـين تفـرض نفسها مثلا عند بلوغ الأطفال سن التمدرس. من الحـالات التـي تتكرر كثيرا حالة الشيخ عيسى من البدو المتمدنين له ثلاثة أبنـاء متزوجين من بنات إخوته وأقربائه وخمس بنات متزوجات ، عقده

غير مسجل حتى الآن بسبب أن زوجته " منسية" حسب تعبيره، أي عقد ميلادها غير مسجل. الأبناء يعانون من مشاكل في تسجيل عقودهم وتمدرس أبنائهم. بسبب حالة التنقل الدائم والترحال والبداوة والأمية المنتشرة جعلت حالة هذه المجموعة معلقة بين ولايتين جل الكبار مسجلين في البلديات الأصلية. معظم الذين بدأو التسجيل في تقرت لا تعود إلى أكثر من السبعينيات، هذه الوضعيات تفسر قلة عقود أولاد نايل في سجلات الحالة المدنية للنزلة.

في كل السنوات الزواج عند أولاد نايل من نوع (1) لا يقل عن 30% إلى 50% هذه الزيجات داخل القرابة هي من صفات الزواج الداخلي المفضل عند البدو، لكننا سوف نلاحظ من خلال المحادثات أن هناك تحولات كثيرة طرأت على هذا النوع مما يجعل ممارسات جديدة تطرأ على هذا المجتمع لكن بصفة محتشمة، الزواج من النوع (2) أي داخل العرش والقبيلة، من 33.3% إلى 50% إلى 41.1% هي مؤشرات واضحة على هذه التحولات التي فرضتها عوامل التمدن، تمدن عروش مختلفة في منطقة واحدة تصبح بالضرورة هي الأقرب، إذا ما تعذر الزواج الداخلي إذا تعلق الأمر

بالآخرين " البرانية " أو " أصحاب البلاد" من الحشاشنة وغيـــرهم. الزواج من فئة (3) الخارجي حتى وإن ســـجل 16.7% و 20% و 17.6% فهذه النسب قد تبدوا عالية بالنسبة لهذه المجموعة لكنها في الغالب تتعلق بنوع من الزيجات بين شخص نايلي قد يسكن النزلـــة وليس عين الصحراء قد تزوج بفتاة من منطقة الأصل الجغرافـــي لهذه الفئة، هو زواج خارجي من فئة (3) بـــالنظر إلـــى الموقـــع الجغرافي لكنه قد يكون زواجا داخليا بالنسبة لهـــذه الفئـــة داخـــل القبيلة.

– ج) الزواج في الفئة (ج) أي البدو أيضا من سعيد أولاد عمر والطيبات والسوافا وغيرهم من الفتايت هذه الانتماءات القبلية أيضا لكن مايميزها عن أولاد نايل عدة ميزات أولها أنهم تمدنوا نسبا قبل أولاد نايل، ثانيا كون مناطقهم الجغرافية التي قدموا منها في مراحل سابقة تعد قريبة نسبيا من منطقة وادي ريغ ، الحجيرة على بعد 70 كلم ، الطيبات على بعد 40 والوادي 95 كلم كان تواجـــدهم قـــديما وحتى مجال سكنهم مختلط مع الحشاشنة استطاعوا الانـــدماج فـــي الأحياء الرئيسية للنزلة حتى قبل أن تكون مقر بلدية. ما يمكـــن أن نستنتجه من اتجاهات الزواج عند هذه الفئات، زواج (1) تتـــراوح

من 29.3% سنة 85 إلى 30.4% سـنة 90 إلـى 23.3% سـنة 2000هي نسب متأرجحة إذا ما صدقنا المعلومات التـي حصـلنا عليها بخصوص أسماء العائلات، كون الأسماء كثيـرة والعـائلات متعددة، الزواج (2) نتقل أيضا من 33.3% إلى 50% إلى 41.1 %. الزواج (3) من 16.7% و20% و 17.6% يمكن أن نقرأ من خلالها أن هذه المجموعات ذات الأصول البدوية لا يزال الـزواج الداخلي يمثل نسبة عالية، لكن تجربتها التمدنية الأقدم نسبيا وفرت لها عوامل التحول، كما أن فرضية قدوم عائلات جديدة من مناطقهم القريبة تبقى واردة حتى الآن، المحادثات تكشف هذه التحركات.

– د) بالنسبة للفئة (د) تمثل السكان الذين لا ينتمون إلى إحدى التفرعات السابقة، أغلبيتهم تتمثل في عائلات سكنت منفردة إما من مناطق التل، أومن الجنوب بحثا عن الاسـتقرار والعمـل، نظـرا لأسعار المنازل المتدنية في الحي القديم، لقرب المنطقة من حاسـي مسعود تمكنت عائلات كثيرة من الهجرة والاسـتقرار وشـراء أو كراء منازل، نسبة العقود الموجودة مثلا 8.8% من مجموع العقود لسنة 2000 توضح أهمية هذه الشريحة من حيث العدد في النزلـة، هم من الموظفين المتوسطين في مختلـف القطاعـات، الصـحة،

التربية، وأيضا من البطالين الباحثين عن العمل أو من العائلات التي انتقلت من الشمال في الظروف الصعبة العشريات الأخيرة.

2.2. تحول علاقات الزواج بين انفتاح الامكانيات وترسيخ الشبكات التقليدية.

الزواج المختلط بين المجموعات المكونة للسكان قد يكون مداه مقياسا لدرجة الذوبان والتمدن والحضرية، كما أسلفنا فإن اعتبارات تاريخية وتمثلاتية تقف في وجه سهولة هذا الزواج الذي نرى حسب المعطيات الإحصائية أنه نادر الحدوث وإن حدث فتحت ظروف قاهرة أو حالات نادرة. بالرغم من كون الممارسات الزواجية الحالية مطبوعة بانفتاح الإمكانيات أكثر، دون اختفاء الشبكات القديمة والتقليدية، يمكن أن نشهد الآن أنواع متعددة من الزيجات تتشابك مع الظروف الجديدة والاستراتيجيات القديمة، الزيجات المضاعفة (بين أختين وأخوين هم أبناء عمومة) نجدها خاصة عند البدو المتمدنين مع زيجات أكثر بعدا في دائرة القرابة نجدها في البعد الأقصى جدا حتى تكاد تنفتح إلى غير القرابة عند بعض العائلات التي تمكنت من دخول الأنسجة العمرانية في شكل عائلات فردية بسبب نوع النشاط الذي مارسه الأب في تاريخ معين والذي سمح له بالانفصال الفيزيائي على الأقل عن مجموعة البدو والسكن في " البلاد " حسب تعبيرهم، هذا التطور سمح للأبناء من الانخراط في مسار حياة أقرب إلى ثقافة المدينة يتزوجون بفضل العلاقات الجوارية أو المهنية أضيفت لهم كإمكانيات جديدة إضافة إلى إمكانيات

القرابة الباقية بقوة خاصة للبنات اللواتي لم ينفتح لهن هذا الباب بعد، حالة من هذه الحالات الشائعة توضحها لنا المحادثة التي أجريناها مع السيد " محمد".

" الوالد كان يعمل سائق شاحنة، استقر في المدينة عام 1970، قام بكراء منزل في النزلة القديمة، ثم تمكن من شرائه من عند صاحبه الحشاني الذي بنى منزلا فيحي جديد، نحن خمسة أبناء وأربعة بنات... الوالدة هي بنت عمة الوالد... تمكن معظم الأبناء من النجاح في الدراسة نحن الآن ثلاثة موظفين، أنا في التعليم تزوجت من معلمة من السوافة وأخي الأصغر يعمل في البريد متزوج من بنت من الشمال قابلها أثناء التكوين... أما البنات وصلن في الدراسة حتى الثانوي، وتزوجن كلهن داخل العرش اثنين منهن عند أبناء خالاتي والأخريات عند أبناء " يقربون لنا "... نحن الآن نعيش كلنا في منزل واحد كبير تعاونا في شرائه وبنائه...الوالدة لا تتفاهم مع زوجاتنا لكونهن في نظرها " برانيات " أما الوالد فلا يولي اعتبارا للموضوع، فهي تتحالف مع بناتها و أزواجهن... لم نتزوج من القرابة كون البنات عندنا لم يدرسو و لا يفهموننا بالرغم من الآباء يحاولون ربطنا بالعرش لكن السكن في المدينة بعيدا عن العرش الذين بقوا متكتلين في عين الصحراء يتزوجون فقط من بعضهم داخل العرش...".

هذا المسار يمكن أن يكون نموذجيا بالنسبة لأسرة من أولاد نايل عاشت بين جيران مختلفين داخل الأحياء القديمة للنزلة، نلاحظ أن المسار الدراسي والمهني قد أكسب الأبناء من الجيل الذي تربى في المدينة من التحول والتغير عن نفس الجيل الذي بقي أفراده في شكل كتلة واحدة، نلاحظ أيضا أن هذه التغيرات لا تتم بسهولة بسبب مقاومة الأولياء لهذه التغيرات والإمكانيات الجديدة التي تضعف الانتماء الهوياتي هذه المقاومة نجدها واضحة بالنسبة للبنات، فلا يسمح أن تتزوج بناتهن خارج العرش أو دائرة الانتماء مهما كان المستوى، الإمكانيات الجديدة للبنات متاحة فقط داخل مستويات التشديف *ségmentarité*.

إن تطور إمكانيات اختيار الزوجة، ولو بالصفة المحتشمة التي لاحظناها تترجم في الحقيقة تحولا اجتماعيا وتمثلاتيا، بعيد عما كان يجري في بداية السبعينيات، دفتر السفر الذي كتبه *Daniel Pelligra* [1] و سجل فيه ملاحظاته وحواراته ويومياته مع بدو أولاد السايح في وادي ريغ قدم صورة عما كان يجري في وقت عيشه معهم سنة 1972 بدايات التمدن وعهد تطبيق الثورة الزراعية، عند أخذه كنموذج اثنولوجي ومقارنته بما يجري الآن يمكن أن نتوصل إلى فكرة عن التحولات التي وقعت حتى الآن.

[1] **Daniel PELIGRA**, *« Rahala ! Errances bédouines »* éd l'Aube 1998 , Paris , pp 295.

هذه التحولات التي تجري في المدينة وحتى في كل مدن الجنوب بدرجات مختلفة، في الجنوب الشرقى أين ارتبطت المنطقة بشركات البترول في حاسي مسعود، وانتشار الوظائف وفتح فرص العمل والدراسة، وآثار الثورة الزراعية التي أنهت عهد الخماسة هذه التحولات فتحت المجال نحو إعادة تركيب جديد للأسرة التقليدية سواء عند القرويين القدامى أو عالم البدو المتمدنين قديما وحديثا باختلاف انتمائاتهم القبلية والجغرافية .

تطور النظام الأسري في أشكاله الجديدة الشاهد المادي عليه نلاحظه من خلال السكن والبناء والتوزيع الإقاماتي، بناء المنازل الكبيرة التي تتوسع عموديا بإضافة الطوابق كإعلان عن زواج جيل جديد ، أشكال الأسرة والتعايش تغيرت داخل المجال السكني والعلاقات أيضا تغيرت. كثيرة هي الأمثلة عن زيجات حدثت بين أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات بين أبناء الحشاشنة ونساء من الشمال (القبائل، سطيف، قسنطينة، العاصمة...).

جدول (19) **الزيجات المختلطة بين المجموعات الاجتماعية**

الزواج		السنة		
مجموعة الزوج	مجموعة الزوجة	1985	1990	2000
أ	ب	0	0	1
أ	ج	8	6	14
أ	د	12	9	20
ب	أ	0	1	1
ب	ج	0	0	1
ب	د	1	1	2
ج	أ	7	5	8
ج	ب	0	0	0
ج	د	3	5	9
د	أ	4	6	5
د	ب	0	0	1
د	ج	2	3	4
مجموع الزيجات المختلطة		**37**	**36**	**66**
مجموع العقود		**179**	**175**	**283**
نسبة الزيجات المختلطة		**%20.7**	**% 20.6**	**% 23.3**

المصدر: تحقيق في سجلات الحالة المدنية (تقرت)

الخانة الأولى تخص الأزواج من مختلف المجموعات والثانية تخص الزوجات، مثلا في حالة (أ / ب) هو زواج بين حشاني و مرأة أولاد نايل الرموز المستعملة للإشارة للمجموعات الاجتماعية هي نفسها الخاصة بالجدول السابق أي (أ) مجموعة الحشاشنة (ب) أولاد نايل و(ج) تخص سعيد أولاد عمر والفتايت والطيبات والسوافة أما (د) فتخص العائلات المتفرقة القادمة من مناطق أخرى لا تشكل مجموعة اجتماعية، نتائج هذا الجدول تعلمنا الكثير حول العلاقات بين المجموعات الاجتماعية.

جدول(20) **حركية الأزواج والزوجات بين 1985 – 2000**

سنوات	1985		1990		2000	
حركية	أزواج	زوجات	أزواج	زوجات	أزواج	زوجات
لم يتنقلوا	146	121	152	119	195	158
تنقلوا	33	56	23	70	72	109
مجموع	179	179	175	175	238	238
نسبة	%16.75	%31.28	%13.14	%40	%25.44	%45.97

المصدر: تحقيق في سجلات عقود الزواج في بلدية النزلة

تتقل النساء عن طريق الزواج حركة كثيفة ويمكن ملاحظتها فـــي جـــدول تتقل الزوجات السابق الذي استخرجناه من العمل في سجلات عقود الزواج فـــي النزلة لسنوات 1985 إلى 2000 والذي يعطينا فكرة واضحة عن حركية الأزواج والزوجات بعد الزواج، نلاحظ مـــن خلالـــه تتقـــل الزوجـــات بنســـبة حركيـــة (31.28%) في سنة 1985 ونسبة (40 %) سنة 1990 و(45.97 %) ســـنة 2000، هذه الحركية تشير إلى تنقل العديد من النساء بين المدن والأحياء وإذا ما أخذنا في الحسبان إمكانيات المصاهرات والـــزواج المتاحـــة فـــي المجموعـــات الاجتماعية نستنتج الحركة هذه بين المدن القريبة والبلديات المجاورة.

- خلاصة الفصل

من عرض الواقع الاجتماعي للمدينة من خلال المجموعــات والأوســاط الاجتماعية المشكلة للمجال السكني والإقاماتي، يثبت لنا الوضــع القــائم كونهــا **مجموعات اجتماعية بين التمايز والذوبان فيما بينها**، بين الحشاشنة ذوي البشرة السوداء سكان الواحة الحضريين القدامى الذين يشكلون أكثرية عدد السكان والبدو المتمدنين ، **في إطار مدينية جديدة في مدن الصحراء اليوم ضمن مجال عمراني** في طور الانجاز أصبح يتطور ضمن منطق متعدد يطبعه التقاطع بــين المنطــق الاجتماعي الهوياتي الذي يتخذ من الهيكلة الاجتماعية والأسرية الجديدة التي أعيد تشكيلها وصيغتها تجاوبا مع التحولات في إطار مجتمع وطني غالب دون فقــدان الهيكلة الاجتماعية التقليدية والأصيلة المعبرة عن الهوية الاجتماعية، إن مؤسســة الزواج هي المعبر الرئيسي عن هذه الاســتراتيجيات الاجتماعيــة والتشــكلات الجديدة ، في مواجهة منطق مؤسساتي رسمي المطبوع بالنظرة العصرانية التــي لا تتكيف معها المجموعات الاجتماعية أو الأسر دون إعادة صياغتها على منوال التصورات والتمثلات الاجتماعية.

هذه الخريطة العمرانية التي تتشكل في المدينة التي هي الأخرى مشــروع عمراني مفتوح في طور الإنجاز ، وهي الهيكل الذي يضم خريطة اجتماعية على

شكله ومقاسه، السكان ليسوا مجرد أرقام في جداول، يسكنون ، يتعلمون، يستهلكون، .... بل هم فاعلون أكيدون من خلال ممارساتهم واستراتيجياتهم واحتلالهم للمجال هم يرسمون المدينة و يخططون لها ويقيمون التقسيمات والعلاقات بينهم ويبنون مساكنهم على صورة هوياتهم الاجتماعية والأسرية ويعيشون المدينة بتمثلاتهم.

الخلاصة والاستنتاجات العامة

قمنا في هذا البحث بدراسة وتحليل ضمن مقاربة سوسيو أنثروبولوجية واقع التغير الاجتماعي و علاقته بالتطور العمراني في مدينة تقرت من خلال الممارسات والإستراتيجيات الاجتماعية والأسرية والتمثلات، وذلك من الناحية النظرية والميدانية، وبعد استعراض فصول الدراسة يمكننا الخروج بإستنتاجات عامة هي كالتالي:

أولا: الدراسة النظرية:

قد بدأنا الدراسة النظرية والتي ضمت ثلاثة فصول بإستهلال عن طبيعة المسعى الأنثروبولوجي، بداية من هدف أي بحث أنثروبولوجي إنما يهدف إلى البحث عن المعنى، أي معنى للحياة الإنسانية، من خلال معرفة وتحليل خطاب الفاعلين، وهو ما دفعنا إلى تبني المنهج النوعي، والملاحظة بالمشاركة، تأيدا لقول **(عبد القادر لقجع)**" الطريقة التي يفهم بها الفاعلون واقعهم"[1] مركزين على مبادىء البحث الأنثروبولوجي: اكتشاف الآخر، تركيز التقصي الأثنوغرافي في ميدان سوسيو_ ثقافي مصغر ومحدد، تمثل في مدينة تقرت، فك رموز التنوعات والمتغيرات الاجتماعية والثقافية، الحذر النقدي. مركزين على التواصل مع الساكنين والتمعن في خطابهم في ممارستهم في إستراتيجياتهم الولوج إلى واقعهم

[1] **Abdelkader LAKJAA** ; ibid. ; p 82-85.

اليومي ومساراتهم حياتهم و دراسة التمثلات، مع عــدم إهمالنـــا لفائـــدة تعـــدد التخصصات.

قد حددنا في البداية مفهوم المدينة "City" ابتداء من نظرية ابن خلدون عن العمران البدوي والعمران الحضري. ثم مفهوم المدينة عنـــد اليونـــان القـــدماء " المكان المغلق والمحمي، وكونها تحيل إلى مفهوم التنظـــيم والشـــرطة ومفهـــوم سياسي "*Police*"، "*Politique*"، ثم إلى مفهوم التحضر والحضرية "*Civis*"، حتى نخلص إلى مفهوم **(بارك)** مدرسة شيكاغو: " المدينة ليســـت مكانـــا للحيـــاة تتلخص خصوصيتها في إحتلال مجال من طرف مجموعة متجانسة، لكنها: مجال اجتماعي للعبور والحركية يمكن للساكنين القياس والاندماج بكل حرية من خـــلال علاقاتهم مع مجالهم هذا. ومنه تنتج بيئة عمرانية لها تاريخ، يمكـــن للســـاكن أن يحدد تموقعه، أن يحدد القواعد الاجتماعية (العلاقـــات الاجتماعيـــة)، أن يحـــدد القواعد الاقتصادية، أن يحدد من خلالها هوية"[1]. أما بخصوص بحثنا فكما عبـــر **(قيس النوري)** "*إن التحضر هو المسار الـــذي يتعـــرض لـــه ســـكان القبائـــل والفلاحون في أثناء تكيفهم للحياة الحضرية في المدن*"[2]، هو بالفعـــل مـــا يمـــس جوهر موضوع الدراسة.

[1] **Parc R** ibid. p83.

[2] **قيس النوري**: مرجع سابق، ص18.

أما بخصوص المدينة العربية الاسلامية، فلم نجد اتفاقا عن تعريف موحد لها عند الباحثين العرب ولا المستشرقين، مع أن العديد من الباحثين العرب والمسلمين يؤرخون للمدينة العربية الإسلامية ونمطها منذ هجرة الرسول إلى المدينة والترتيبات التي أقامها في تلك المدينة، وبع ذلك بدأت تظهر ملامح بنية المدينة العربية الاسلامية مع مر التاريخ، واستجمعت نظامها من المبادىء الفقهية التي استنبطت من مقاصد الشريعة الاسلامية.

في الصحراء الجزائرية الملاحظة الهامة أن تاريخ المدينة تاريخ عريق فقد عرفت المدن وازدهرت ارتباطا مع مؤسسة تجارة القوافل التي كانت عالمية ازدهرت منذ القرن الحادي عشر إلى السادس عشر، وقد كانت بنيتها الأساسية تعبر بوضوع عن بنية المدينة العربية الاسلامية المتسمة بالمركزية الدينية والسياسية والتنظيم الاجتماعي والتدرج في الخصوصية والتناغم البيئي الدقيق، إضافة إلى إشرافها على شبكات تموين زراعية واحاتية طورت على مر التاريخ نظما فريدة في الري وفلاحة النخيل.

من المدينة إلى السكن، كونه وحدة عمرانية أساسية ووحدة اجتماعية، هو محل هوية للأسرة تظهر من خلاله ملامح الأسرة وتركيبتها وبنيتها وتتضح من خلال تحولاته التحولات الاجتماعية، يركز **(رابوبورت)** عن العوامل الثقافية في تحديد شكل ووظائف هندسة السكن[1]. وبذلك فتح المجال لتحديد ملامح البنية الاجتماعية وعلاقتها بالسكن والتساكن.

كما أن مؤسسة الزواج وعلاقات المصاهرة رأينا في دراستها ضمن ميدان دراستنا ركيزة أساسية لمعرفة واقع المجموعات الاجتماعية ودرجة تحلل الروابط السلالية التقليدية والاتجاه نحو الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية.

كما أدرجنا حيزا هاما لتحديد مفاهيم التغير الاجتماعي، خاصة التغير في البنية الاجتماعية لأن نظرياته التي تم استعراضها نلجأ إليها في محاولة تفسير التحولات التي تشهدها المحموعات الاجتماعية في مجال الدراسة بناء على أن " التغير الاجتماعي " changement sociale يشير إلى التحولات، التي يتعرض لها المجتمع في بنيته الاجتماعية في فترة تاريخية معينة؛ وذلك لأسباب نابعة من المجتمع نفسه أو ظروفا خارجية.

[1] **Rapopot Aamos : ibid.**

الفصل الثالث ضمن الدراسة النظرية خصص للتعمق في الوضع التقليدي للقصور والمدن والبنية الاجتماعية في منطقة وادي ريغ، حاولنا التعمق ليس في الوصف فقط بل استجلاء منطق التنظيم والنسق العمراني وعلاقته بالأنساق الاجتماعية والأنشطة الإقتصادية والعلاقات السياسية. بداية بالمدينة التاريخية (مستاوة) نواة مدينة تقرت، معظم الأوصاف التي جائت بخصوصها (فيرو) في المجلة الإفريقية العدد 23[1]. والتخطيط العام الذي يصنفها مدينة عربية اسلامية. إضافة إلى القصور التي ترصفت على طول وادي ريغ والتي تجمعت في ثلاث شبكات تشرف على كل منها مدينة (المغير، جامعة وتقرت) والتي شكلت شبكة واحات وادي ريغ.

المنزل التقليدي الذي يحوي مواصفات هندسية معمارية ذات دلالات اجتماعية، يوصف بدقة نمط بنية وحياة الأسرة في مدن وقصور وادي ريغ والذي هو ثمرة للتنظيم الاجتماعي المتسم بالخصوصية والإنغلاق نحو الخارج والمتضمن لحرمة الأسرة والتدرج في العلاقات الاجتماعية يحتوي عناصر هندسية متناغمة مع البيئة الصحراوية القاسية.

---

[1] **Féraud (L .CH) : ibid**. p59-60.

المجموعات الاجتماعية التي كانت تعيش بالقصور والمــدن أو تمــارس علاقات معها صنفناها إلى ثلاث مجموعات رئيسية، الحشاشنة فلاحــي النخيــل ذوي البشرة السوداء أو الرواغة، أول مجموعة ذات طابع حضري عريق سكنت قصور وادي ريغ، والمجموعات من النخبة المحليــة المالكــة للعقــار الســكني والفلاحي (المجاهرية)، ثم البدو سواء أنصاف البدو والبدو، والذين كانــت لهــم علاقات وطيدة مع الواحات في نظام اجتماعي إقتصادي وسياسي متسم بالتكامــل الوظيفي، وبالتالي الواحات ضمت مجموعات اجتماعية ســلالية متباينــة لكنهــا متكاملة في نسق متسق شكل النظام السياسي والإقتصادي مكن للمدن من التوسع والديمومة والسيطرة على شبكات قوافل التجارة.

ثانيا: الجانب الميداني:

والذي ضم أربعة فصول من الدراسة، في الفصل الأول منه كان العمــل منصبا على الجانب التارخي والفزيائي لمنطقة وادي ريغ ومدينة تقــرت، وهــذا تحديدا للإطار المكاني من جهــة وتوضــيحا لخصوصــية منطقــة وادي ريــغ الصحراوية.

إن منطقة وادي ريغ المنطقة الواحاتية الرطبة في وسط صحراوي شاســع أعطاها التميز المناخي، رغم هشاشة توازنه الطبيعي كمنطقة مغلقة تســتفيد مــن

مؤثرات محلية في التضاريس ومصدر المياه الجوفية الذي لعب دورا هاما في الحياة الزراعية سلبا وإيجابا في نفس الوقت مما يضفي عليها الطابع الهش والذي كان سببا دوما في خلق الواحة والقضاء عليها من جهة أخرى، ويستمر وحتى الآن من خلال ظاهرة صعود المياه الجوفية والذي وجد الحل شبه الطبيعي له من خلال قناة تصريف وادي ريغ، الشيء الذي لم يوجد في منطقة الوادي سوف وورقلة القريبتين واللتان تطلب إنقاذهما مشاريع ضخمة ومكلفة.

الجانب التاريخي أمكننا من خلال استعراض المراحل التاريخية إبراز أهمية المنطقة وفهم التوازنات السياسية والإجتماعية والتوازنات أيضا المحلية والدولية لفهم حركية وتحولات المجتمع في هذه المناطق. يمكننا أيضا التفريق بين تطور حياة سكان الواحة، فلاحي النخيل ذوي التقاليد الحضرية وفي المقابل البدو وأنصاف البدو ودورهم التارخي وعلاقاتهم القديمة مع سكان الواحات في شكل من التكامل الإجتماعي والإقتصادي والسياسي الذي لا يزال هو الآخر يشكل جوهر الحياة الإجتماعية في مدن الواحات اليوم وتحولاتها.

في الفصل الخامس تم التطرق إلى التحولات العمرانية ومفصلة تطور مدينة تقرت، إبتداء من الفترة الاستعمارية وهي بالتحديد فترة الإنقطاع بغير رجعة مع البنية التقليدية للمدينة والمجتمع، وكما شهدته الجزائر كلها خلال هذه

الفترة من اجتثاث وتحول، شهدته الصحراء أيضا بشكل أوضح وأعمق، كانت النتيجة تحول منطق المجال العمراني وبنيته الأساسية من البنية المغلقة المتناغمة والمنظمة إلى منطق الإنفتاح القصري نحو إقتصاد المتروبول وسيطرته، من الشكل الدائري المركزي إلى الطولي الذي يتبع الطرق والمحاور بدأت المدينة تأخذ طابعا جديدا من الحي القديم (القصر أو النواة) إلى الحي الأوربي المحيط والمسيطر إلى ظهور الأحياء العشوائية أو بؤر الفقر التي تزامنت مع بدايات تمدن البدو.

أما بعد الإستقلال فقد استمر نفس المنطق الطولي إن صح القول لكن هذه المرة بإشراف الدولة الوطنية والمشاريع الكبرى التي أخرجت هذه المناطق من محليتها نحو منطق التنمية الوطنية، لتكتمل صورة المدينة الصحراوية من خلال مراحلها التاريخية والتي يمكن قرائتها من مجرد التجوال في المدينة لتأخذ مورفولوجيتها كالتالي:

1. نواة المدينة (القصر أو المدينة التاريخية) أو متعددة الأنوية في حالة تقرت.
2. الحي الأوربي، ذو الطابع الكولونيالي.
3. الأحياء العشوائية وأحياء تمدن البدو.
4. الأحياء الجديدة (أحياء البناء الذاتي أو أحياء السكن الجماعي).

التخطيط الرسمي والمؤسساتي الذي يطبــق الآن والمطبــوع بالعقلانيــة العصرانية والذي يفرض نماذج وحلول مصدرها الدراسات والتخطيط والذي تــم في معظمه على مستويات رسمية ووطنية لم تطلع بصفة كافية على نمــط حيــاة السكان وحاجاتهم الكيفية وعلاقاتهم الاجتماعية وحدود مجالاتهم التي يرســمونها ويحددونها فيما بينهم كمجموعات تحتل فضائات هي تعبير على هويات اجتماعية وثقافية نلاحظ أنها تترسخ وتزداد كلما إشتدت حركة العولمة، فــي بحــث كــل مجموعة وكل فرد عن ذاته وكيانه، هذه المخططات التي جلبت العمــارات ذات الطوابق والسكنات الضيقة إلى الصحراء الواسعة، كان لابد لها أن تصــدم مــع المنطق الاجتماعي والثقافي المحلي لتنتج عنها تركيبة جديــدة هــي المحصــلة للتمازج بين المنطقين.

المجال ليس محايدا، إن المجال الإقاماتي والسكني في قناعتنا بعــد هــذا العمل الميداني كنموذج عن المدينة الصحراوية اليوم، ماهو إلا تعبير عن الهيكل الاجتماعي والتمثل الاجتماعي لساكنيه، إذ هو تعبير عن العالم السوسيو- ثقــافي لهذا المجتمع في التحول، يعد عالما للتعبئة والرهانات والهوية، عاكســا للهيكلــة الاجتماعية والأسرية الجديدة.

في الفصل السادس تم التطرق إلى التحولات الاجتماعية التي شهدتها منطقة الدراسة وهي تحولات عميقة، غيرت في فترة وجيزة نسبيا نسقا دام قرونا طويلة، الممارسات المهنية الجديدة أعادت تصنيف المجموعات والنخب في هذه المنطقة، الحشاشنة تحولوا من فلاحين إلى وضائف وأنشطة جديدة سمحت بها ظروف الإندماج في المجتمع الوطني العام، أما البدو المتمدنين فقد كانت مراحل تمدنهم هي محطات إكتساب وظائف جديدة، هذه الوظائف والأنشطة ساهمت أيظا في التوزيع المجالي الجديد، المجموعات مستفيدة من الوضع التقليدي والتضامنات الاجتماعية والأسرية وتركيبها في شبكة فاعلة مع الوضع المادي والسلطوي للتمركز في المجال وتملكه بطريقة ليست محايدة هي الأخرى، إنها تعبير واضح ومتعمد عن الهوية الاجتماعية والإقتصادية الجديدة، من خلال تمثلات السكان لمجالهم وما يعنيه لهم المنزل، الحي، المدينة، تصنع الأسرة والمجموعة لنفسها إنتماء وبالتالي هوية.

في الفصل السابع، هياكل اجتماعية وأسرية جديدة، ترسم مجالا جديدا في مدن الصحراء، تشكلت من هذه المجموعات الاجتماعية أشكالا من التعايش في الأحياء وفي المجال السكني دلالاتها هي إعادة تشكيل هيكلة اجتماعية وأسرية جديدة، استجابة لتحولات جديدة شهدها المجال العمراني الإقاماتي والسكني، الحي الهوياتي لتمييز مجموعة اجتماعية تبرز هويتها أو ثرائها، المنزل الفردي الكبير

القابل للتوسع عموديا لإيواء الأسرة المركبة في مكان الأسرة الممتدة التقليدية هذا بالرغم من الوجود المظهري للأسرة النووية التي أحدثها نظام الأجـور الفـردي والشقق ذات الغرفتين، الأسر الجديدة تهيئ مجالها المنزلي على صورتها اليوم.

هذه التجربة الميدانية حاولنا من خلالها وقبل كل شيء تقديم الدليل علـى نجاعة إشكالية عمرانية في الصحراء هي مـن واقـع إشـكاليات التنميـة فـي الصحراء، لفهمها كان لابد من توظيف وسائل معرفية متعددة فـي إطـار تعـدد التخصصات، ينفتح موضوعنا على أفق واسع هو وضع معالم حقل بحثي جديـد يتوغل في حاضر الصحراء اليوم.

هذا البحث كتجربة عمل ميداني في عالم المجال، العالم الحـي والعـامر بالدلالات الإنسانية، قمنا بمعلمة مساره بمشاركة المبحوثين أنفسهم، لنتمكن مـن تحقيقه كمعرفة لعالم تملك المجال الإقاماتي في حي من أحياء مدينة تقرت، مدينة في طور التحول في الجنوب الجزائري، كمحاولة لفهم مدينية صحراوية جديـدة في طور التشكل والإنجاز على المستوى العمراني ببعده الاجتماعي، الذي يصبح الإنسان فاعله الأساسي، مطبوع بتلاقي أثر عدة فاعلين، من خلال ممارساتهم في المجال وتجاه المجال، إن قراءة التمثلات والتعابير السكنية والهوياتية التي تجعل

من المجال وسيلة التعبير عن حدودها وهويتها الاجتماعية الجديدة فـــي ظـــرف متجدد هي طريقة الفهم العميق لمدن الصحراء اليوم.

ثالثا: نتائج الفرضيات

من خلال فصول الدراسة خاصة فيما يتعلق بالدراسة الميدانية النوعية، فإنه يكننا استخلاص نتائج الفرضيات التي طرحناها في مستهل الموضوع كالتالي:

فيما يخص المجموعات الاجتماعية التقليدية ضمن ميدان الدراسة وعلاقتهـــا بجالها العمراني التقليدي المتمثل في المدن التاريخية والقصور التقليديـــة إعتمـــد فعلا على مقومات التناغم البيئي والتدرج العمراني من العام إلى الخـــاص وهـــو انعكاس مباشر للتنظيم الاجتماعي. تأسس على زراعة النخيل بالنســـبة للمجتمـــع الواحاتي، والجمل بالنسبة للبدو الرحل ووجد أهميته ضمن الإنخراط في تجـــارة القوافل التي أعطت للمدن التاريخية أهميتها في شكل مـــن تكامـــل المجموعـــات الاجتماعية وارتباطها بنظام سياسي واقتصادي ومؤسسة دينية تشرف على جميع المجالات الأخرى.

إن التحول الأول والكبير والقصري في المجال الإجتماعي والعمراني جـــاء مع الفترة الإستعمارية والذي إتخذ الميكنة والصناعة والمشاريع الكبرى، كانـــت نتيجته إجتثاث المنطقة من ماضيها الطويل قصد اســتغلال خيــرات الصـــحراء فتحولت معايير تنظيم المجال وظهور بوادر تمدن البدو مع تحفيز النخبة التقليدية كمساعد على تثبيت الحركة الإستعمارية وكان الخاسر الأكبر هم البدو المتمدنون الذين فقدوا تاريخا وثقافة مجبرين على اللجوء إلى المدن في شكل موجات مـــن البطالين على هامش القصور والمدن.

في إطار الدولة الوطنية الحديثة شهدت المدن أيضا تحولا عميقا آخر، تمثل أثره الأول في إخراج هذه المجموعات ونهائيا من محليتها لتنخرط ضمن المجتمع الوطني العام، المدرسة، الخدمة الوطنية، الإدارة كلها وسائل غيرت وعميقا هـــذه المجموعات كان ذلك بفضل عائدات النفط.

المدن والمجموعات الإجتماعية تدخل ضمن حركية عمرانية واجتماعية لـــم يتضح شكلها النهائي بعد، لكنها متسارعة وعميقة، يمكن القول أننا في الصحراء عموما أمام ظاهرة مدن في طور الإنشاء لمجتمعات في طــور التحــول نحــو حضرية لا تزال غير مكتملة الإنسان كما المجتماع يبحث فيها عن هوية جديـــدة ضمن تعبئة الرصيد الثقافي التقليدي مع التأثيرات الحضرية الحديثة.

مصادر و مراجع الدراسة

- المراجع باللغة العربية:

1) **ابن خلدون (عبد الرحمان):** *مقدمة ابن خلــدون*، الــدار التونســية للنشــر والمؤسسة الوطنية للكتاب تونس 1984.

2) **ابن خلدون (عبد الرحمان):** "*كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبــر فــي أيــام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"*، الطبعة الثانية المجلد السابع بيروت 1921.

3) **ابن سعيد (علي بن موسى):** *كتاب الجغرافيا*، تحقيــق **إســماعيل العربــي**، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر1970.

4) **أبو بكر (منصور):** "*من العائلية إلى التعاقدية"* مطبعــة مــزوار، الــوادي، الجزائر2004.

5) **أحمد الزعبي (محمد):** "*التغير الاجتماعي"*، ط1 دار الطليعة1982.

6) **الحاج ابن الدين (الأغواطي)** *" رحلة الأغواطي في شمال إفريقية والســودان والدرعية* ، ترجمها عن العربية قنصل أمريكا بالجزائر، والمراســل الأجنبــي للجمعية الملكية الآسيوية (لنــدن) طبــع مؤسســة الترجمــة الشــرقية ســنة 1830.لندن. ترجمها عن الإنجليزية **أبو القاسم سعد الله:** في مجلة التاريخ (جامعة الجزائر)عدد النصف الثاني من سنة 1982.

7) **أحمد طعيمة (رشدي):**"*تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه أســسه، استخداماته"*. دار الفكر العربي، القاهرة، 2004.

8) **الخشاب (مصطفى):**"*دراسة المجتمع"*، مكتبــة الآنجلــو مصــرية، القــاهرة .1967

9) **الخولي (سناء):**"*التغير الاجتمــاعي والتحــديث"*، دار المعرفــة الجامعيــة الإسكندرية 1985.

10) **الزوي (لوجلي صالح)** ، "*علم الاجتماع الحضري*" منشورات جامعة قاريونس بنغازي2002.

11) **النوري (قيس):** الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، ط1 مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن 2001.

12) **بوطالب (محمد نجيب)** "*سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي*" سلسلة أطروحات الدكتوراه(41)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت يونيو 2002.

13) **حليمي (عبد القادر):** "*جغرافية الجزائر، طبيعية بشرية اقتصادية*"، ط2 دمشق 1968.

14) **حملاوي (علي):**"*نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية*"،الجزائر 2006

15) **سعيدوني (ناصر الدين):** "*دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني*"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.

16) **عزب (خالد):** "*التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية*"، دار الكتب العلمية. 2003.

17) **غامري (محمد حسن):** "*المناهج الأنثروبولوجية*"، القاهرة، 1986.

18) **غباش (آمنة):**"*التغير الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية*" ط 1، دار البحار بيروت ومكتبة القراءة للجميع، دبي 1990

19) **فاروق مصطفى (إسماعيل):** "*التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي*" دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

20) **فافري (جان)** "*التقليدية والتحديث المعاق*" في ليليا بنسالم (وآخرون)، "*الأنتربولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي*"، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق (الدار البيضاء: دار توبقال، 1988).

21) **لوكا (فيليب)، فاتان (جون كلود):** "*جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية*". تر: **يحياتن (محمد بشير) ، بولفراق (وردة)** وزارة المجاهدين (منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال) الجزائر 2002.

22) **ياقوت (الحموي):** "*معجم البلدان*"، الجزء الرابع بيروت ــ دون تاريخ.

- المعاجم والمناجد:

23) **الباشا (حسن):**" *موسوعة العمارة والآثار والفنــون الإســلامية"*، دار أوراق شرقية بيروت. (د.ت)

24) **المنجد في اللغة والأعلام:** معاجم دار الشــروق الكاثوليكيــة ط 20 بيــروت .1969

25) **الجمعية الثقافية التاريخية الوفاء للشهيد لولاية ورقلــة** "*قــاموس الشــهيد لولاية ورقلة"* منشورات جمعية الوفاء للشهيد. مطبعة الآمال الوادي 2006.

26) **بونت (بيــار)، إيــزار (ميشــال)** (تحــت إشــراف)، "*معجــم الإثنولوجيــا والأنتروبولوجيا"*، ترجمة وإشراف **عبد الصمد (مصباح)**.المؤسســة الجامعيــة للدراسات والنشر (مجد) بيروت ط1 2006.

27) **عاطف غيث (محمد):** "*قاموس علــم الاجتمــاع*"، دار المعرفــة الجامعيــة، الأزريطة الإسكندرية، 1995.

- المجلات والمقالات باللغة العربية:

28) **التليلي (البشير)**، " *البداوة المُطاردة: ملاحظات أولية للبحث في أثر فعل الحداثة في البداوة* ". في **إضافات** المجلة العربية لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومركز دراسات الوحدة العربية.العدد الثاني ربيع 2008.

29) **سعيدي (محمد):** *الدار- المرأة " رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية*، **في إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، عدد 2 خريف 1997.

30) **عنصر (العياشي)** *" السيرة الذاتية لتجربة في البحث العلماجتماعي، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟"* دفتر رقم 1-2001 وقائع الأيام الدراسية المنظمة من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بمساهمة جامعة قسنطينة 1997.

- الرسائل الجامعية

31) **خليفة عبد القادر:** *" الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية في النزلة – تقرت – مقاربة أنثروبولوجية"*. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. جامعة منتوري قسنطينة 2005.

-المراجع باللغة الأجنبية:

32) **Alain ROMEY : «** *Histoire, Mémoire et société ; L'exemple de N'goussa : oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)* _. L'Harmattan AWAL, 1992.
33) **Alex MUCCHIELLI (sous la direction de)** *« Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines et sociales* » Armand colin, Paris, 1996.
34) **(A) BERNARD**: « *enquête sur l'habitat rural des indigènes de l'Algérie* » Fontana, Alger, 1921.
35) **Amos RAPOPORT** « *pour une Anthropologie de la maison* » Collection Aspects de l'urbanisme ; Dunod. Paris, 1972.
36) **(B). GHIGLIONE (B) MATALON** *les enquêtes Sociologiques théories et pratiques* » ; Ed Armand colin, Paris, 1978.
37) **Catherine BONVALET** et **Pierre MERLIN** (sous la direction de) *« les transformations de la famille et l'habitat »* Bibliographie Comment. Documents Affaires Sociales, Paris, 1988.
38) **Christion BROMBERGER** ; *« du grand au petit ; variations des échelles et des objets d'analyse dans l''institut de l''ethnologie de la France* » in Ethnologie en miroir, la France et les pays de langue Allemande ; Ed de la Maison des sciences de l'homme, 1987.
39) **Ch. Féraud** « *notice historique sur les tribus de la province de Constantine* » ; Arnold éd Constantine 1869.
40) **Ch. Féraud**: *« Kitab el Adouani ou recueil des traditions sur le sahara de Constantine et de Tunis* »; Société archéologique de Constantine. 1868.
41) **Claude LEVI-STRAUS** : « *Anthropologie structurale »* PLON Paris, 1974.
42) **C l. Nesson** ; « *Structure agraire de L'Oued Righ* » Traveaux de L'IRS Tome XXIV 1°et 2° Semestres 1965.
43) **Cicourel A : "***Method and measurmrnt in sociology"*.New York Free press.1964
44) **Dan SPERDER**; « *L'étude anthropologique des représentations : problèmes et perspectives* _ in Les représentations sociales (sous la direction de **Denise JODELET)**, sociologie d'aujourd'hui, PUF, Paris 1989.
45) **Daniel BERTAUX :** *« Les Récits de vie* » ; Nathan ; Paris, 1997.
46) **Daniel DUBOST**, « *La ville, les paysans et le développement agricole au Sahara Algérien* _ .in Le Nomade L'Oasis et la ville, Fascicule de Recherche, n°20 URBAMA, 1989.
47) **Daniel PELLIGRA,** *« Rahala ! Errances bédouines* »,

Ed l'Aube, Paris, 1998.
48) **Edmond SERGENT** ; « *le peuplement Humain du SAHARA »* Institut Pasteur d'Algérie ; T 31 n1 Alger, 1953.
49) **Fathi HASSAN**, « *Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte, Gourna* »4e, sindbad, Paris 1985.
50) **Français DESINGLY,** *« L'enquête et ses Méthodes, le questionnaire »* Nathan, Paris, 1992.
51) **Français LAPLANTINE** « *la description ethnographique* »; Nathan ; Paris, 1996.
52) **Ferraroti Franco**: *histoire et Histoire de vie*, Méridiens Klinck Sieck, Paris 1990.pp 8/9.
53) **Gorges CONDEMNIAS**, « *introduction : l'espace Social* _ in l'espace social a propos de l'Asie du sud-est; Flammarion, 1980.
54) **Gorge PEREC:** « *Espèces. D'espaces »* Galilé, Paris, 1974.
55) **Hakim Besim S**; Arabic-islamic cities : Building and planing principles. London: Kegan Paul international. 1986.
56) **HANNERZ U** « Exploring the City,New York, Colombia University Press(tard.fr " Explorer la ville, Ed Minuit Paris 1983.
57) **Jaques BERQUE :** « *Les villes, entretien interdisciplinaire sur les société musulmanes* _ Ecole Pratique des Hautes Etudes, Paris, 1958.
58) **Jean FRANCOIS** (sous la direction de) « *le Maghreb hommes et espaces ».* Amand colin – collection U, Paris, 1985.
59) **Jean BISSON** : *« les nomades des départements Sahariens »* Paris, 1958.
60) **Jean BISSON** : *« le chaanbi et le Hammam : Zelfana, boite noire de l'aménagement au Sahara Algérien »,* in le nomade L'oasis et la ville, Fascicule de Recherche, n ° 20 URBAMA, 1989.
61) **Jean COPAINS**: *« Introduction a l'ethnologie et l'anthropologie* »; NATHAN, Paris.1996.
62) **Lahouari ADDI** : « *Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu, le paradigme kabyle et ses conséquences théoriques* » éd la découverte, Paris …..
63) **Lundberg .G. A and others** : *sociology , Harper and brothers* 3 N Y. 1963.p675
64) **Madeline GRAWITZ,** *« méthodes des sciences sociales »* cinquième édition, DALLOZ Paris 1981.
65) **Marc COTE** « *l'Algérie ou l'espace retourn*é » Media-plus Algérie, 1993.
66) **Marc COTE** *« L'Algérie, espace et société »* Masson/ Armand Colain, Paris 1996.
67) **Marc COTE** (sous la direction de) *« la ville et le désert le Bas-Sahara algérien* » Karthala et IREMAM Paris 2005.

68) **Mauss Marcel** ; Sociologie et Anthropologie.9[éme] éd. Paris ; Presse universitaire de France. 1950.
69) **Matthew B. Miles A. Michael HUBERMAN** « *Analyse des données qualitatives, Méthodes en sciences Humaines* » ……….
70) **M'hammed BOUKHOBZA «** *RUPTURES ET TANSFORMATIONS SOCIALES EN ALGERIE* **» vol1/2 OPU Alger 1989.**
71) **Maurice Angers** : *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Casbah Edition ; Alger, 1997
72) **Michel LERIS.** « *Cinq études d'ethnologie de racisme de Tiers Monde »* Denoed / Gonthier Paris,1969.
73) **Mondher KILANI** *« introduction a l''anthropologie »* E[d] Laval Lausanne. (sans date).
74) **Rouveillon BRIGOL. (et Autres).** « *Oasis du Sahara algérien, études de photos – interprétations n ° (06)»*. Institut géographique national, Paris, 1978.
75) **Nadir MAROUF** « *lecture de l'espace Oasien »*. Sindbad, Paris, 1980.
76) **P PASSAGER «** *Ouargla (Sahara de constantinois) Etude historique géographique et médicale – archi… »*. institut Pasteur d'Algérie, T 35, Alger 1957.
77) **Patric GOBORIEAU** *« l''écriture ethnologique. Réflexion Sur la composition des terte*.1997.
78) **Parc R** *« The City* », Chicago The University of Chicago Press*(la ville* »,version francaise augmenté , L'Ecole de Chicago. Naissance de l'écologie urbaine, Paris Ed du Champ Urbain 1979.
79) **Pierre BOURDIEU et Sayad ABDELMALEK,** le Déracinement ; la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Paris : Edition de minuit, 1964 (Grands documents ;14)
80) **Pierre BOURDIEU,** *« la maison kabyle ou le monde renversé »,* in Esquisse d'une théorie de la pratique, Droz, Paris ,1972.
81) **Pierre FONTAINE** « *Touggourt capitale des Oasis »* DERVI, Paris, 1952.
82) **Pierre Robert BADUEL:** (sous la direction de) *: « Habitat .état. Société au Maghreb »*.CNRS, Paris, 1988.
83) **Pierre BONTE, Michel IZARD** ; *«Dictionnaire de L'ethnologie et de L'anthropologie* » 2 [éd], Paris, 1991.
84) **Pietro LAUREANO,** « *SAHARA, Jardin méconnu* » Larousse Paris, 1991.
85) **(R) HERTZ** « *sociologie religieuse et folklore »*, 1[éd] PUF, Paris, 1970.

86) **Ramon BASAGANA** et **Ali SAYAD** *« Habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie* » Mémoires du CRAPE, n_23 Alger 1974.
87) **Rapopot Aamos** «*pour une Anthropologie de la maison* » Dunod Paris. 1972.

88) **Rey CAPOT** « *le Sahara Francais* » ; PUF ; Paris; 1953.
89) **RICHARD, Ch, Capitaine** : *Etude sur L'insurrection de la Dahra (1845-46)* Alger,éd. Besancenez,1846.
90) **Robert CHESSWELL** et **Maurice GODELIER** *« outil d'enquête et d'analyses anthropologique »* Maspero ; Paris, 1976.
91) **Rocher GUY** « *Organisation sociale »*. DEHMH Paris ,1986.
92) **Thierry PAQUOT** (sou la direction de) *« le Monde des villes, Panorama urbain de la planéte* » éd Complexe Paris,1996.

- Thèses :

93) **Allaoua AMMICHE** *« l'espace urbain de Touggourt (OUED RIGH) : '' étude d'aménagement''*, Thèse Doctorat de l'université de Provence.

94) **Brahim DAJINE** *« instruments d'urbanisme et développement urbain en Algérie (PUD, PAUD, POS) cas de Tebessa et Bekkaria* _ Thèse de Magister en urbanisme, Constantine.2000.

95) **Cherif RODSLI** *« la notion du Quartier dans la pratique urbanistique »* Mémoire de Magister d'urbanisme, Constantine, 2002.

96) **Daniel Pelligra** « *Systems de relations nomades ; région de Touggourt- Algérie* » Doctorat de 3[e] cycle en sociologie, Ecole des Hautes études en Sciences Sociales France 1978-1979.

97) **Fairouze DIABI** *« le Rapport identité_ – Architecture – conception, Approche et perspective »*Thèse de Magister en Architecture, Constantine, 2001.

98) **Hammou KOCEIR** *« Développement de l'habitat rural en Algérie, pou une meilleure satisfaction des besoins, l'exemple de Ouargla »* _ Mémoire de diplôme d'architecture, institut supérieure d'Architecture de l'état 1981- 1982.

99) **Leila BABES** *« Tribus – Structures sociales et pouvoir politique, dans la province de Constantine sous les Turcs* **»** Mémoire pour le DEA d'études politiques, faculté de droit et de sciences politique D'aix- Marseille, 1981.

100) **Nicolas PUIG** *« Derrière le cimetière, un lignage Awlad sidi Abid Tozeur »* Thèse de Doctorat 1998.

- Articles :

101) **Abed BENDJELID** « *Anthropologie d'un nouvel espace habité : enjeux fonciers et spatialité des classes moyennes _ Oran et sa banlieue »* in **Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N_2 – Automne – 1997.

102) **Abdelkader LAKJAA** *« L'habiter identitaire : Eléments pour une problématique d'une urbanité_ en émergence »*. in **Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N°2 – Automne – 1997.

103) **Mohamed MADANI** *« contrainte ou liberté ? Une recherche sur la maison individuelle oranaise »* in **Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N°2 – Automne – 1997.

104) **Nadir MAROUF** *« L'imaginaire histographique entre conjonctures et réalité, ou le problème des sources : _ propos de l'établissement humain en milieu saharien* »in **Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N_2 – Automne – 1997.

105) **Jean Pierre COURSO; Michel SABOULIN** « *Ménages et familles vers de nouveaux modes de vie* »In ECONOMIE ET STATISTIQUES, N_ 175, Mars 1985.

106) **Léan Charles FERAUD** «*les Ben – Djellab, sultans de Touggourt* _; Notes historiques sur la province de Constantine ; in Revue africaine N° 23. 1879.

107) **Marc COTE** *« dynamique urbaine au Sahara »* in **insaniyat** (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) N°5 Mai-août, vol 21,998.

108) **Jean Pierre COURSO; Michel SABOULIN**; « *Ménages et familles ; vers de nouveaux Modes de vie* » ; in ECONOMIE ET STATISTIQUES, N°175, Mars 1985.

109) .**Said BELGUIDOUM** ; « *Urbanisation et urbanité_ au Sahara »* in Méditerrané, Revue géographique des pays méditerranés n° 3-4 2002.

110) **Beuscart J.-S. et Peerbaye A.**, *« Urbanité(s): (avant-propos) »,* Terrains & Travaux_2003/2, N° 5, p. 3-6.

- Documents:

111) **Annuaire** Statistique de la Wilaya de Ouargla, Année 1986et 2001.
112) **ONS** ; Collections statistiques N°142 les principaux résultats du sondage 2008,
113) **ONS** 5eme Recensement Général de la population et de l'habitat. W.Ouargla(N° 30/527).
114) **ONS,** Résultats de l'exploitation Exhaustive du 4éme Recensement Général de la Population et de l'Habitat -1998-
115) **M. A. GHOISY** « *Document relatif _ la mission dirigé au sud de l'Algérie, textes troisième volume. Hydrologie, statistiques, météorologie et anthropologie* » Ministère des travaux publics. Chemin de fer transsaharien. Paris 1895.
116) **POS, el moustakbal**, Bureau D'études D'architecture et D'urbanisme, Touggourt, 2000. Krima Ahmed.
117) **POS, MESTAOUA Touggourt,** Bureau D'études D'architecture et D'urbanisme.
118) **URBA** « *Rapport technique d'urbanisation Directeur, Touggourt* » direction générale de l'URBA. Sétif, mission d'études de l'URBA. Ouargla, 1988.

ملاحق الدراسة

1. نموذج استجواب ميداني حول الأسرة والسكن
2. نماذج من المحادثات المنجزة للدراسة
3. صور وأشكال توضيحية من ميدان الدراسة

الملحق رقم 7: نموذج استجواب ميداني حول الأسرة والسكن

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

<u>إستجواب ميداني حول</u>

<u>الأسرة والسكن في مدينة تقرت</u>

استمارة رقم : .... مكان المقابلة .... تاريخ المقابلة...........

في إطار إجراء بحث ميداني حول التحولات الاجتماعية والمجالية في مدينة تقرت، نرجو منكم الإجابة بتمعن عن الأسئلة المطروحة ضمن هذه الاستمارة، وذلك لفائدة البحث العلمي، كما نلتزم لكم بأن إجابتكم سوف تكون دون تخديد هويتكم. ***<u>(نجيب بلا أو نعم أو بإشارة × في المكان المناسب) كما نكمل الإجابات المطلوبة.</u>***

شكرا لكم

1) الاسرة :

أ) **سن رب الأسرة** :

15 ـ 34 ... .

35 ـ 44 ... .

45 ـ 54 ... .

55 وأكثر ... ...

ب) **مكـــــــان ميلاده** : ... ...

ج) **مهنته** :...........................

هـ) **الزوجة** :

واحدة :.... ... متعدد الزوجات: ... ...

الزوجة قريبة: ... ...(إذا كان نعم، ما هي درجة القرابة؟) غير قريبة ... .

عاملة: ... . غير عاملة: ... .

د) الأبناء : عدد الأبناء: ....

سن الأكبرسنا: ... . سن الأصغر سنا: ... ...

و) هل يوجد أبناء متزوجون في المزل؟

نعم: ... ... (عددهم):.........

لا ... ...

درجة قرابة زوجاتهم:

الزوج الأول: درجة القرابة مع زوجته:..........

الزوج الثاني: درجة القرابة مع زوجته:..........

الزوج الثالث: درجة القرابة مع زوجته:..........

هل لدى الأبناء المتزوجون في البيت مطبخ مستقل ؟

نعم ... .(عدد غرف الطبخ المستقلة)

لا ... .

2) السكن :

مكان السكن الحالي

....

مكان السكن السابق:

....

متى غيرتم السكن ولماذا؟

....

وضع السكن الحالي

- ملك موثق...............
- ملك عرفي...............
- كراء ... ...

كيف تم الحصول عليه :

- بناء ... ...
- شراء ... ...
- ميراث ... ...
- استفادة ... .

تاريخ إنجاز السكن :

- قبل سنة 80 ....
- بين 80 /90 ....
- بين 90 /2000 ....
- بعد سنة 2000...........

مساحته :

- أقل من 100 م 2 ... .
- من 100 إلى 200 م ....
- من 200 ـــ 350 م .....

عدد الطوابق:

- أرضي ... ...
- طابق ... ...
- طابقين ....

عدد الغرف : ... ...

موارد تمويله :

- ادخار: ... ...
- تعاون أفراد الأسرة: ... .
- قرض : ... .

هل هو مكتمل البناء

- نعم : ... ...
- لا : ... ...

ما بقي إنجازه :

....

... ...

....

<u>كيف تم بناؤه:</u>

- حرفي ... ...
- مقاول ... ...
- عمل أفراد الأسرة ... ...

<u>هل يوجد سكن آخر للأسرة:</u>

- نعم ... ...
- لا ... .

<u>من مخطط السكن ؟:</u>

- مهندس ... .
- رب الأسرة ... .
- غيره ... ...

<u>هذه العناصر هل هي موجودة:</u>

- فرندة ... ... صالون ... ...

- حوش ... ... سطح ... .
- قاراج ... . فناء ... .
- صالون نساء ... ...
- سباط : ... ...

3) الحي والمدينة:

هل ترون أن الحي مناسب لسكنكم :

- نعم ... ...……….لماذا؟
- لا ... ...………..لماذا؟

إذا تنقلتم فأي الأحياء تختارون لسكنكم:………………………..لماذا؟………

……………………………………………………………………

الملحق رقم 2: عينات من المحادثات الميدانية

1. جزء من محادثة يوم 08 أكتوبر 2007. الساعة من 10صباحا إلى 11و45.

أسرة السيد علي، يعود سكن هذه الأسرة في تقرت إلى سنوات الستينيات أين كان لا يزال أولاد نايل يقومون بالرحلة السنوية بين تقرت والبادية الواقعة قرب مسعد ولاية الجلفة. اتصلنا بالسيد علي وحددنا معه موعدا لإجراء محادثة معمقة حول أسرته وسكنه ونمط معيشته وأهم المراحل التي مرت بها حياته في العشريات الأخيرة. أثناء المقابلة شرحنا له الموضوع وتركناه يسرد لنا حديثه واكتفينا التسجيل وتوجيهه نحو المواضيع التي نريد أن يتعمق فيها:

"... إني أملك مع إخوتي ضاية تركها والدنا نقوم بحرثها كل سنة أو نكري عليها من يحرثها لنا من أبناء عمومتنا هناك، وفي الصيف نذهب للحصاد ونجلب محصولها لبيعه في البلاد، ولدينا أيضا مجموعة أغنام يقوم برعيها أبناء عمنا مع أغنامهم، عندما يأتون إلى هنا نوفر لهم ما يحتاجونه من البلاد أونبعث إليهم باحتياجاتهم مع الشاحنات التي تذهب كل أسبوع إلى هناك، أنا إبنتي متزوجة في البادية عند إبن عم لي، وبهذه الطريقة نتمكن من دعم مداخيلنا القليلة إذ أننا لا نعمل في المدينة وأبناؤنا لم يجدوا عملا ولم ينجحوا في الدراسة..." " بدأ مجيء أولاد نايل إلى مناطق وادي ريغ حسب ما أعلم من وقت الحرب " حرب

الألمان"[1] ... كنا نخيم شمال المدينة، نترك نسائنا وأطفالنا ونذهب كل يوم للعمل في غابات النخيل ... نقطع التمر ونفرزه... عندما ينتهي العمل ويحل الربيع نعود للصحراء ونرعى أو نتنقل بين مناطق التل للمشاركة في أعمال جني محاصيل العدس والحصاد في الصيف... وفي الخريف نحرث أرضنا الفقيرة ثم نعود إلى واد ريغ .... وهكذا نقضي السنة...، مع ظهور الشركات بدأ الكثير منا في العمل وتوقف عن الرحلة السنوية وتحولت خيامنا إلى قرابي دائمة " الشتاية" هو اسم المناطق التي كنا نقيم عليها القرابي... والدولة تطردنا من مكان إلى آخر حتى منحتنا قطع أراضي في ذراع البارود و خمسة جويلية..."

[1] يقصد الحرب العالمية الثانية، الأربعينيات من القرن العشرين. يؤرخ إلى مجاعة كبيرة مست مناطق وادي ريغ في هذه الفترة.

2.جزء من محادثة أكتوبر 2007. في النزلة بخصوص عائلات الحشاشنة.

كنا بصدد القيام بمقابلة مع أسرة من حي النزلة من أكبر أحياء مدينة تقرت يضم في الأصل أكبر مجموعات الحشاشة، من جملة المقابلات الخاصة بالبحث اخترنا أسرة على أساس أنها أسرة معروفة في النزلة بنشاط رب الأسرة السياسي وتمثيله في المجالس المحلية فقد رحب بنا في منزله ليعرض لنا منزله وشكل تخطيطه ويحدثنا حول ظروف حيه ومدينته. دخلنا برفقته إلى منزله الكبير في حي المستقبل الجديد:

" منزل ذو طابقين لاحظنا المدخل الخاص بالضيوف يؤدي إلى صالون واسع أثاث رفيع، عدد الأرائك والكراسي الموجودة توحي بأن هذا المكان يستقبل العديد من الناس، وقد وجدنا قبلنا مجموعة من الرجال كانوا في انتظاره لجملة من المسائل تتعلق بالانتخابات التي كانت على الأبواب علما بأنه أي صاحبنا كان يتهيأ للترشح لمنصب هام في التمثيل السياسي. اختلط شعورنا بين وجودنا في منزل عائلي أو في مقر حزب من الأحزاب، وقد سمح لنا بالحضور إلى الحديث الذي كان يدور حول التحضيرات، في الوقت الذي كان فيه الأبناء الكبار بتوزيع الشاي والحلوى على الحضور الذين يألفونهم جيدا. كل الحضور كانوا من

الحشاشنة لاحظنا وجود شخص واحد من السوافة وكان مدير مدرسة حسب ما عرفنا . معظم الحضور تربطهم قرابات من درجات مختلفة، الإبن الأكبر والذي جلس قربي كونه طالب جامعي يدرس الحقوق بين لي درجة القرابات بين الحضور الذي بلغ عددهم حوالي 72 فردا ثم سألته عن وظائف هؤلاء الأشخاص تبين أن أحدهم رئيس بلدية سابق وآخر مسؤول في البريد عدد من المعلمين وبعض المسنين من الأعيان. ومدير دار شباب . دار الحديث حول التجنيد في الحملة الانتخابية وما يستطيع كل عضو أن يقوم به، من العبارات التي لفتت انتباهنا هي استعمال كلمة " ... هذا لينا ... وهذا خاطينا ..." كررت كثيرا ومن تتبعنا لطريقة استعمالها ومن هم المقصودين بهذا التصنيف تبين أن هذه التصنيفات تبنى على أساس معقد بين الوظائف و المسؤوليات وأيضا القرابات الأسرية والاجتماعية في مركب واحد جاهز للتعبئة من أجل هدف واحد وهو ضمان توزيع من المنافع والمكنات المتناسب مع هذه التركيبة وبينت كيفية تنسيق الروابط الاجتماعية لخدمة المجموعة الاجتماعية ومصالحها وبالضرورة مصالح الأفراد والعائلات التي تتشكل منها. تجدر الإشارة أنه طيلة الحديث لم يشر إلى الحزب أو برنامجه. يصبح الحزب في هذه الحالة مجرد وعاء تنظيمي يحتوي هذه الاستراتيجيات الاجتماعية.

3.ملاحظات ميدانية، سوق مسائي في حي عين الصحراء.

بالنسبة لأحياء أخرى رأينا أن نتعرف على موضوع الإستراتيجيات من خلال جولتنا في السوق المسائي الذي تعود أولاد نايل على إقامته في حيهم (عين الصحراء) وهو حي مثالي لتمدن البدو، أنشئ في بداية الثمانينيات لتثبيت بدو أولاد نايل بعد معاناتهم الطويلة في سكنهم القرابي على هامش مدينة تقرت وتم ترحيلهم مرارا وتكرارا حتى تم تثبيتهم النهائي في هذا الحي الذي كان أرضا مهملة تبعد عن المدينة بحوالي 03كم، أثار إنتباهنا ما يجري في السوق اليومي الذي يقيمه أولاد نايل قرب حيهم.

هو سوق صغير جدا في ساحة خارج السكنات يعقد كل مساء عادة بعد صلاة العصر - الصلاة لا تزال هي التوقيت الذي يظبط به السكان نشاطاتهم اليومية- ملاحظتنا الأولى هي التجمع الذي تم بين سكان الحي وآخرين قدموا من تقرت أي بعض من أولاد نايل الذين يسكنون داخل مدينة تقرت وأخرين قدموا من البادية تدل عليهم طريقة لباسهم وبعض الشاحنات العسكرية القديمة من نوع (ماجيريس الألمانية الصنع) المرقعة التي تضمن النقل من وإلى مناطق الهضاب المكانالأصلي لبدو أولاد نايل، السوق لا يحتوى على تبادل وسلع بل مجرد بعض الخضر أو اللحم المذبوح في المنازل رخيص الثمن في الأغلب لحم ماعز،

نظرا لفقر السكان، وحتى اهتمام الرجال وهم الوحيدون في السوق مع بعض الأطفال يدور حول التجمع والحديث وتلقي الأخبار. التفسير الوحيد الذي يفرض نفسه أن هذا المكان ليس سوقا بالمفهوم الاقتصادي بقدر ما هو مكان تجمع اجتماعي (lieu de socialisations) لهذه المجموعة الاجتماعية تبدو الروابط متينة بين سكان عين الصحراء وأبناء عمومتهم من سكان " البلاد " حسب تعبيرهم و سكان " الصحرة " . هي نقاط من السكن توحي بمراحل من التمدن المرن أو دخول المدينة على مراحل والاندماج داخلها لكن دون التخلي عن الخطوط الخلفية التي لا تزال تربطهم بأوطانهم وأراضيهم ، تدور الأحاديث التي استمعنا إليها عن أخبار المطر في البادية والمواشي وأسعارها - تبين أن كثير من سكان عين الصحراء يملكون مواشي يتكفل بها أقربائهم الذين بقوا في حياة البادية والعكس كثير من أثرياء المواشي البدو يشترون قطع أرض أو منازل يسمحون للفقراء من أقربائهم في حي عين الصحراء بالسكن فيها مؤقتا. الأقرباء من سكان تقرت يأتي بعضهم كل مساء ليس للشراء بل لتوطيد العلاقات القرابية الضيقة والواسعة . أكبر إهانة يمكن أن توجه إلى رب أسرة يسكن المدينة هي أنه نسي أبناء عمومته وأصبح يتكبر عنهم أو بدأ في الحديث بلهجة سكان المدينة الحشاشنة . الموضوع الذي يستهوي الأحاديث هو الطريق الجديدة التي تربط بين تقرت ومسعد، يعلق عليها أولاد نايل آمالا كبيرة في أنها ستعزز الروابط وتمنح

للعاطلين والفقراء والذين لا يملكون مهنة تؤهلهم للاندماج في المدينة في أن تفتح لهؤلاء الذين طالما انتظروا المدينة أن تحسن أحوالهم الاقتصادية لكنها عزلتهم في نظرهم أن هذه الطريق سوف يستعيدون بها مكانتهم وتمكنهم من زراعة أراضيهم التي خلفوها ورائهم أو غير ذلك من الأعمال.

4. جزء من محادثة أسرة من الحشاشنة.

" ... أسرتنا الكبيرة من الحشاشنة ، الجد كان فلاحا يملك مجموعة قليلة من النخيل ويعمل خماسا في نخيل أحد الملاك ، يسكن في النزلة القديمة في منزل كبير من النمط التقليدي بالطين والجبس... الجد كان له زوجتين والدي كان الإبن الثالث من الزوجة الأولى تزوج من أمي التي هي بنت عمه حسب التقاليد ... كانت أسرة جدي التي تربينا فيها متعددة الأفراد كلهم يعيشون من الفلاحة ...في سنوات السبعينيات والدي يتوظف في شركة للمياه كبناء الوظيفة التي جعلته يتحصل على أرض للبناء بحي بومرداس ويبني لنا بيتا مستقلا عن أعمامي في هذا الحي وبقينا به حتى تقاعد الوالد ثم وفاته في سنة 1991 وكنت آنذاك أشتغل بالتعليم مع أخي الذي يشتغل في البريد ...تزوجت سنة 1981 من فتاة من النزلة بعد ذهاب أخي للعمل في حاسي مسعود ، تحصلت على قطعة أرض بحي المستقبل في النزلة وشرعت في بنائه بعد أن بعت حصتي من البيت القديم واستعملت مداخيلي الشخصية في بنائه ... أخذت الولدة للعيش معي وأختي غير المتزوجة ... هذا السكن الجديد الذي بنيته في مكان ملائم مقابل الشارع الرئيسي هو مستقبل العائلة إني أبنيه من أجل أولادي حتى يكونون في أمان ... هو كبير يسع الجميع ويمكن لهم الزواج فيه مستقبلا..."

"... أنجزت مسكني عام 1989 بعد أن عملت سنوات كثيرة في حاسي مسعود، كافحت كثيرا من أجل الأسرة ومن أجل بناء المنزل الذي كلفني الجهد والوقت، تحصلت عليه قطعة أرض من البلدية عام 1986 الآن والحمد لله البيت كبير نعيش كلنا فيه في مكان جيد، لي سبعة أبناء وبنت واحدة، لما تزوج أبنائي الكبار قمنا ببناء الطابق الأول وأخذ كل منهم جناح خاص به مع زوجته، أحدهما تاجر والثاني موظف..."

5.محادثة مع أسر من البدو المتمدنين.

أسرة من البدو المتمدنين متكونة من ستة عشر فردا يعيشون في منزل واحد بحي (عين الصحراء النزلة) زوجته وخمسة أبناء وثلاث بنات وزوجات أبنائه الثلاثة المتزوجون. استقبلنا كعادة البدو أمام منزله المتواضع وجلسنا بالخارج على فناجين من القهوة، وكان يظننا من الحكومة جئنا بغرض إحصاء أسرته لكننا وضحنا له الأمر وبعد تجاوبه مع موضوعنا. تركناه يتحدث مليا على قضايا الحي والبلدية والمدينة وأن أبنائه يعانون من البطالة. لما أثرنا موضوع الأسرة لم يفهم هذا الرجل معنى أن يخرج أبناؤه ويستقلون بأسرهم بعيدا عنه فلا حاجة لذلك فالدار كبيرة ولماذا يذهب أبنائي حتى وإن وجد سكن آخر وأكد أنه في عاداتهم حتى وإن كان أبناؤه يعملون بعيدا فلابد وأن يتركوا زوجاتهم وأبنائهم معنا.

الملحق رقم 03: صور وأشكال توضيحية من ميدان الدراسة



منظر عام للمدينة التاريخية (تقرت)

يلاحظ الشكل الدائري لبنية المدينة التاريخية الذي يتوسط بساتين النخيل والممرات والطرق المؤدية إلى قلب المدينة، تبرز الصوامع والمسجد في وسط المدينة. هذا الشكل النموذجي لبنية المدن التاريخية والقصور في الصحراء الجزائرية عموما.



<u>السوق التقليدية في مدينة تقرت (صورة إبان الفترة الاستعمارية</u>

حتى وإن كانت الصورة في الفترة الاستعمارية، فإنها تعطينا صورة عن السوق التقليدي الذي كان يقام في الأصل في الساحة المركزية داخل المدينة التاريخية، لكن بعد تحطيم جزء كبير من المدينة أصبح هذا السوق على طرف المدينة التي يبرز جامعها الكبير بمنارته وقبته وراء الصورة. يتضح جيدا من اللباس السوق الذي يجلب البدو وتبادلاتهم مع السكان المقيمين.



الغطاسة

حرفة تقليدية عند الحشاشنة بوادي ريغ، سمحت تقنيات حفر الآبار التقليدية للسكان المزارعين من الحشاشنة بتوسيع وري مساحات من بساتين النخيل. المياه القريبة من السطح والمالحة سهلت عمليات الحفر وإجاد تقنيات الري والتصريف التي كانت وراء إستغلال الوسط الطبيعي الهش.



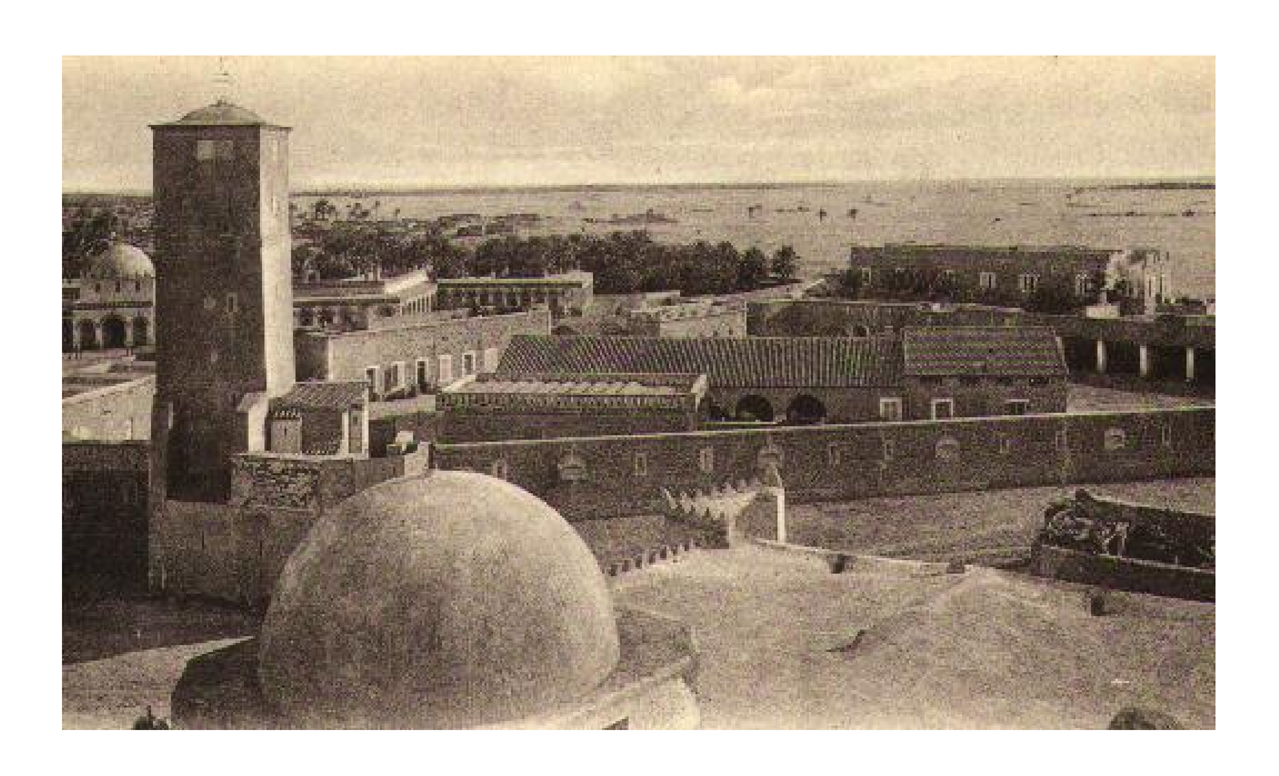
تخييم بدو أولاد نايل قرب مدينة تقرت

هذا الوضع دام حتى السبعينيات، دأبت عليه مجموعات من البدو وأنصاف البدو في التنقل والترحال والإستفادة من العمل الموسمي قرب الواحات. قبل أن تتمدن وتثبت نهائيا لينتهي عالم البدو والترحال.



<u>فندق الهقار (ساحة تقرت، الفترة الإستعمارية)</u>

تظهر جليا في هذا البناء ملامح الهندسة الكولونيالية التي استوحت من الطابع المحلي في الأقواس والإستفادة من طبيعة المناخ، لكن الطابع الفرنسي يبقى واضحا أيضا في مزج بين التقليدي والكولونيالي طبع البناء الفرنسي في الصحراء الجزائرية.(إستعمل هذا الفندق الظباط الفرنسيون).



البرج

في الأصل كان هذا البناء مكان المنارة الإباضية في المدينة التاريخية مستاوة بعد تحطيمه أنشئ مكانه ثكنة عسكرية فرنسية بالقرب من المدينة لتشرف عليها.



<u>منظر عام لمدينة تقرت في حدود سبعينيات القرن العشرين</u>

من الواضح تطور المدينة السريع بعد الاستقلال وامتزاج المراحل التاريخية المجالية من الحي التقليدي إلى الامتدادات الاستعمارية إلى المدينة الحديثة. في عشريات قليلة ستشهد هذه الديناميكية تسارعا كبيرا بدفع المشاريع الوطنية والتزايد الديمغرافي الكبير.



<u>**بقايا المدينة التاريخية مستاوة في حدود سنة 2002**</u>

بدأ تدهور هذا القصر المدينة الذي هو نواة مدينة تقرت منذ سنوات، لم يبق منها سوى المسجد الذي تبدو صومعته وراء مشهد الحطام في قلب الصورة. وهو مصير الكثير من القصور والمدن التاريخية في الصحراء الجزائرية.





مصير القصور والفقر المتنامي

حالات مثل هذه تتكرر كثيرا في المناطق المحرومة كهذ الصورة الواقعية إبان الدراسة الميدانية 2007 توضح حالة المساكن التقليدية وبؤر الفقــر التــي تخلقها، هو إهمال مس المجال العمران التقليدي وفقر طبقات إجتماعية جديدة.



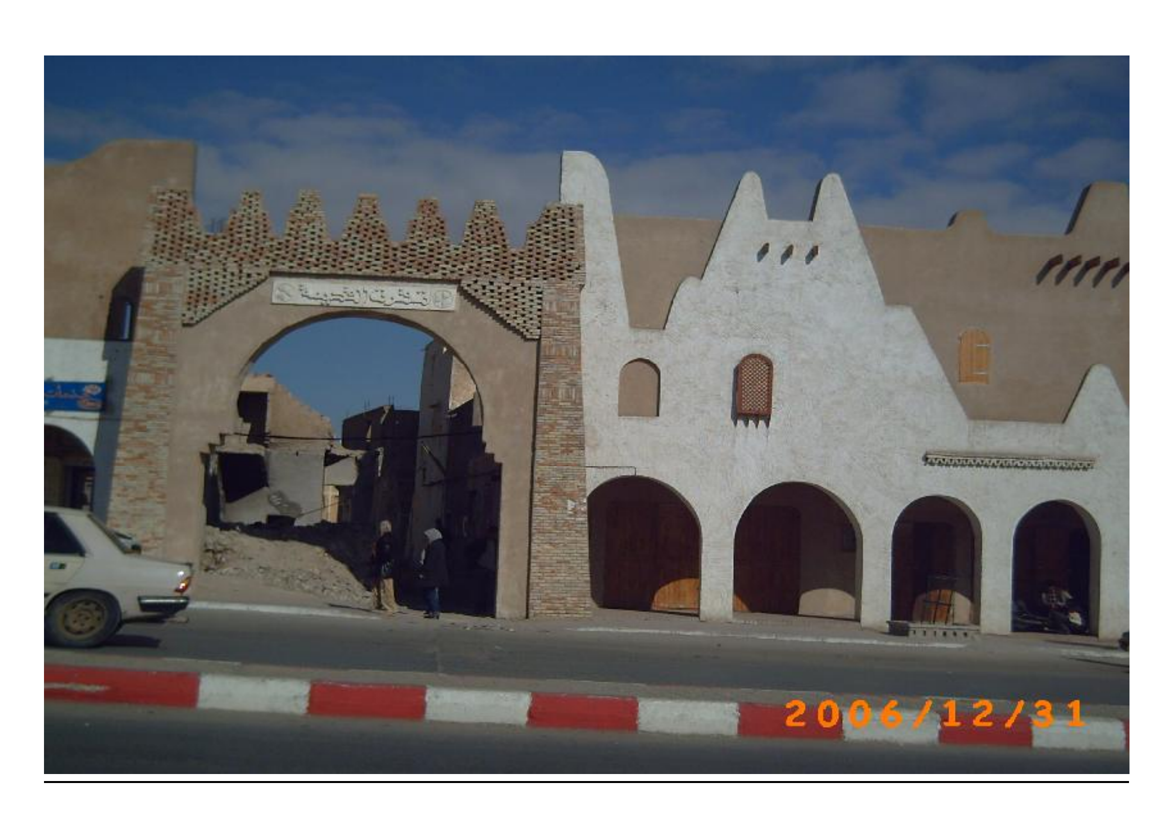
وليمة أولاد نايل 2007

حتى وإن تمدن أولاد نايل نهائيا، وظاهر وليمة عرس تقام في الصحراء 30كلم عن مدينة تقرت توحي بتمسك هؤلاء ببعض الممارسات التي تذكرهم بماض قريب أصبح بعيدا من تحول عميق في نمط الحياة لهؤلاء، ينم عن بعض الإغتراب الذي لا تزال تعاني منه الكثير من المجموعات الاجتماعية المتمدنة بمدن الصحراء.



<u>البناء الفردي</u>

نمط بناء ينتشر في الأحياء الجديدة الراقية في تقرت. يبدو غريبا من حيث شكله وهندسته، (الطوابق، القرميد...) ماذا يفسره إن لم يكن البحث عن إبـــراز الثروة والتموقع الاجتماعي ، إنها الإستراتيجيات الاجتماعية من خـــلال تشـــكيل المجال.





<u>تقرت الجديدة</u>

هي مدينة فـي طور الإنـجاز لمجتمع فـي طور التحولات.



أبناء تقرت

لطالما تجاور آباؤهم، وتكاملوا، وهم الآن يتحضرون ليكونــوا مــواطني تقرت " المدينة الحديثة " أي مستقبل سيصنعه هــؤلاء؟ التحــولات الاجتماعيــة والمجالية التي عرفها آباؤهم ستكون لهم خلفية ورصيد لبناء حضرية جديدة فــي الصحراء الجزائرية على نمطهم وصورتهم هم.